مجموعة بحوث سمنار منعقد على

مسابقة الإمام محمد قاسم النانوتوي

الدورة الثانية ١٤٣٦هـ

قام بنشره

جهود الإمام النانوتوي

في علم الحديث وريادة الحركة التعليمية في الهند

مجموعة بحوث ممتازة مقدمة إلى

مسابقة الإمام محمد قاسم النانوتوي

(الدورة الثانية ١٤٣٦هـ)

جهود الإمام النانوتوي

في علم الحديث وريادة الحركة التعليمية في الهند

مجموعة بحوث ممتازة مقدمة إلى

مسابقة الإمام محمد قاسم النانوتوي

(الدورة الثانية ١٤٣٦هـ)

مجمع حجة الإسلام

الجامعة الإسلامية دار العلوم وقف ديوبند الهند

المحتويات

بين يدي الكتاب

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله!

وبعد فهذا كتاب علمي متكون من بحوث ثلاثة بارزة، قدمت إلى الدورة الثانية لمسابقة الإمام محمد قاسم النانوتوي، التي نظَّمها مجمع حجة الإسلام التابع للجامعة الإسلامية/ دارالعلوم وقف ديوبند عام ١٤٣٦هـ = ٢٠١٥م، وفازت –على الترتيب– بالدرجة الأولى والثانية والثالثة.

إن مسابقة الإمام محمد قاسم النانوتوي إحدى الوسائل العلمية السائدة، التي يعتمد عليها مجمع حجة الإسلام للتعريف بعلوم الإمام النانوتوي ونشرها وربط الشباب الإسلامي بأفكاره وحركاته.

وقد نظَّم المجمع دورتين للمسابقة: أما الدورة الأولى فقد تم عقدها في العام الماضي ١٤٣٥هـ =٢٠١٤م، وشارك فيها أكثر من مائة باحث وكاتب، فاز ثلاثة منهم بالدرجة الأولى والثانية والثالثة، بينما لقي بحثان درجة "البحث المتميز".

وأُكرم الفائز الأولى وهو رفيع المحمود بـ: خمسة عشر ألف روبية هندية، والفائز الثاني وهو محمد حماد الكريمي الندوي بثمانية

آلاف روبية هندية، والفائز الثالث وهو محمد عاصم كمال الأعظمي بخمسة آلاف روبية هندية.

وأُكرم صاحب البحث المميز بألف روبية هندية.

ومُنح جميع المشاركين بشهادة المشاركة في المسابقة مع الإشعار بدرجاتهم فيها.

والدورة الثانية للمسابقة شهدت إقبالاً أكثر من الباحثين وطلبة المدارس الإسلامية الهندية المنتشرة في أنحاء الهند.

فما إن خرج إعلان المسابقة إلا وانهالت طلبات التسجيل إلى مدير المجمع ومنسِّق المسابقة كاتب السطور هذا.

وكانت الدورة الثانية تدور حول العناوين التالية:

١-الإمام محمد قاسم النانوتوي وإسهاماته في علم الحديث.

٢-الإمام محمد قاسم النانوتوي وجهوده في تحرير الهند.

٣-الإمام محمد قاسم النانوتوي وتأسيسه لجامعة دارالعلوم ديوبند.

ونظراً لإقبال الباحثين والكُتَّاب زاد المجمع في الجائزة المالية للفائزين، فقرر إكرام الفائز الأول بعشرين ألف روبية، وإكرام الفائز الثاني بخمسة عشر آلاف، وإكرام الفائز الثالث بعشر آلاف، وإكرام الفائز الرابع بخمسة آلاف، وكان الفائز الأول محمد شاهد سيتافوري، والفائز الثاني أرشد برويز، والفائز الثالث محمد ريحان الغزالي، والفائز الرابع ثاقب قمر.

ويسعد مجمع حجة الإسلام اليوم بنشر هـذه البحـوث الثلاثـة البارزة في صورة كتاب يحمل اسم **"جهود الإمـام النـانوتوي في علـم الحديث وريادة الحركة التعليمية في الهند"**.

ومن الواجب أن أذكر أن هـذه البحـوث- ولـو صـدرت مـن أقلام واعدة والناشئين في صناعة الكتابة والأدب لكنهـا تراعـي –إلى حد ما- منهجية البحث العلمي من حيث الحيـدة العلميـة والتوثيـق مـن جهـة المصـادر الصـحيحة، والتوصـل إلى المصـادر الموثـوق بهـا وتدوين الهوامش، ومن ثم يمثل الكتاب مصدراً هاماً تجب الاستفادة منه في المواضيع التي يطرقها والأبحاث التي يتناولها.

والمجمع إذ يعتزم نشر هذه البحوث يشكر أولاً جميـع الإخـوة الباحثين المشاركين في المسابقة على تواصلهم العلمي الجيد ويـدعولهم كل الخير والتوفيق، كما يرفع أسمى آيات الشكر والتقدير إلى الرفقـاء الخلص العاملين في المجمع بكل تفانٍ وإتقـان، فإنـه لـو لا جهـودهم المشكورة لما خطا المجمع خطوة، ومـا تحقـق لـه أي هـدف وتوفيـق. جزاهم الله خير الجزاء.

محمد شكيب القاسمي

مدير مجمع حجة الإسلام، الجامعة الإسلامية دار العلوم وقف ديوبند
مدير تحرير مجلة "وحدة الأمة" العربية الدولية المحكمة

الإمام محمد قاسم النانوتوي
وإسهاماته في علم الحديث

تحت رعاية:

مجمع حجة الإسلام بالجامعة الإسلامية دارالعلوم وقف ديوبند

الإعداد:

محمد شاهد بن عناية الله المظاهري السهارنفوري

الملتحق بالصف النهائي بالجامعة الإسلامية دار العلوم ديوبند

١٤٣٦هـ = ٢٠١٥م

بين يدي البحث

الحمد لله الذي اطّلع السنة النبوية من آفاق المعارف الرّبانية فأشرقت بها تلاع المعارف الكونية، وتبددت بها ظلمات الجهالات الإنسانية، والصّلاة والسّلام على سيد الخلائق، وخاتم الأنبياء والمرسلين وبعد!

فهذه كلمات عن من لا تكفي للحديث عنه مقالة ولا رسالة، لأن له في كل مظهر من مظاهر المجالات الدينية في الهند أثراً، وفي كل ناحية من نواحي المآثر عملاً، ولأنه باعث نهضةٍ، وكان معلّم جيلٍ.

لا يخفى على من له إلمام يسيرٌ بتاريخ التعليم الديني في الهند بعد استقلالها من أيدي الإنجليز أنها كانت تلفظ أنفاسها الأخيرة وكانت تشهد الأوضاعُ أنه سيموت فلا يحيى، حتى أتى الله من بعث فيه حياةً جديدةً، وصدق ما قال رسوله الأكرم: يحمل هذا العلم من كل خلف عدولـه، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل

الجاهلين، أعني به حجة الله في أرضه، قدوة علماء عصره، الإمام الكبير، قاسم العلوم والخيرات الشيخ محمد قاسم النانوتوي – رحمه الله– فاتخذتُ الإمام الكبير موضوعاً للبحث من حيث كونه محدّثًا، فلا شك أن له خدمات جليلة في هذا الصدد وكان جدّ موفق في هذه الخدمة، من الجدير بالذكر أني ألقيت الضوء على مجيئ الإسلام وعلم الحديث في الهند وشيوعه أيضًا،وليس ذلك إلا ليكون البحث ميسور الفهم، سهل التناول.

خطتي في البحث

قسّمتُ البحث إلى ستة أبواب:

الباب الأول: يبين الحاجة إلى تفسير القرأن و أهمية علم الحديث، والحاجة إلى صيانته.

الباب الثاني: يشتمل على بيان الإسلام في أرض الهند، وتشرفها بعلم الحديث.

الباب الثالث: حول بيان النسب العلمي للإمام الكبير وموجز ترجمته، وشيءٍ عن خدماته.

الباب الرابع: يحتوي على خدمة الإمام الكبير في الحديث درسًا وتدريسًا.

الباب الخامس: يتحدّث عن خدمات الإمام الكبير تصنيفًا وتأليفًا باعتبارات مختلفة.

الباب السادس: يوضح خدمات تلاميذه في سبيل نشر هذا العلم وإشاعته.

إني لمدين ببالغ الشكر، وسابغ الحمد لأولئك السادة الأماجد الذين أتاحوا لي الفرصة للمساهمة في مسابقة الإمام محمدقاسم النانوتوي، كما أقدم خالص شكري إلى كل من ساعدني في إعداد البحث.

اللهم إني أعوذبك من الخطأ في القول والعمل، وأسألك أن تعصمني من الشّطَط والزّلل، إنك أنت نعم المولى ونعم النصير.

الباب الأوّل

القرآن الكريم: كتاب ختم الله به الكتب، و أنزله على نبيّ خَتم به سلسلةَ الوحي و الأنبياءِ المظفرة السعيدة الميمونة التي أجراها بعد أن خلق آدم -عليه السلام- للوقوف على ما يرضى به و للعثور على ما ينهى عنه، بدين عامٍ خالدٍ ختم به الأديان فأمر النبي بتبليغ ما أنزل إليه، حيث قال: **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ.** (مائدة: ٦٧)

الحاجة إلى تفسير القرآن:

فهو دستور الخالق الأولُ لإصلاح الخلق و مصدرُه، و قانونُ السّماءِ لهداية الأرض، وملاذُ الدين الأعلى: يستند إليه الإسلامُ في عقائده وعباداته، وحِكمه وأحكامه، وآدابه وأخلاقه، وقصصه ومواعظه، وعلومه ومعارفه، أنهى إليه مُنزلُه كلَّ تشريع، وأودعه كلَّ نهضةٍ، وناط به كلَّ سعادةٍ، في أسلوبه المعجز البليغ، والوجيز المختصر، ما كان يجمع الفروع إلى الجزئيات، فاقتضى الأمر تفصيلَها وتوضيحها وتنقيحها، أن جعل الله رسولَه من يشرح، ويبيِّن ويبلِّغ ويعلِّم كلَّ ما أنزل إليه قائلاً: **وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ.** (النحل: ٤٤)

فكان القرآنُ الكريم موضع العناية الكبرى من المصدر الثاني وهو: رسول الله – ﷺ – واتخذت هذه العناية أشكالاً مختلفةً، فتارة رجعتْ إلى بيان الجزئيات لكلّيات القرآن، و أخرى إلى تشريح المصطلحات، وثالثةً إلى تفسير المجملات، إسماعاً وإملاءً، إفهاماً وقياماً بتعاليمه. حتى أمر الله عباده باتخاذ حياة نبيِّه أسوةً كاملةً[1] و بالعضِّ على أقوالِه وأفعالِه التي وصفها بالوحي مشيراً بقوله: ''**وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى۝**'' (النجم: ٣-٤) ونظراً إلى ذلك سُمِّيَ تفسيرُ القرآن قولاً وعملاً، بالحديث.[2]

أهمية علم الحديث:

لاريب في أنّ أسبابَ النزول لآيات القرآن، وتفسيرَها، وتشريحَها وتفصيلَها وتخصيصَها وتعيينَ مُبْهَمَاتِها، بالإضافة إلى الحياة الطيّبة لمن حملها وهو: رسول الله – ﷺ – وقصصَ تاريخِ الإسلام كلّها ترجع إلى علم الحديث، ولا يمكن الوصول إليها إلاّ به، لكونها مرتبطة به، فلا جرم أن نقول: أن نعبّر القرآن بالقلب والحديثَ بحبل الوريد،

(١) كما يشير إليه قوله عزّوجلّ: فآمنوا بالله ورسوله النبي الأميّ الذي يؤمن بالله وكلمته واتبعوه. (الأعراف: ١٠)

(٢) فالحافظ السخاوي يعرّف الحديث بقوله: ما أضيف إلى النبيﷺ قولاً له أو فعلاً أو تقريراً أو صفةً، حتى الحركات والسّكنات في اليقظة والمنام. السخاوي، **فتح المغيث**، المدينة النورة، ١٣٨٨هـ)، ص ١٤.

وكما يكتب الشيخ مناظر أحسن الكيلاني – رحمه الله-:

''ليس الحديث من الذرائع الرئيسيّة لتاريخ عهد المسلمين الثّائر فحسب؛ بل أضف إليه تاريخَ البشرية أيضًا''[١].

الحاجة إلى صيانة علم الحديث:

من الحقائق السَّاطعة الواضحة التي لا مجال لأحدٍ فيها للإنكار، أن صيانة علم الحديث تحذو حذوَ حفظ القرآن، فإنك إن صرفت النظر عن الأحاديث، تجد معظمَ التعاليم الاسلامية، وعدداً هلائلاً من تواريخ الإسلام كامنةً، وراءَ السِّتار، خفيةً في طيّ الغيب[٢] ويشيرُ إلى نشره وإشاعته خطابُ النبي – ﷺ – الذي ألقاه على مرأًى ومسمعٍ من الناس بمناسبة حجة الوداع قائلاً: ''فلْيُبلِّغِ الشّاهد الغائب''[٣].

كما أنه –عليه السلام– دعا للّذين يتّخذون الحفاظَ على الأحاديث،

(١) مناظر أحسن الكيلاني: مقدمة كتاب **تدوين حديث**، (ديوبند، مكتبه نعيميه، ٢٠٠٨م)، ص ٧.

(٢) راجع للتفصيل إلى **تاريخ دعوت وعزيمت**، لصاحبه: أبوالحسن علي الحسني الندوي، (لكنؤ: مكتبه نشريات اسلام)، ج ٥، ص ١٧٠ – ١٧٥.

(٣) **البخارى**، ج١ ص٢٣٤.

وإشاعتَها، والذودَ عن حياضها مهنَةً شريفةً لهم: نضَّر الله عبداً سمع مقالتي فحفِظَها ووعاها وأدّاها''[١].

حتى جعل الصّحابةُ – رضى الله عنهم أجمعين– ومن تَبِعَهُمْ وكذلك المحدّثون –رحمهم الله تعالى– تعريفَ الإنسانية بحياة النبي –ﷺ– الشّغْلَ الشاغِلَ لهم، ونظراً إلى هذه الأهميّة وتناسق الاحاديث مع كتاب الله تبِعهم فقهاءُ هذه الأمة؛ فأغنَوا الحياةَ الإنسانية بصراطِ الله المستقيم.

(١) مشكوة المصابيح، ص ٣٥.

الباب الثاني

الإسلام في أرض الهند:

لقد بلغت الدعوة الإسلامية في الهند في عصور الإسلام الأولى، كما لا يخفى على دارس التاريخ، أنه انتشر الإسلام أوّلاً في ''مالابار'' و ''سرانديب'' وغيرها من مدن جزائِر شرق الهند، وذلك بالعرب الذين وردوا إليها تجّارين، متخذين استيرادَ الاموالِ التجارية وتصديرها وظيفةً لهم، حتى حملوا(١) معهم الإسلام لينشروه، ومن النّاحية الأخرى دخلوا إلى السِّند والبنجاب فاتحين. كانوا من أعمق الناس علماً، وأقلّهم تكلُّفًا، وأبرِّهم قلوباً، بجانب سذاجة الحياة، وحسن الأخلاق، فتركت أوصافُهم هذه في الناس أثرا كبيراً، وأدّت إلى تغيير الأفكار، والأنظار، فحينما تخوص في دراسة التاريخ، تجد من أصحاب النبى – ﷺ- حكمَ بن العاص الثَّقفِيَّ، ومغيرَةَ بن العاص الثقفيّ – رضى الله عنهما- من الذين حملوا بأيديهم لواء كلمةِ التوحيد: '' لا إله إلاَّ الله، محمد رسول الله'' إلى السِّند، ثم استمرَّت

(١) اكبر شاه نجيب آبادي، **آئينه حقيقت نما**، (ديوبند: اكاديمية شيخ الهند، ١٤٣٤هـ)، ص ٦٩؛ و الشيخ حبيب الرحمن الأعظمى، **مقالات حبيب**، (ديوبند: اكاديمية شيخ الهند، ١٤٣٠هـ)، ج ١، ص ٢١.

هذه السلسلةُ إلى عهد عثمان، وعليٍّ، ومعاوية - رضي الله عنهم -(١) كما صرّح بذلك الحافظ ابن كثير - رحمه الله- ''كان الصحابة في زمن عمر وعثمان فتحوا أوائل بلاد الهند''(٢).

فلما ثبت تشرُّف الهند بمجيئ الصحابة - رضي الله عنهم - فكيف يمكن أن لا يثبت ورود التابعين - رحمهم الله- إليها ومنهم ربيع بين صبيح السَّعديّ - رحمه الله- كما يكتب الشيخ سبحان علي في شأنه: إنه أوّل من صنّف في الإسلام''(٣).

الحديث النبوي بالهند:

مما لا شك فيه أن الصحابة جعلوا رسالةَ الله ودينه نصب أعينهم؛ فإلى أين وصلوا عطَّروا أرجاءها بـ '' قال الله، وقال الرسول''. وكما يعالج الكاتب الإسلاميُّ الشهير، الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي - رحمه الله- فيقول:

الأقطار التي سعِدتْ بالإسلام بأهل العرب، شاع فيها علم الحديث مع الإسلام، حملوا معهم هذا العلم الشريف إلى أين ارتحلوا، وعنوا به عناية تامّةً، واهتم الناس به في زمن سيادتهم.

(١) خليل الرحمن سجاد نعماني، **"الفرقان"** ديسمبر ٢٠١٢م (نظير آباد، لكنؤ)، ص ٤٧.

(٢) الحافظ ابن كثير، **البداية والنهاية**، (بيروت: مكتبة المعارف، ١٩٧٧م) ج ١، ص ٨٧.

(٣) محمد أيوب القادري، **تراجم علماء الهند**، (المجمع التاريخي بكراتشي، السنة: بدون) ص ٣.

وانصرفوا إلى درسه وتدريسه، والتصنيف فيه، والتأليف على شتَّى المواضيع[١]. وبالجملة: ترى الهند مستيزةً بالعلوم الإسلامية، وخاصة بعلم الحديث، أوّلاً بالصّحابة، ثانياً بمن تبعهم.

علم الحديث، بلوغه إلى أوج الرّقي، ثم انحداره إلى الهاوية بأرض الهند:

إنصرف النّاس إلى العناية بعلم الحديث في القارة الهندية من حين دخول محمد بن قاسم الثّقفيّ إلى الهند فاتحاً، وهذا بداية الأمر، إلى أن ورد إليها التابعون – رحمهم الله– وكان فيهم من يخدمون هذا العلمَ الشريفَ، فأنجبت الهند كباراً من المحدّثين، وتَتابع الناس بعد ذلك من أهل العلم، وسكنوا بها، ورووها بالحفظ والإتقان، مدّة أربعة قرون، وسارت بمصنّفاتهم الركبان إلى الآفاق[٢].

والآن نعرض إليك اقتباساً من كتاب المؤرخ الشهير عبدالحئ الحسني الندوي لاستعراض أوضاع الهند العلمية فيما بعد القرن الرّابع:

''لما انقرضت دولة العرب من بلاد السِّند، وتغلَّبت عليها

(١) الشيخ ابو الحسن على الحسني الندوي، **تاريخ دعوت وعزيمت**، ص ١٧٦.

(٢) محمد رابع الحسني، الندوي، **هندوستان اور علم حديث**، (مظفربور، أعظم جراه، مركز الشيخ أبوالحسن الندوي،١٤٣٣هـ) ص١٧-١٨، و ''أبوالحسن على الحسني الندوي، **تاريخ دعوت وعزيمت**، (لكنؤ: نشريات اسلام، د. ط.) ص١٧٧.

الملوك الغزنويَّة والغوريَّة، وتتابع الناس من خراسان، وماوراء النهر صار الحديث فيها غريبًا كالكبريت الأحمر، وعديما كعنقاء المغرب، وغلب على الناس الشعرُ والنجومُ، والفنون الرياضيَّةُ، وفي العلوم الدينيَّة الفقهُ والأصولُ. ومَضتْ على ذلك قرون متطاولة، حتى صارت صناعة أهل الهند حكمة اليونان، وكان قصارى نظرهم في الحديث في ''مشارق الأنوار'' للصّنعاني، فإن ترفَّع أحد إلى مصابيح السّنة للبغوي، أو إلى مشكاة المصابيح، ظنّ أنه وصل إلى درجة المحدثين، وما ذلك إلا بجهلهم بالحديث، فلذلك تراهم لا يذكرون هذا العلم، ولا يقرأونَه، ولا يحثّون عليه، ولا يجذبون إليه، ولا يعرفون كتبه، ولا يعلِّمون أهله، والقليل منهم كانوا يقرأون المشكاة لاغير، هذا على طريقة البركة، لا العمل به، والفهمِ له''[1].

ثم يكتب فيما بعد:

''حتى منّ الله على الهند بإضافة هذا العلم، فورد به بعض العلماء في القرن العاشر، ثم وفّق الله سبحانه بعض العلماءِ من أهل الهند أن رحلوا إلى الحرمين الشريفين وأخذوا الحديث، وجاؤوا به في الهند، وانتفع بهم خلق كثير ....كالشيخ محمد بن طاهر بن علي الفتني، صاحب مجمع

(١) عبد الحئ الحسني، الندوي، **الثقافة الإسلامية في الهند**، (دمشق: المجمع اللغة العربية)، ص١٣٥-١٣٦.

البحار، كانت له يدجارحة، ويمنى عاملة في الحديث''[1].

الشيخ عبدالحق المحدث الدّهلوى وعلم الحديث:

'' ثم جاء الله سبحانه بالشيخ عبدالحق بن سيف الدين البخاري الدّهلوي، المتوفى سنة ١٠٥٣م، على سكّان الهند، وتصدّى للتدرس والإفادة بدار الملك دهلى، وقصر همّته على ذلك، فصنّف وخرّج، ونشر هذا العلم على ساق الجدّ ، حتى قيل إنه أوّل من جاء بالحديث بالهند، وذلك غلط''. (ولكنه من الحقائق التى لا يجحدها أحدٌ أنه الذي أعاد هذا العلم إلى ما كان، حينما كان مصارعاً بين الموت والحياة).

ثم تصّدى له ولده الشيخ نور الحق المتوفي سنة ١٠٧٣م، وكذلك بعض تلاميذه وأولاده[2].

الشاه ولي الله المحدث الدهلوي، وعلم الحديث:

إن الشخصية التي نراها في طليعة النسب العلمي لأكبر الجامعة الإسلامية في شبه القارّة الهندية: دارالعلوم ديوبند، هو الشيخ الأجل، والمحدث الأكمل، ناطق هذه الدورة، وحكيمها، وفائق تلك

(١) (المرجع السابق، ص١٣٦-١٣٧)، وخليق احمد نظامى، **حيات شيخ عبدالحق**، (دهلى: ندوة المصنفين، د.ط، ١٣٨٤هـ)، ص ٢٨٥.

(٢) عبد الحى الحسني، **الثقافة الإسلامية في الهند**، ص ١٣٧ – ١٣٨.

الطبقة وزعيمها، الشيخ ولي الله بن عبد الرحيم العمري الدهلوي المتوفي سنة ١١٨٦م، فإنه ارتحل إلى الحجاز، وأخذ عن الشيخ أبي طاهر وعن غيره من أئمة الحديث، ورجع إلى الهند، شمَّر عن ساق الجدّ والاجتهاد، نشر ذلك العلم، فدرَّس و أفاد، وخرج وصنّف، وقد نفع الله بعلومه كثيراً من عباده المؤمنين، و تولّى مقام الدَّرس لوالده -رحمه الله- بعد وفاته، وذلك مدَّة خمس وعشرين سنة[1] يقول الشيخ عبد الحيئ الحسني -رحمه الله- في ترجمة الشاه ولي الله المحدث الدهلوي -رحمه الله-: الأدوارُ الّتي لعبها الشاه ولي الله المحدّث الدهلوي أدّت إلى شيوع الحديث كالنقود الشائعة، فأقام المحدثون لتدريس العلم حلقات مختلفة، وازدهر تدريس الكتب السّتَةِ وخاصة الكتب الأربعة: '' صحيح البخاري، وصحيح المسلم، وسنن الترمذي، وسنن أبي داؤد''، ونُقلت كتب الحديث إلى لغاتٍ حتى استفاد منها العامة وكذلك الذين ما كان لهم إلمامٌ بالعربيّة[2].

أبناء الشاه ولي الله المحدث الدهلوي وعلم الحديث:

وحينما استأثرت - رحمةُ الله تعالى- بالمحدث الدهلوي، سار أبناءُه أقدامَهم إلى الأمام وهم: الشاه عبد العزيز، والشاه رفيع الدين، والشاه عبد القادر، والشاه عبد الغني – تغمدهم الله برضوانه- ومن

(١) شيخ رحيم بخش، **حيات ولي**، (دهلي افضل المطابع)، ص٤٥.

(٢) عبدالحيئ الحسني الندوي، **ترجمة الثقافة الإسلامية في الهند**، ص ١٥٢.

حسن الحظّ لهذه الأسرة العلمية أنك لا تجد سلسلةً لتدريس هذا العلم في العصر الحاضر في الهند؛ إلاّ وهي تنسب نفسَها إليها، لأنها هَبَّتْ من مَنْهلها، و استَقَتْ من موردها، واغترفت من فضالتها.

المحدث الدهلوي و منهج التدريس:

بيَّن المحدث الدهلوي –رحمه الله– في كتابه المسمّى بـ ''أنفاس العارفين'' ثلاثة طرقٍ لإلقاء الدرس واختار منها ما أذكُرُه: أن يقرأ التلميذ أحاديث النبي –عليه السلام– والأستاذ يسمع، فإن يرى أمرا هاماً يجب الإخبار عنه أو تفصيله، فيفعل، أويرى التنبيه على خطأ لازماً فيبينه؛ و إلا فيأمر بتلاوة الأحاديث. ويُعرف هذا الأسلوب في الأوساط العلمية بـ ''السرد''.[١]

أسرة المحدث الدهلوي و إفادتها العلمية:

بعد أن توفّي الشاه عبد العزيز الدهلوي –رحمه الله– تبوّأ مقامَه العلميَّ، تلميذُه، وسبطُه الشاه محمد إسحاق الدهلوي –رحمه الله– وبعد أن شدّ رحالَه للهجرة، تولّى منصبَه الشاه عبد الغني المجددي، الدهلوي، ومن أحد تلامذة الشاه عبد العزيز المحدث الدهلوي،

(١) نذر الحفيظ الندوي، **هندوستان اور علم حديث**، (**الهند و علم الحديث**) (مركز الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي ١٤٣٣هـ)، ص١٤٢.

الشيخ مملوك على النانوتوي –رحمه الله– فترى عدداً لا بأس به من علماء ديوبند قد تتلمذ عليهما ومنهم إمامنا الكبير محمد قاسم النانوتوي،وبالجملة قد توصّلت الإفادة العلمية لأسرة المحدث الدهلوي إلى إمامنا الكبير، الشيخ محمد قاسم النانوتوي –رحمه الله– جيلاً بعد جيل [1] فأولا قام بأداء هذه الأمانة، والفريضة العلمية بنفسه، ثم قام بتأسيس الجامعة الإسلامية دارالعلوم ديوبند، لإشاعتها، ونشرها فتُوِّج بالنجاح، لا يمكن أن ينكره أحد.

----

(١) السيد محبوب الرضوي، **تاريخ دارالعلوم ديوبند**، (ديوبند: مكتبة دارالعلوم ديوبند ١٩٩٢م)، ص٩٥.

الباب الثالث

سلسلة المحدث الدهلوي لعلم الحديث والإمام النانوتوي:

فسلسلة علم الحديث الذي يباهي بها كل أحد في الهند، للإمام ولي الله المحدث الدهلوي، انتقلت إلى الإمام النانوتوي، بواسطة أبناءه، وتلاميذه من: الشاه عبد العزيز، والشاه محمدإسحاق، والشاه عبد الغني المجددي، **فالإمام النانوتوي**، هو الذي نتناوله بالبحث، في هذا الوقت، ونتّخذه مداراً ونقطةً لنا في هذه المناسبة.

موجز ترجمة للإمام الكبير محمد قاسم النانوتوي:

ولد الشيخ، حجة الإسلام، الإمام الكبير محمد قاسم بن الشيخ أسد علي بن غلام شاه بن محمد بخش الصديقي، النانوتوي بقرية ''نانوته''، بمديرية سهارنفور، عام ١٢٤٨ه، الموافق عام ١٨٣٢/ ١٨٣٣م، ويتصل نسبه بسيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه وأرضاه، يؤرّخ المورخ مولدَه بـ''خورشيد حسن''. تلقّى دراسته الإبتدائية في وطنه، ثم سافر إلى ديوبند فتتلمذ على الشيخ المولوي مهتاب علي، وبعد مدة ارتحل إلى''سهارنفور'' مع جدّه من الأم الشيخ وحيدالدين وقرء المختصرات من العربية والفارسية على

الشيخ محمد نواز، فلما توفّي جده، رجع إلى وطنه، ثم سافر إلى دهلي، حيث تلقّى العلم علي الشيخ مملوك علي النانوتوي، فقرء عليه سائر الكتب الدراسية، وبعد ذلك التحق بـ ''كلية دهلي''، ثم شارك في الحلقة العلمية التي كانت تجسِّم مكان الصدارة في الهند كلِّها، فأخذ الحديث عن المحدث الجليل الشيخ عبد الغني بن أبي سعيد الدهلوي، ولازمه مدة طويلة [1] وبعد أن أكمل دراسته العلمية اتّصل بالحاج إمداد الله المهاجر المكي، فاتخذه مرشداً له في أمور الدين، واعتبره مربياً، وبايعه، على نصرة دين الله عزوجل و اقتبس من أنوار معارفه كثيراً.[2]

مساهمته في حروب سنة ١٨٥٧م:

انفجرت ثورة عامة ضد الاحتلال الانجليزي في الهند، عام ١٨٥٧م، وذلك لأن الإنجليز قد أسال دماء المسلمين خاصّة،

(١) عبد الحئ الحسني، **نزهة الخواطر**، (الكراتشي: مير محمد آرام باغ) ج٧، ص٣٩١-٣٩٢؛ و الشيخ أسير الأدروي، ''**مولانا محمد قاسم نانوتوي، حيات اور كارنامے**''، (ديوبند: شيخ الهند اكيدمي دارالعلوم١٤١٧ه)، ص٤١-٦٢، و القاري فيوض الرحمن، **مشاهير علماء ديوبند**، (لاهور: مكتبه عزيزية، ١٣٥٦)، ج١، ص٥٥١؛ والشيخ عاشق الهي البرني، **العناقيد الغالية**، (مكتبه نعمانيه ديوبند، ١٤٠٨هـ)، ص٣٩.

(٢) الشيخ أسير الأروي، **الامام النانوتوي، حياته وخدماته**، ص٧٠؛ **تاريخ دارالعلوم ديوبند**، ج١، ص١٠٤-١٠٥.

واعتدى عليهم، فعمّت الثّورةُ الهندَ الشمالية، فوقعت معارك دامية مع الإنجليز فبينما كانت الهند تمرّ بهذه الأيام، إذ نشبت الثورةُ في مقرّ الجنود "ميروت" كما شهدت المدينةُ "الاستقلالَ الذاتِي للجنود، بالإضافة إلى الشنق لصاحب للاملاك في قرية "تهانه بهون" فهذه كلها وما إليها أدّت إلى إثارة عواطف الناس لتخليص الهند من الحاكم الغاشم[1]، فاجتمع الإمامُ النانوتوي، ورفقاءُه للخوض في هذه المسألة، ومنهم: الحاج إمداد الله العمري (شيخ الإمام النانوتوي)، والحافظ ضامن الشهيد، والشيخ رشيد أحمد الكنكوهى، والشيخ محمد مظهر النانوتوي، والشيخ محمد التهانوي، والشيخ محمد أحسن النانوتوي ومن سواهم – رحمهم الله –[2].

فثارت من بينهم قضيّة هامّةٌ وهى: ماذا ترى الشريعة الإسلامية المساهمة في الجهاد ضدّ الإنجليز. هل يجوز، أم لا؟ فاستعرضوا الأحوال، فوجدوا أن الإنجليز قد استولى على الهند بكامله، ما بقيت سلطة الملك المغولي "بهادرشاه" إلاّ اسمها، واتفقت البرلمان البريطانوي على تنصير المسلمين الهنود، وأنه قد أصدر الشاه عبدالعزيز المحدث الدهلوى الفتوى للجهاد ضدّ الانجليز.

(١) محمد أسعد ، **شعبة القرآن والسنة بجامعة كراتشى**، ٢٠٠٥م ص ٣٦.

(٢) الشيخ أسير الأدروي، **الحياة والخدمات**، (اكاديمية شيخ الهند بديوبند)، ص ٧٩.

وأنه قد أسِّس بنيان الجهاد على يد السيد أحمد الشهيد، والشاه إسماعيل الشهيد -رحمهما الله- فلما رأى المشائخ هذه الأوضاع، ففكرّوا، ثم فكّروا، فاتفق كلُّهم على تأمير الحاج امداد الله المهاجر المكى -رحمه الله- فبايعوا على يده، وتم ذلك كله برأي الإمام محمد قاسم النانوتوي -رحمه الله-[1] وبعد ذلك انتشروا في الأرض، لاستعداد الجهاد، وإعداد العُدّةِ، وعَمِل الترتيبات، حتى قامت حربٌ بين هؤلاءِ العلماء الأفذاذ وكتيبةٍ من جيشِ الإنجليز في ساحة ''شاملي'' (من أعمال مدينة مظفر نجر آنذاك) فنصر الله هذه الفئةَ القليلة، فهزموا الإنجليز هزيمةً منكرةً،[2] هذه هى المعركة التى استشهد فيها الشيخ الحافظ ضامن الشهيد-تغمدّه الله بفضله ورحمته- فأُصدرت الأمر بإلقاء القبض على الإمام النانوتوى، وعلى كلِّ من رافَقَه في هذا الجهاد، فهاجر الشيخ امداد الله مختفياً إلى مكة المكرمة، وبقي الشيخ محمد قاسم مختفيًا في الهند، ينتقل من قريةٍ إلى قريةٍ، ومن مدينة إلى مدينةٍ، وأما الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي، ففاز الإنجليز في إلقاء القبض عليه، حتى أُلقي في السجن، قضى هناك ستّة

---

(١) الشيخ أسير الأدروي، **الإمام النانوتوي، حياته وخدماته**، (أكادمية شيخ الهند بديوبند)، ص ٧٩.

(٢) مناظر أحسن الكيلاني، **سوانح قاسمى**، (مكتبه دارالعلوم ديوبند، ١٩٩٤م)، ج٢، ص ١٢٧.

أشهر، ثم أعلن الانجليز عن العفو العام عن الثّوار والمجرمين[١] في نوفمبر سنه ١٨٨٥م. وبالجملة قد بعث الإمام النانوتوي حياةً جديدةً في هذه الحركة ضد الانجليز، وسجّل التاريخ مبارزته هذه بحروف ذهبيّة[٢].

تأسيس الجامعة الإسلامية دارالعلوم ديوبند وإجراء حركة تأسيس المدارس:

مما لا يخفى على دارس التاريخ أن الإنجليز قد اجتاز الحدودَ كلَّها في عاطِفَتِها الثأريَّة بعد إخفاق ثورة عام ١٨٥٧م، فجعل يفرض الإعدام على المسلمين والعلماء منهم خاصَّةً، ويهدِم المدارس التى كانت أدّت دوراً بارزًا في إنارة أرجاء الهند وأجواءها بأصواتِ ''قال الله وقال الرسول''. ومن الناحية الأخرى وضع الإنجليز خطَّةً طريفةً لتنصير الشعب المسلم، وأبناء المسلمين وصوغ أذهانهم في قوالب الحضارة الغربية من وراءِ خطَّة التعليم، وذلك بتأسيس الكلّيات والجامعات التى تهمتمّ بتدريس المنهج الدارسي الغربيِّ، إلى أن وضع اللّورد ميكالي (LORD MEYKALY) خطَّةً خاصَّةً قائلاً قولتَه المعروفةَ التاريخيّةَ ''إن الغرض من خطّتنا التعليمية هو إنشاء

(١) المرجع السابق، ج ٢ ص ١٣٥– ١٥٥. شمس الهدى، **دريا بادي هندوستان كى نشأة ثانيه مين قديم دهلي كالج كاكردار**، (دهلي، شاهد فبليكيشنز) ص١٢٨–١٢٩.

(٢) مناظر احسن كيلاني، **سوانح قاسمي**، ج ٢، ص ١٤٢.

جيل في الهند، يكون هنديَّ النَّسل، واللَّون وأوروبيَّ الفكر والذهن(١)، وقد كان لهذا الهتاف الذى هتفت به القوة الحاكمة الفاتحة أثرا بالغًا في المجتمع الهندي، وكانت عاقبة أمرها أن النّشء الهنديّ، وإن كان بجسمه ولونه هنديًّا، بدأ يتطوّر فكره وعقله، ويصطبغ بالصبغة الإنجليزية إلى حدّ يهدّد كيانه ومستقبله(٢) فكما تآمر الأعداءُ ضدّ الأسر والبيوتات العلميّة، محكمين خطّتَهم للقضاءِ عليها نِهائيًّا، اتفقوا على نشر الدعوة المسيحية في الهند كلها، وتنصير أهلها، حتى قال رئيس الوزراء البريطانيِّ: نحسب أنّنا نتعاضد فيما نستهدف، ومن الواجب علينا نشرُ الدعوة المسيحية في أقصى الهند وفي جميع نواحيها، وهذا لا يشكلّ أمراً واجباً علينا فحسب، بل يتصل به مانريد من المصلحة أيضاً''(٣). حتى خُيّل إلى النَّاس أن الهند ستُعاد عليها قصَّةُ إسبانيا وتصير مركزًا للدِّين المسيحيِّ، فإنه المتفق أن المسيحيَّة عدوٌ لابأس به، وأيقن الناس أن الإسلام لا يبقى حيًّا في أرض الهند ويلفظ أنفاسه الأخيرة.

ففى مثل هذه الأوضاع أدرك علماء المسلمين الغيارى على

(١) طفيل احمد المنغلوري، **مسلمانون كا روشن مستقبل**، (مكتبه الحق، مادرن ديري جوغيشوري، ممبئ، ١٤٢٢هـ)، ص ١٧١.

(٢) المؤلف: بدون، **جامعة دارالعلوم ديوبند، تاريخها وخدماتها**، (دارالعلوم ديوبند)، ص ٧.

(٣) **مجلة الرشيد** عدد خاصٌ عن الجامعة الإسلامية دارالعلوم ديوبند، ساهيوال باكستان، ص ٣١٢.

الإسلام بأن سيطرة الإنجليز على الهند؛ بل وجودها، ثم بقاء ها عليها خطر على الدين، وأنه لا سبيل إلى الحفاظ على الإسلام، وتعاليم الكتاب والسنة، ومثله وأخلاقه في العصر الراهن واستعادة مجد المسلمين الغابر؛ إلا بنشر علوم الكتاب والسنة، وإشاعتها، وتخريج علماء، و دعاة، يجعلون هذا الأمر الشغلَ الشاغلَ لهم، و ينصرفوا إليه، فهبُّوا لدفع هذا الخطر وأقدموا أنفسهم على ذلك، و في طليعتهم، نرى الخلف الأخير للشاه ولي الله المحدث الدهلوي وهو الإمام الكبير، حجة الإسلام محمد قاسم النانوتوي –رحمه الله– واتفقوا على أن يقابلوا الهتاف الإنجليزيَّ التعليمي الذي هتف به ''اللورد ميكالي''؛ بتأسيس مركزٍ إسلاميٍّ، ومعقلٍ دينيٍّ، ومعهدٍ فكريٍّ، قائلين: بأن غرضنا من التعليم هو إيجاد جيل يكون بلونه وجوهره هندياً، ويتنوَّر قلبه بنور الإسلام، وتموج نفسه بالعواطف الإسلامية ثقافةً وحضارةً، وسياسةً. [1]

فبدأوا بهذه الحركة في ١٥/ محرم الحرام ١٢٨٣ه موافقا ٣٠/ مايو ١٨٦٦م في قريةٍ مجهولة، عرفت بـ''ديوبند'' تحت ظل شجرة الرمان في مسجد ''تشته'' [2] ولم يكتف الإمام على تأسيس جامعة

(١) المؤلف: بدون، **جامعة دارالعلوم ديوبند، تاريخها أهدافها**، (ديوبند: مطبعة دارالعلوم ديوبند) ص٣.

(٢) السيد محبوب الرضوي، **تاريخ دارالعلوم دبوبند**، (ديوبند: مكتبة دارالعلوم، ١٤٢٢هـ)، ج١، ص١٥٥.

ديوبند؛ بل سار قدمَه إلى الأمام. ولما أن الإمام كان حركةً مستقلةً لتنفيذ هذه الفكرة النبيلة، فكرة تأسيس المدارس، والكتاتيب الإسلامية، أسّس نحو عشر مدارس في المدن المختلفة من: مراد آباد، وسهارنفور، وغلاوتهي، وتهانه بهون، وميروت، وماسواها من المدن للمناطق الشمالية في الهند، فكما يعالج المؤرّخ الشهير، السيد محبوب الرضوي فكره فيكتب:

''من المآثر الخالدة، والأعمال المجيدة العظيمة للإمام النانوتوي إحياء الحركة التعليمية مستهدفاً القيام بنهضة العلوم الإسلامية في الهند، بجانب وضعه المبادئَ الأساسيةَ الثمانية، وهي تمثل خطَّةَ عملٍ وطريقةَ سيرٍ لجميع المدارس والجامعات الأهلية، ولاشك أن فلاحها معقود بنواصيها''.(١)

ويكتب الشيخ أسير الأدروي حفظه الله ورعاه:

''إن الإمام النانوتوي لم يعدّ تأسيس دارالعلوم ديوبند الحدَّ الأقصى له؛ بل أنشأ حركةً تعليميةً من جديد؛ ليتيسَّر للمسلمين استدراكُ مافاتَهم بصورة انهيار السلطة، وهذا ما أظن بنفسي''. (٢)

وقصارة القول أن الإمام النانوتوي أسّس بنيان حركةٍ تعليمية في الهند، في عصر الاستعمار البريطاني، ولا شك أنها تمثِّل ناحيةً بيضاء من حياته.

(١) المرجع السابق، ص ١١٦.

(٢) الشيخ أسير الأدروي، **حيات اور كارنامے**، (حياة الإمام النانوتوي، حياته وخدماته)، ص١٥٨.

الإمام النانوتوي وجهوده في إعلاء كلمة الله:

من الجدير بالذكر أنه كما استولى الاستعمارُ البريطاني على الهند، وانحدرتْ سلطة المسلمين إلى الهاوية، ظهرت فتنة أخرى وهي: صوغ أهل الهند بالصبغة المسيحية، فازدهرت في عصر الإنجليز إلى حد كبير، وركَّز المبشرون عناياتهم على تنصير المسلمين بخاصة، بعد إخفاق ثورة عام ١٨٥٧م، وانتشروا في الهند كلّها، يلقون خطباً عن ديانتهم أمام الناس ويضلّونهم، يوزّعون الكتيبات والنشرات مجاناً، واعتدوا في ذلك حتى جعلوا يوجهون الطعن إلى نبي الله محمد بن عبدالله –صلّى الله عليه وسلم– والدين الذي جاء به، ويتناولونها بالانتقاد، كما تشهد بكل ما قاموا به أدراجُ المسجد الجامع بـ''دهلي''.[1]

مناظرته مع القسّ: تاراجند:

في الأيام التي كان يعمل الإمام الكبير مصحِّحاً في المطبعة المجتبائيَّة بدهلي، سنة ١٨٩٢م وقع على علمِ أعمال القساوسة الخبيثة، فأمر تلاميذه بأن يلقوا خطباً على مرأى ومَسَمعٍ من الناس، ويساعدوا كلَّ من يحاور القساوسة ويناظرهم من علماء المسلمين،

(١) الشيخ أسير الأدروي، **دارالعلوم ديوبند احياء اسلام كي عظيم تحريك**، (ديوبند: مكتبة دارالعلوم ديوبند،)، ص ٥٠– ١٥٠.

تواعد القساوسة وعلماء المسلمين على المناظرة وضربوا الموعد، فذهب الشيخ بنفسه وناظر القسّ ''تاراجند'' فأبكمه وأخرسه.[1]

معرض معرفة الذات الإلهية:

وفي ١٢٩٣هـ الموافق ١٨٧٦م أقام المنشئ ''بياري لال'' اجتماعا باسم ''معرض معرفة الذات الإلهية'' بولاية أترا براديش الهندية، وكان المنشئ''بياري لال'' يميل إلى المسيحية ويجالس القسّ ''نولس'' فعقد اجتماعا بمشورته ومساعدته، ودعا إليه القساوسةَ، وعلماءَ المسلمين لمناقشة الديانات. فأبلغ مسلمو مدينة ''بريلي'' و القرى المتجاورة لها الشيخَ، ودعوه للحضور في الاجتماع؛ فلبّى دعوتهم، وقد رافقه في سفره تلاميذُه: الشيخ محمود حسن الديوبندي، والشيخ فخر الحسن الكنكوهي، والشيخ رحيم الله البجنوري، وغيرهم من علماء دهلي، وحضر الإجتماع وشارك في المناقشة، وألقى خطبة بليغة في الرد على عقيدة التثليث، والإشراك بالله، وإثبات التوحيد مما أدهش السامعين من أنصاره ومعارضيه، واعترفوا له بالفضل وغزارة العلم، وقوة البيان، ونصاعة البرهان، فعلت كلمته، وارتفع ذكره، وصار حديث المجالس والنوادي ورجع منصوراً موفّقاً من الإجتماع.

---

(١) مناظر أحسن الكيلاني، **سوانح قاسمي**، ج٢، ص٣٥٨.

ثم أقيم الإجتماع في السنة القادمة: ١٢٩٤ه الموافق ١٨٧٧م، فحضره الشيخ في نخبة من علماء المسلمين، وقد حضر الإجتماعَ هذه المرة بالإضافة إلى القساوسة، حبرُ الهندوس، وصنديدهم: ''الباندیت دیانند سرسوتي'' الذي كان اخترع ديناً جديداً مستمداً من الديانة الهندوسية، وكان يؤمن بالفيدات ''الكتب المقدسة لدى الهندوس'' ويرى التناسخ. شرح الباندت في الاجتماع معتقداته باللغة الهندوسية الممزوجة بكلمات اللغة السنسكرتية، فتصدّى للرد عليه الشيخ محمد علي، ثم ألقى الإمام خطبته مؤثرة في مسألة الوجود وإثبات التوحيد، و كان السامعون أثناء خطبته، آذاناً مصغيةً وقلوباً واعية، وعيوناً شاخصة، ثم ناقش التحريف في الإنجيل، و دلل عليه حتي لا ذالقساوسة بالفرار عن الاجتماع تاركين بعض كتبهم، و كان القساوسة يقولون لو آمنا بخطبة لآمنا بهذه الخطبة التي كانت تأخذ بمجامع القلوب.(١)

ارتحاله إلى مدينتَي ''روركي'' و ''ميروت'' للمناظرة:

وفي شعبان عام ١٢٩٥ه أتاه النبأ بأن البانديت ''ديانند سرسوتي'' ورد ببلدة ''روركي ''Roorkee'' وأخذ يوجه

(١) العقيدة الإسلامية: **شبهات وردود، الإمام النانوتوي**، عربه: الأستاذ محمد ساجد القاسمي: أستاذ الأدب العربي بالجامعة الإسلامية: دارالعلوم ديوبند، (الهند: اكاديمية شيخ الهند، دارالعلوم ديوبند،١٤٣٥هـ)، ص١٨-١٩ ومن شاء المزيد من التفصيل، فليراجع إلى: **المباحثة في شاه جهانفور**، لصاحبه: فخرالحسن الكنكوهي ص٣٣-٤٣.

اعتراضات إلى الإسلام فإذا تصدى عالم من علماء الإسلام للرد على اعتراضاته لا يلقي له بالاً، ولا يرفع به رأساً، وإنما يقول: ''إني لن أناظر إلا الشيخ محمد قاسم'' فدعا مسلمو بلدة ''روركي'' الشيخ لمحاورته والنقاش معه. وكان الشيخ يعاني أيا مئذ السعال والمرض الشديدين اللذين قد أصاباه خلال عودته من الحج، فاعتذر إليهم؛ ولكنهم مازالوا يُصرّون عليه، فبعث تلاميذه: الشيخ فخر الحسن الكنكوهي، والشيخ محمود حسن الديوبندي، والشيخ عبد العدل الفلتي ليستعرضوا الأوضاع ويناظروا الباندیت إن رضى هو بالمناظرة معهم. فذهبوا إلى ''روركي'' وقابلوه وطالبوا أن يسمع هو منهم إجابات عن اعتراضاته، ولكنه لم يرض بالسماع منهم والمناقشة معهم، وقال: ''إن حضر الشيخ محمد قاسم أناقشة وأناظره'' فرجعوا إلى ديوبند، وأخبروه بالخبر. ثارت فيه الغيرة على الإسلام وهو طريح الفراش، واستعد للسفر رغم مرضه وضعفه الشديدين، ووصل إلى ''روركي'' ودعا البانـدت إلى المناظرة، واستماع الردود على اعتراضاته على رؤوس الأشهاد.

اختلق البانديت أنواعاً من المعاذير، وطوى كشحه عن المناظرة، حتى ولىّ هارباً مختفياً. مكث الشيخ في بلدة ''روركي'' نحو سبعة عشر يوماً، وألقى على رؤوس الأشهاد خطباً رد فيها على الاعتراضات التي أثارها البانـدت ضد الإسلام. ثم عاد إلى ''ديوبند'' ومكث فيها أياماً، ثم ذهب إلى ''نانوتوته'' وألف ''قبله

نما'' (استقبال الكعبة: حقيقته ومعناه) و ''انتصار الإسلام'' (ردود على اعتراضات موجهةٍ إلى الإسلام) في الرد على اعتراضات البانديت، ثم توجّه البانديت إلى ''ميروت'' في ٣/ مايو١٨٧٩م و ألقى فيها عصا تجواله، وأعاد فيها الاعتراضات نفسها، أخبر مسلمو ''ميروت'' الشيخ بمقدمه بعد أيام، فوصل الشيخ ميروت في. ١٠/ مايو ودعاه إلى النقاش والحوار، فنأى الباندت بجانبه عن المناقشة وخرج من ميروت'' مختفياً كذلك.[1]

مباحثته مع مجتهد من أهل التّشيّع:

في الأيام التي كان الإمام حط رحاله في مدينة ''ميروت'' صادف المباحثة مع مجتهد من أهل التّشيّع في ظنه: المولوي حامد حسين اللكنوى فأفزعه وهزمه، فبهت الذي ادّعى الاجتهاد.[2] كما أنه اتخذ خطوة غير عادية بالفعل للقضاء على التّعزية. وعلى الإجمال قام الإمام بمآثر غراء، أحسن قيام لإعلاء كلمة الإسلام والذب عن حريم الشريعة، مناظرةً ومباحثةً.

---

(١) الإمام النانوتوي، **جواب تركي به تركي**، (الجواب المفحم) ص٢٨٨. الرسالة الثانية لكتاب: مجموعة رسائل. والعقيدة الإسلامية، ص٢٠-٤١.

(٢) الشيخ اسير الادروي: **حيات وكارنامى**، ص: ٢٧٥.

حركة تزويج الأرامل:

كان للإمام علاقة وطيدة بالمشايخ الكبار، فكان يختلف إليهم، ويجالسهم ويتأثر بهم، فورثهم دعوتَهم وإحياء السنة النبوية والعمل بها، و إزالة البدع والخرافات الجاهلية التي تسرّبت إلى المجتمع الإسلامي الهندي بحكم مجاورة الهندوس. ومن التقاليد غير الإسلامية التي سادت المجتمع الإسلامي الهنديّ عدمُ تزويج الأرامل، كان الشيخ مظفر حسين الكاندهلوي يسعى للقضاء على هذا التقليد غير الإسلامي، يقوم بتزويج الأرامل. فكان لمساعيه آثار إيجابية في المجتمع ورثه الشيخ محمد قاسم العمل بالسنة النبّوية ومحاولة القضاء على التقاليد الجاهلية، ومنها عدم تزويج الأرامل وقد بدأ الشيخ محمد قاسم هذه الحركة بإرضاء شقيقته الأرملة –التي كانت تكبره وكانت مسنّة– للزواج، فكان لذلك تأثير كبير على الناس، فبفضل محاولته المكثفة المخلصة زال التقليد من المجتمع، وأصبح نسياً منسياً.[1]

الكتابة و التأليف:

ما كان الإمام من الذين تدور في نفوسهم حربٌ عالمية، وهم على فُرش النوم فإذا وضعت الحرب أوزارها، غنموا قرحة المعدة،

(١) الشيخ أسير الأدروي.**الحياة والخدمات**. ٢٨٧. ومقدمة **كشف** ، لشيخ سليم الله خان، دارالكتاب ديوبند. ج١/ ص١٠٤

وضغط الدم السّكريّ. يحترقون مع الأحداث، يغضبون من غلاء الأسعار، يثورون لتأخّر الأمطار ويؤيِّد عدم كونه منهم كلُّ ما أسلفتُ من خدماته، من الجهاد والتضحية، والبذل والعطاء، والنشاط الواسع في المجال الدعوي. أضفْ إليها خدماته العلمية من جهة الكتابة و التأليف، وإن لم تُتَحْ له فرصةٌ كبيرة للاعتناء بهذا الجانب، قد صدرت من قلمه السّيّال تأليفات كثيرة يبلغ عددها أكثر من أربعين. وهي كلها في اللغة الأم. ولما أنه كان الإمام عالماً ربانياّ، عبقريًّا من عباقرة الأمة الإسلامية وفيلسوفا من فلاسفة الإسلام، فابتكر أسلوباً فلسفياً جديداً لتفسير الإسلام والرد على معترضيه، ويتجلّى أسلوبه الفلسفي المقنع في مؤلفاته واضحاً جلياً. ومن جانب آخر له كتابات، ترتبط بالمكتوبات التي كتبها وأعدّها للإرسال إلى المعتزين به، تحوي في حيزها موادّ علمية غزيرة.

وإليك تعريف مؤجز بمؤلفاته وكتبه.

١-آب حيات:

(ماء الحياة)، كتاب لم يسبق نظيره على موضوعه وهو: مسألة حياة النبي -عليه السلام- ألفه عام ١٢٨٦ه تم طبعه سنة ١٢٩٨هـ بأمر شيخه: الحاج إمداد الله العمري، المهاجر المكي -رحمه الله- وصدرت له طبعات شتّى.

٢- حجة الإسلام:

قام الإمام بإعداد كتابات عديدة سنة ١٨٧٦م بمناسبة ''معرض معرفة الذات الإلهيّة'' وهي تجمع في طيّها أصولاً وتفريعات إسلامية، وتتحدث عن: أهداف خلق الإنسان، والتوحيد، والرّسالة، والرّد على الإعتقاد، وحدوث العالم، وإثبات التقدير وما إلى ذلك من شرائع الإسلام، وبعد عوده من المناظرة أمر بطبعه، وذلك بطَلبٍ من بعض تلاميذه. يتضمن ٤٨/ صفحة، أصدرته المكتبة الإعزازية بديوبند. سنة١٣٠٠هـ.

٣- قبله نما (استقبال القبلة، حقيقته ومعناه):

ما هي الحقيقة؟ هل المسلم يعبد الكعبة المشرفةَ –زادها شرفًا وعظمةً – أم الله؟ أما الكعبة فيتخذها قبلةً للتوجه إليه، فالكتاب يعالج أمثال هذه الاعتراضات التي وجهها إلى المسلمين ''البانديت ديانند سرسوتي''.

٤- انتصار الإسلام: (ردود على اعتراضات موجهة إلى الإسلام):

هذا الكتاب يشكّل الرّد على الاعتراضات التي وجّهها ''البانـدت ديانند سرسوتي'' إلى الإسلام والمسلمين، من: ذات واجب الوجود، وجود الشيطين، والجن والملائكة، وجود الجنّة والنّار، ماهي حقيقة ''الشراب الطهور'' والنسخ في الأحكام، ودفن

الميّت، وحقيقة الروح، واستباحة الحيوانات وتحريمها وغيرها من مسائل شتّى، قام بتشريح الكتاب الشيخ محمد ميان الديوبندي –رحمه الله– ويتضّمن ٥٦/ صحفةً، نشرته المطبعة القاسمية بديوبند.

٥– تقرير دلبذير: (محاضرة في فلسفة الإسلام)

كتاب بديع، كثير النفع، يعالج كثيراً من القضايا التي كانت تعانيها تلك الأيام.لها قائمة طويلة: وجود الباري عزّ اسمه، إثبات التوحيد وإبطال التثليث، عبادة الأصنام، كون الإنجيل محرفاً، الله خالق لأفعال عباده، حدوث العالم، اثبات وجود الجنّة والنار، والملائكة والشياطين، مسألة التقدير، وجوه النسخ في الشرائع المنزلة من الله، حسن الأعمال وقبحها، الحاجة إلى النبوة، صفات الله، قضية الجزء الذي لا يتجزّى، فيتحدّث الكتاب عن المسائل المذكورة بسطاً وتفصيلاً، يضم مباحث كلامية صعبةً، جاء الكتاب في ٣٢٨/ صفحة إلى حيز الظهور، أصدرته المطبعة القاسمية بديوبند، وكما قال الشيخ المفتي سعيد أحمد البالنبوري –متعنا الله بطول حياته– أحد مشيخة الحديث بالجامعة الإسلامية دارالعلوم ديوبند حاليا: في صدد الكتاب: لم يتمّ تأليف الكتاب بكامله، إلا أنه لم يسبق نظيره[1] وكما

(١) المفتي سعيد أحمد البالنبوري، **دنياءِ اسلام كي عظيم ترين شخصيت**، (مكتب الاحتفال المئوي بدارالعلوم ديوبند، ١٩٨٠)، ص٢٢.

يقول الشيخ محمد يعقوب النانوتوي –رحمه الله–: إن هذه الأجزاء لا يفهمها أحد من الناس في هذا الزمان.(١)

٦– تحفه لحميه: (التحفة اللحميّة):

تناول الهندوس المسلمين بالطعن في ''أكل اللحم'' فقام الإمام بالإيجاب عما تناولوا به، يضم ١٢/ صفحة قامت المطبعة المذكورة، بنشره أيضاً.

٧– جواب تركي به تركي (الجواب المفحم) :

يشكّل الرد على الاعتراضات التي أثارتها مجلة ''آريه سما جار''، قام الشيخ اشتياق أحمد الميروتي، الأستاذ بجامعة ديوبند، بتسهيله، فسماه بـ''البراهين القاسمية'' يحتوي ١٦٠/ صفحة.

٨– معرض معرفة الإله:

يحوي محضر الأعمال التي شهدتها معرض معرفة الذات الإلهية، التي عقدت في ''شاه جهانفور''، قام بترتيبه المنشئ محمد هاشم صاحب المطبعة الهاشمية، ومولوي حيات صاحب المطبعة الضيائية، في ضوء الخطبة البليغة التي ألقاها الإمام إلى المعرض، فالكتاب يجمع خطبة الإمام.

(١) الشيخ محمد عاشق الهي الرني، **العناقيد لغالية**، (ديوبند المكتبة النعمانية، ١٤٠٨هـ)، ص٤٠.

٩- المباحثة في شاه جهانفور:

كما أسلفنا أن مدينة شاه جهانفور قد شهدت المباحثة مرة ثانية في ١٢٩٥ه = ١٨٧٧م، فقام الشيخ فخر الحسن الكنكوهي، والشيخ محمود حسن الديوبندي -رحمهما الله- من تلاميذ الإمام، بجمع المحضر لأعمال المباحثة، لاشك أن تأليف الكتاب عمل عبقريّ نظراً إلى موضوعه، ومباحثه ومواده، وطريقة الإستدلال لإحقاق أصول الشريعة الإسلامية وإبطال المسيحيّة.

١٠- هدية الشيعه:

يؤيد الكتاب المسائل التي اقتطع فيها عرق المنازعة بين أهل السنة والجماعة وأهل التشيع بالدلائل أصولاً ومعقولاً، ومن المفيد أنه قد تطرّق إليه بيان مراتب الحديث وطبقاته، وتحقيق أصول النقد كما يراها الشاه ولي الله المحدث الدهلوي -رحمه الله- أصدرته المطبعة الهاشمية بميروت أوّل مرة سنة ١٢٨٤ه.

١١- تحذير الناس:

الكتاب شرح لأثر عبدالله بن عباس وهو: إن الله خلق سبع أرضين، في كل أرض آدم كادمكم، ونوحاً كنوحكم، وإبراهيم كإبراهيمكم، و عيسى كعيسى كم، ونبي كنبيكم. ويتحدث عن تحقيق أنيف لمسألة ''ختم النبوة'' بالتبع. وقد صب بعض الناس

اعتراضات على الكتاب، في زمن الإمام، فأجاب عن كلها، وتم نشر تلك الإجابات باسم ''محذورات عشر'' . يستغرق أصل الكتاب ٤٨/ صفحة، أصدرته المطبعة الصديقية بمدينة ''بريلي''.

١٢- مصابيح التراويح:

الكتاب معلومٌ موضوعه، كما يدل عليه اسمه. تم إصداره من المطبعة الضيائية بميروت عام ١٢٩٠ه وذلك بطلبٍ من الشيخ محمد أحسن الأمروهوي، له ١٠٧/ صفحة، قام الشيخ اشتياق أحمد الميروتي بتسهيله باسم ''أنوار المصابيح''.

١٣- الحق الصريح في إثبات التراويح:

يجسِّم كتابات للإمام، والكتابة الأولى تبحث عن ركعات التراويح، ويستغرق ٨/ صفحة.

١٤- توثيق الكلام في الإنصات خلف الإمام:

يستهدف الكتاب التحقيق عن المسألة المختلفة الشهيرة بـ ''القراءة خلف الإمام'' يؤيّد الإنصات في ضوء الأيات القرآنية، والأحاديث النبوية الشريفة، يلتزم بالتّطبيق بين الروايات والآيات، وتحديد المراد لكل منهما في ضوء البراهين، تم طبعه من المطبعة الهاشمية بميروت عام ١٣٠٢ه، له ١٦/ صفحة. ويقول الشيخ المفتي سعيد أحمد البالنبوري إنهما - ''الدليل المحكم على عدم قراءة

المؤتم'' و''توثيق الكلام في الإنصات خلف الإمام''- ليسا كتابين؛ بل إنهما إسمان لكتاب واحد، غير سطور زيدت في ''توثيق الكلام'' وقام المفتي المذكور بشرح الكتابين بإسم ''كيا مقتدي بر فاتحه واجب هى؟ (هل يجب قراءة الفاتحة على المؤتم؟)

١٥- أسرار قرآني (الأسرار القرآنية):

كان الإمام مرجع العلماء، والطلاب والعامة، فسئل عن أمور في القرآن الكريم، فأجاب عنها تحقيقاً و تعديلا، قام بنشر الكتاب مطبع ''كلزار أحمدي'' بمراد آباد في ٣١/ صفحة، عام١٣٠٤ه.

جاءت معظم مؤلفات الإمام إلى حيز الظهور، وما لم تجئ منها فستجيئ إن شاء الله كما تشرف المجامع المختلفة على إصدار مؤلفات الإمام، فقد أصدرت الجامعة الإسلامية دارالعلوم ديوبند. مجموعه رسائله، باسم ''هفت رسائل''. (وهو يشتمل على: قبله نما، جواب تركى به تركى، توثيق الكلام في الإنصات خلف الإمام، كفتكوئ مذهبى، الأسولة الخاملة في الاجوبة الكاملة، الدليل المحكم، تحفه لحمية).

النوع الثاني من مؤلفات الإمام:

عدد من كتابات الإمام ترتبط بالمكتوبات؛ لا يظن أحد أنها صدرت عادةً، لم يهتمّ الإمام بكتابتها؛ بل الحق أنها تشكل إجابات

عن الأسئلة الواردة إلى الإمام، وأما مواضيع المكتوبات فمنها: سماع الموتى، وزيارة القبور، والنذر لغير الله، ومسألة علم الغيب، والسنة والبدعة وإسلام أهل التشيع، وشفاعة أهل البيت، ومسألة الفدك، وإيمان ''يزيد'' وكفره، حقيقة حياة النبي -ﷺ- والسّرسيّد ومعتقداته، وعدد ركعات التراويح، ومسألة القراءة خلف الإمام وغيرها من المواضيع العلمية، أما الإجابات فلا شك أنها تروي العطشان، وتُسمن وتغني من جوعٍ، بجميع معانيها.

لم يتم طبع المكتوبات؛ إلا القليل النادر منها، والتي تم طبعها بأسماء مختلفة، فهي: (١) جمال قاسمي (٢) المكتوبات القاسمية (٣) فيوض قاسمية (٤) لطائف قاسمي (٥) أجوبه أربعين (٦) القصائد القاسمية (٧) الأسولة الخاملة في الأجوبة الكاملة (٨) انتباه المؤمنين (٩) مكاتيب قاسم العلوم (١٠) الخط المقسوم من قاسم العلوم وغيرها.

الملاحظة: لا يغيبن عن البال أن الكتب المذكورة التي عرّفت، حصلنا على تعريفها أصالةً.

الباب الرابع

الإمام النانوتوي وعلم الحديث:

مما لا يخفى على دارس تاريخ الإمام أنه عنى بعلم الحديث النبويّ عناية بالغة وشارك في حلقة الدرس لمحدث عصره، والمتولي منصبَ العلم للشاه ولي الله المحدث الدهلوي، الّذي كان يُعدّ مرجعًا رئيسيًّا لأهل العلم في الهند آنذاك وهو الشاه عبدالغنى المجدّدي الدّهلوي، فدرس عليه صحيحَ البخاري ومسلم، وجامع الترمذي، والمؤطّأ للإمام مالك، وتفسير الجلالين كما صرّح بذلك الشاه عبدالغني في سنده، ورأى بعض أهل العلم أن الإمام قرأ على الشاه عبدالغني ''سنن النسائي'' أيضًا [١]؛ لكن لا يصّرح بذلك السَّندُ الذي منحه الإمامَ [٢].

كتب الشيخ عاشق إلهي البرني – رحمه الله– في ترجمة الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي – رحمه الله– أنه قرأ الكتب الستّة على الشاه

(١) الشيخ أسير الأدروي، **الإم النانوتوي، حياته وخدماته،** (ديوبند، أكادمية شيخ الهند بدارالعلوم ديوبند)، ص ٦٣، والسيد محبوب الرضوي، **تأريخ دارالعلوم ديوبند،** (ديوبند مكتبة دارالعلوم ديوبند)، ص ١٠٤.

(٢) الشيخ محمد أسجد القاسمي الندوي، **الإمام النانوتوي ومآثره في خدمة علم الحديث، هندوستان اور علم حديث،** ص ٣٦٤.

عبدالغني بكاملها[١]، يمكن لنا أن نحملَ قول الشيخ البرني في شأن العلامة الكنكوهي على إمامنا النانوتوي، فإنهما كانا رفيقين؛ نعم لاخلاف في أن الإمام لم يستطع أن يدرس '' سنن أبى داؤد'' على الشاه عبدالغني لوجهٍ من الوجوه، فقرأه على الشيخ أحمد علي السّهارنفوري، حينما كان يعمل مصحِّحاً في المطبعة الأحمديّة، فيكتب الشيخ محمد يعقوب النانوتوي: '' أكمل دراسة الكتب، أما الحديث فقرأه على الشاه عبدالغني'' [٢].

لقد عُلم مما سبق أن الإمام قد تتلمذ لتحصيل علم الحديث على الشَّيخين المذكورين، مما يُسفر عن ظهور أثرهما في مؤلفات الإمام النانوتوي ومآثره.

إكمال دراسته:

كتب الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي – حفظه الله– أحد مشيخه الحديث بالجامعة الإسلامية دارالعلوم ديوبند حاليًا، في هذا الصّدد:

'' لم يصرّح أحدٌ في أية ترجمة للإمام النانوتوي بالسّنة التي تخرّج فيه، إلا أن العلامة الكنكوهي – رحمه الله– قد تخرّج عام

(١) الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي، **علماء ديوبند اور علم حديث**، (دفتر اجلاس صد ساله دارالعلوم ديوبند، ١٩٨٠م)، ص ٣٤.

(٢) الشيخ محمد يعقوب النانوتوي، **سوانح عمري**، ص ٤٩.

١٢٦٥هـ، ثم عاد إلى وطنه كما يقول الشيخ عاشق إلهي البرني – رحمه الله – فمن أغلب الظن أن الإمام أيضًا أكمل دراسته في هذا العام.

عمله تصحيح الكتب:

وبعد أن أكمل دراسته اشتغل بوظيفة تصحيح الكتب في المطبعة الأحمدية، التي أقامها الشيخ أحمد علي السهارنفوري، فقام ببطولات مجيدةٍ في خدمة الحديث الشريف، وهي أوّل مطبعةٍ في الهند اهتمّت بطبع كتب الحديث، وانتقلت إلي ميروت بعد حدوث الثورة عام ١٨٥٧م ففي الأيام التي كان يعمل مصححاً في المطبعة قرأ ''سنن أبي داؤد'' على المحدث السهارنفوري، فتفطّن بلوغَه إلى أوج الكمال في العلم، وفي هذه الأيّام قام بتحشية الأجزاء الأخيرة لـــ ''صحيح البخاري'' [١] كما سيأتي تفصيله.

شهادته وسنده لعلم الحديث:

كتب الشيخ أسير الأدروي:'' قرأ علم الحديث على شيخين، فتبلغ شهادته إلى مرجع الأسانيد ومسند الهند، الشاه ولي الله المحدث الدهلوي – رحمه الله– بواسطتين[٢]، وكلتاهما فيما يأتي:

١- عن الشيخ عبدالغني المجدّدي، عن الشاه أبوسعيد المجدّدي

---

(١) الشيخ أسير الأدروي، **الإمام النانوتوي، حياته وخدماته**، (ديوبند: مكتبة دارالعلوم ديوبند)، ص ٦٤– ٧٣.

(٢) أسير الأدروي، **حياة وكارنامة**، ص ٦٤.

وعن الشاه محمد إسحاق الدهلوي، عن الشاه عبدالعزيز، عن الشاه ولي الله –رحمهم الله تعالي عليهم أجمعين–.

٢- عن أحمد علي السهارنفوري عن الشاه محمد إسحاق الدهلوي عن الشاه عبدالعزيز عن الشاه ولي الله المحدث الدهلوي[١].

رحلته إلى الحجاز:

كما أسلفنا أن الإمام كان قد شارك في الجهاد ضدالإنجليز، حتى عدّتْه الحكومة الإنجليزية ثائراً عليه، فلم يجد فرصةً لإن يقوم بمأثر علمية، فإنه كان ينتقل من مدينة إلى مدينة، إلى أن جاءت سلطة أخرى فأعلنت العفو العام لكن لم يطمئن قلبه فصمم العزم على أن يهجر المدينة ويرحل إلى الحجاز وجعل يُعدُّ لذلك مستهدفا حجَّ بيت الله فبدأ رحلته في جمادى الأولى ١٢٧٧هـ موافقاً لـ ديسمبر ١٨٦٠م وتشرف بحفظ القرآن أثناء السفر وبعد أن اتم الحج رجع إلى وطنه في ديسمبر ١٨٦١م[٢].

عمله مدرساً للحديث الشريف وإعداد الرجال:

بعد أن أعاد الله الإمام إلى وطنه من سفره المبارك أقام بوطنه

(١) أسير الأدروي، ***حيات كارنامے***، ص ٤٦.

(٢) الشيخ نور الحسن راشد الكاندهلوي، **قاسم العلوم والخيرات احوال وأثار، باقيات ومتعلقات**، (مظفر نجر مفتي إله بخش اكيدمي ١٤٣٦هـ، ص ٢٠٣- ٢٠٤). وأسير الأدروي، **الإمام النانوتوي حياته وخدماته**، ص ٩٧- ٩٨.

وفي هذه الأيّام استدعى منه بعض العلماءِ تَدريس هذا العلم الشريف فبدأه بـ ''صحيح البخاري''، والشيخ محمد يعقوب النانوتوي، يعدّ نفسه من الذين تدرّسوا عليه في هذه الأيّام كما يقول:

'' وفي هذا الزمان، قرأت شيئاً من صحيح البخاري على الشيخ''. (١)

ولّما اختلّ النظام للمطبعة الأحمديّة بعد إخفاق ثورة عام ١٨٥٧م، شغل تصحيح الكتب في '' ميروت'' على طلب من ''المنشئ ممتاز علي''.

وبجنبه قام بتدريس كتب الحديث في أوقات الفراغ، حتى تتلمذ عليه دائرةٌ من أهل العلم، كما قرأ الشيخ محمد يعقوب النانوتوي ''صحيح المسلم'' على الإمام في هذا الزمان.(٢)

وبعد أن لم يحالفه النظام للمطبعة المجتبائية أيضا، عمل مؤظّفًا في المطبعة الهاشميّة، ثم في ''المطبعة المصطفائية بدهلي'' وفي غيرها من مختلف المطابع، تمّ لما أقام ''بميروت''مرّةً ثانيةً لم يترك تدريس الحديث الشريف وراء ظهره، فقرأ عليه ''الشيخ محمد على المونغيري'' أيضا كما أوحي في هذه الأيام بفكرة تأسيس مدرسةٍ دينيةٍ. (٣)حينما يخوض الدّارسُ في تدريس الإمام الحديثَ الشريف،

(١) الشيخ محمد يعقوب النانوتوي، **سوانح عمري**، ص ٩٠.

(٢) أسير الأدروى، **الحياة والخدمات**، ص ١٠١.

(٣) سيد محبوب رضوي، **تاريخ دارالعلوم ديوبند**، ج ١، ص ١١٤.

يُخيّل إليه أنه كان يواظب عليه ويداوم، فإن الطّلاب الذين كانوا يتلقون عليه العلم نراهم في عددٍ هائل، لا بأس به، إلا أنهم ما كانوا يتلقون في مدرسةٍ؛ بل إنما كانوا يقرأون في مسجدٍ أو بيت رجلٍ [١].

حبّه رسولَ الله -ﷺ-:

يكتب الشيخ منصور أحد خان الحيدر آبادي، أحدُ تلاميذ الإمام:

'' كانت تعتريه الهزّةُ حينما كان يسمع اسم سيدنا رسول الله ﷺ ويتغير لون وجه، وتظهر له حالةٌ خاصة عجيبة، لايمكن أن تُوصف[٢].

طرازه في إلقاء خطبة التدريس:

يقول الشيخ محمد يعقوب النانوتوي -رحمه الله- وهو يبيّن ناحيتَه العلمية: كانت ترِد عليه الموادّ، إلى أن قال الإمامُ مرّةً: يصعب عليّ ماذا أبيّن منها وماذا أترك[٣] وبمثله يقول الشيخ حبيب الرحمن -رحمه الله-:

''بينما كان يلقي خطبةَ التدريس، إذ يتوقف لدقيقةٍ أو دقيقتين ويسكت، فقيل له: لما ذا تتوقّف أثناء إلقاء الخطبة، قال: تظهر عليّ

(١) أيضاً ص١١٥.

(٢) الشيخ منصور أحمد خان الحيدر آبادي، **مذهب منصور**، (محمود بريس ١٣٢٧هـ)، ص ١٨١.

(٣) الشيخ محمد يعقوب النانوتوي، **سوانح عمري**، ص: ٣٥.

عشرات أساليب، ومواضيع مختلفة، فتتوقف الطبيعةُ، وأجعل أفكـرّ، ماذا أخذ منها، وماذا أترك[١].

أسلوبه في تدريس الحديث الشّريف:

يكتب الشيخ محمد علي المونغيري – رحمه الله- من تلاميد الإمام'' من فضل الله عليّ أنه أسعدني بحضور درس الإمام النانوتوي لعلم الحديث، واتّفق لي ذلك في مدينة '' ميروت'' والأغلب أن هذا هو الزّمان الذي كان يلقي الإمام دروس صحيح المسلم، فمرّة قرأ التلميذُ الحديث، وكان مرتبطًا بمسألةٍ خلافية، رأيتُ أنه ألقى خطبةً شاملةً في ضوء الدلائل، يُتوهُّم منه تائيدُ الشوافع، فتحيّر الطّلاب، فقالوا: أيها الإمام! إن خطبتك تُوهِمُ تصحيح ما ذهب إليه الشافعي، وأمّا مايسلكه الأحناف هل هو غير صحيح؟ ما سمع الإمام ما قلنا حتّى تغيرّ لونُ وجهه، ثم ألقي الخطبةَ فبُهت الناس، والذّي كان يطمئنّ إليه قلبُه أنّه ليس مذهب يطابق الأحاديث[٢] إلا مذهب الأحناف وبمثله ما قاله الشيخ محمود حسن الديوبندي –رحمه الله– اَحدُ تلاميذ الإمام:

(١) الشيخ اشرف على التهانوي، **أرواح ثلاثه**، (خواجه بريس دهلي، ١٣٥٢هـ)، ص ١٩.

(٢) الشيخ مناظر احسن الكيلاني، **سوانح قاسمي**، ج ٢، ص ٢٤٣.

كان من دأبي أني لا أحضر درس الإمام إلا بعد مطالعةِ كتب الشاه ولي الله المحدث الدهلوى، فكنت أسأل منه ما يُعدّ من الأدّق في مؤلفات المحدث الدهلوي، فالأجوبة التي كان يجيبُ بها الإمامُ في أوّل مرّةٍ نجدها إجابات نهائيّة عند المحدّث الدهلوي وهذا ما جرّبتُه عدّة مرّاتٍ[1].

ميزته في إلقاء الدرس:

كتب الشيخ أسير الأدروي:''حينما بدأ الإمام تدريس الحديث الشريف أضاف إليه الانتقادا الداخليّ وكذلك كُلُّ ما بيّن من مفاهيم الأحاديث نظراً إلى الأوقات، والأوضاع، والبيئات، وسياق الحديث وسباقه، وخلفيّته بالإضافة إلى بذل سعيه لفهم منشأ الرّسالة إخلاصاً وتحقيقاً. كلّ ذلك من ميزات الإمام التي انفر دبها، كما أن هذه كلّها تشير إلى رفعته في العلم[2]. فكل من يفكر في هذه الرّوايات، ثم يخوض في ميزات درسه، يعثرعلى أن:

''كان درسُ الإمام خزينةَ العلوم، لشذود طرزه، والتعمق، وكثرة العلوم والمعارف، تحقيقاً وتدقيقاً، ولذا كان الناس يلزمونه في سفره وحضره، فينهلون من منهله العلميّ'' كما أن الدارس يطّلع على:

---

(١) الشيخ أسير الأدروي، **شيخ الهند حيات وكارنامه**، (ديوبند أكاديمية شيخ الهند بدارالعلوم ديوبند)، ص ١٧.

(٢) الشيخ الأدروي، مقدمة **شيخ الهند *حيات وكارنامے***، (اكاديمية شيخ الهند ١٤٣٣ه)، ص ١٧.

١ - شغفه بحب رسول الله ﷺ، فقد بشّره شيخه الحاج امداد الله المهاجر المكي – رحمه الله – بقوله: هذه كلّها من إضافات النبوّه علي قلبه، وها هو الثقل الذي كان يشعربه النبي ﷺ حينما كان ينزل عليه الوحيُ ''(١).

٢- تبحر علمه العلمي الذي يرشد إلي ما ينتج عن قوّة الفكر والنّظر، والتعقّل وإلى طرق ينابيع العلم والمعرفة، والفرقان، وبجانبه طلعة الشاه عبدالغني المجدّدي بكامله، ومظهر علوم الشاه ولي الله الدهلوي، وغيرها من الميزات تشهد على سعة نظره، وعلوّ فكره.

إن درس الإمام الكبير كان يجمع النّكات العلميّة التحقيقيّة، والدّراسات التحليليّةَ، واللطائف الاستدلاليّة، فقد كتب الشيخ منصور علي خان – رحمه الله- أحدُ تلاميذ الإمام الإمام وهو يشرح منهج درسه: الحق أن الإمام لّما كان ينصرف إلى إثبات مسألةٍ هامةٍ معقّدةٍ، خلاف ما يقوله الجمهور، فكان يتحيّر كبارُ أهل العلم ويتعجّبون، والحكم الذي يُرى في الظاهر أنه لا دليل عليه ولا برهان، ولا يسوغه العقل، يوافق بعد تطبيق خطبة الإمام عليه، ما كان يجترئ جبابرة العلم على أن يكشفوا عن وجوههم خلاف دلائله(٢).

(١) مناظر أحسن الكيلاني، **سوانح قاسمي**، (ديوبند مكتبة درالعلوم ديوبند،)، ج ١، ص ٢٤٦.

(٢) الشيخ منصور على خان، **مذهب منصور**، ج ٢، ص ١٧٨.

أهم ميزات درسه في علم الحديث:

يمكن لنا أن نلخّص أهم ميزات درسه في علم الحديث، فيما يأتي:

١-التعليق المتوازن على سند الحديث والدّلالة على مواضعه.

٢-تائيد المسألة المعنيّة، بدلائل المذاهب الأربعة.

٣-اثبات ما ذهب إليه الأحناف، ثم تقويته بالعقل والنّقل وبيان وجوه الترجيح.

٤-الحوار عن جميع جوانب الحديث الخلقيّة والتربوية، مما يسمن ويغني من جوع.

٥-الكلام على الأحاديث تحقيقاً وتحليليًا، واستدلالاً وأصولاً.

٦-التطبيق بين الرّوايات المتعارضة.

٧-إيضاحُ تناسق الكتاب والسنة مع الفقه الإسلاميّ.

٨-القيام بالعدل في المسائل المختلفة.

فهذه الميزات كلّها تشير إلى ذوقه في الحديث الشريف، ورسوخه في العلم وإنفراده عن كثير من المحدّثين.

الجامعة الإسلامية دارالعلوم ديوبند وإسهاما تها في علم الحديث:

إن من الثّابت ثبوتًا لاشك فيه أن تنمية الطريقة الشائعة في المدارس، وترويج سمة التدريس لعلم الحديث التي هى موضع

العناية الكبرى من الجامعة الإسلامية دارالعلوم ديوبند. تاليفاً، وتصنيفاً وتعليقاً، وتشريحاً، تنقيحاً، وتحقيقاً[١].

كلّها ترجع إلى الإمام الكبير، حجة الإسلام محمد قاسم النانوتوي – رحمه الله– فكما يكتب الشيخ عتيق أحمد القاسمي:

''قد أعطى حجةُ الإسلام الشيخ محمد قاسم النانوتوي تَعليم الكتاب والسّنة في حركته التعليمية مقامه اللائق به، فأدرج تدريس الكتب السّتة وغيرها من كتب الحديث المستندة في المنهج الدّراسيّ الرّائج، وابتكر لتدريس هذا العلم طريقةً تنسجم بها الكتاب مع السّنة .... تحمل مكتوباته ورسائله على المسائل الخلافيّة مكانةً في الاجتهاد تظهر عطورُ معالِم الكتاب والسنّة خطوةً بعد خطوةٍ، فتجد استنباطات لطيفة ما لا تجدها في كتب الفقهاءِ المتقدّمين'' [٢].

وإنه حقيقة وشهادة تاريخية ما يكتبه الشيخ المقريء محمد طيب

---

(١) ليراجع للمزيد من التفصيل إلى جريدة ''**الداعى**'' بدر الحسن قاسمي، (مكتب الاحتفال المئوي بدارالعلوم ديوبند)، ص ٤٤. دارالعلوم ديوبند حركة إسلامية فكرية، توجيهية...، عبيد الله الأسعدي (ديوبند أكادمية شيخ الهند، ١٤٢٠هـ/)، ص ١٥٧– ٢٠٦، والاستاذ ابو بكر غازيفوري: **خدمات علماء الجامعة في الحديث النبوي**، (لجنة النشر والطباعة مكتب الاحتفال المئوي الجامعة الاسلامية دارالعلوم ديوبند ١٤٠٠هـ).

(٢) الشيخ عتيق أحمد القاسمي، **الإمام النانوتوي محدثا وفقيها**، (الإمام محمد قاسم النانوتوي حياته وأفكاره وخدماته) ص ٣٦٤.

– رحمه الله– رئيس الجامعة سابقاً: ''إن الإمام لم يدرّس مرّةً في رحاب الجامعة، ولا أنه تسلَّم مناصب الإدارة تقليديًّا''[١] فهل كان الإمامُ بمعزلٍ عن الجامعةِ حقًّا؟ والحقُّ: لاَ، فإن الشواهد تنكره، والحوادث ترفضه، كما يشهد بذلك التاريخ: فإن افتتاح الجامعة، واستعداد الحاج السيد عابد حسين لجمع التبرُّعات، وتعيين الملاّ محمود الدّيوبندي مدرّساً، وشراء الأرض للجامعة قبل حفلة إناطة العمائم، ووضعه الأصولَ الثمانية لها، كلّها تنفيه، وأما عزله في الظّاهر فأشار إلى وجوهها الشيخ المفتي أبو القاسم النعماني – أدام الله ظله علينا– بقوله:

من المعلوم أن الإنجليز لما أعلن إلقاءَ القبض على مجاهدي ثورة عام ١٨٥٧م اضطَرّ الإمامُ إلى أن يختفي، فإنّه أُصدر الأمر بالقبض في حقّه أيضًا، فلما أعلن العفو العامَّ بعد سنةٍ كاملةٍ وألغى الأمر به فعاد الوضعُ إلى ما كان؛ لكن بقى الإسم في محضر المجرمين فكانت السلطة ترعى أعمالهم ونشاطاتهم، هذا هو السرّ في إبقاء إسم الإمام النانوتوي تحت طيّ الخفاءِ من حيث كونهُ مؤسِّسًا، وإظهار اسم شخصية كانت بمعزلٍ عن جميع الشكوك والشبهات، فإن الحكومة إن ذهبت بها الظّن إلى أنه تعمل وراءَ إنشاء مدرسةِ ديوبند يدُ الإمام النانوتوي. من الممكن الغالب أن لا تمضي عليها يومان إلاّ وتُقضى عليها بالزوال[٢].

(١) مناظر أحسن الكيلاني، **سوانح قاسمي**، (ديوبند: مكتبه دارالعلوم ديوبند) ج١، ص ٤١٢.

(٢) المفتي أبو القاسم النعماني، **باني دارالعلوم ديوبند، حياة افكار، خدمات**، ص ٣٨٦.

و بالإجمال قام الإمام بإدراج الحديث الشريف في المنهج المدّراسي للجامعة وأعطاه مكان الصّدارة، فالينبوع العلمي للأسرة المحدث الدهلوي الذي كان نضب ماءها أجراه الإمام مرّةً ثانيةً، واتّصلتْ أسنادُ أبناءِ الجامعة بسنده بواسطة الإمام الكبير، فاتّخذت الجامعةُ أسلوب تدريس الحديث للإمام النانوتوي أسوة لها. حتى عُرفت بمزايا خاصَّة.

مزايا دراسة الحديث في دارالعلوم:

ومن أجلّ الخصائص التي عرفت بها دارالعلوم في دراسة الحديث ما يلي:

١- إلقاء الضوء أوّلاً على غرض الشارع من النصوص التي يعتصم بعراها أهل كل مذهب من المذاهب الأربعة، وإن كان هناك فيه شيءٌ من الغموض فيشرحونه شرحا يرتاح له القلب.

٢- إنهم لا يُنيطون شرح الأحاديث المشكلة والمتعارضة بلفظ واحد أو طريق واحد، بل يتفقدون جميع الألفاظ المروية – عن طرق مختلفةٍ للحديث- ويتوخَّون فيها لفظ الشارع.

٣- إنهم يعتنون أشد اعتناء في إفصاح منشأ ما وقع بين الأمة من الاختلاف البيّن في الأعمال التي جرى التعامل بها – مأثوراً- في

الأمة كرفع اليدين، وتعيين مواضعه، والوتر وتعيين ركعاته، وصلاة الجمعة وشروط أدائها، وما شاكلها من المسائل الأخرى التي تباينت فيها الأقوال فهم يعتنون – في الدرس- كثيراً بهذه الناحية ويقربون هذا الاختلاف إلى أذهان الطلبة، حتى يعرفوا أنه لم يكن بد من هذا الاختلاف، وأن أصحاب المذاهب معذورون فيه، وهذا أمر مهم جدّاً، وأنَّ الإهمال لهذا الجانب يفضي إلى سوء الظن بالتعامل والنقل، وإنه أقوى حجة في الباب.

٤- إنهم لا يتعصّبون لأقوال الأحناف بل يحرصون دائما على الأخذ بالكتاب والسنة، والعمل بما يوافق السنة الصحيحة، وإن كان يخالف ذلك آراء الأحناف، عملاً بما روي عن الإمام الأعظم من أنه ما صح عن الرسول صلى الله عليه وسلم فهو مذهبي.

٥- إنَّهم يوجهون الطلاب إلى ما في الأحاديث من نواحي خُلقية؛ لتكون حياتهم طاهرة نقية متحلية بالأسوة النبوية.

٦- وذلك مع كمال التأدب مع الأئمة الأعلام والاحترام لآرائهم فلا يصدر من أحد – من قول أو فعل- ما يمس كرامة الأئمة وعلماء الأمة السابقين، بل جميع الطلبة والأساتذة يخضعون لمكانتهم العلمية الكبيرة السامية، ويشكرون لجهودهم الجميلة المشكورة، وأعمالهم الرائعة في نشر الدين وحفظه، ويعترفون بجميلهم الذي

أسدَوه إلى الأمة الإسلامية وأبقوا به الدين في صورته الأصلية النقلية.

٧- وإنهم يفضّلون الجمع بين ما تعارض من الروايات قـدرَ ما أمكن، وإذا رجَّحوا مذهبًا ومالوا إلى العمل بحديث لم يهجـروا مـا عارضه أيضًا ولا التجأوا إلى تضعيفه، بل جعلوا له محمـلا يرتـاح لـه القلب وتطمئن به النفس[1].

المزايا الّتي سلفتْ ذكرُها في سـبيل تـدريس الحـديث، للإمـام النانوتوي تبنّتهـا الجامعـة الإسـلامية دارالعلـوم ديوبنـد، وتنـا ولتهـا الأوساط العلميّـة حتـى صـارت الجامعـةُ مـن أهـم المراكـز لتـدريس الحديث في شبه القارة الهنديّـة، واجتـازت حـدودَ القـارة، فبلغـت إلى ''بورمـا، وماليشـيا، والسـودان، وإيـران، وأفريقيـا، وأفغانسـتان وتركستان وغيرها من القطر، وترى أرض الحجاز التي تُعدّ منبعًا لعلـم الحديث أنّها أيضاً لم تستطع أن تصرف وجهها عن إفاضتها وإفادتها[2].

ولي أن أقول: إن الخدمات التي قام بها العلماء إلى عصرنا هذا، والتي يقوم بها أبناء هذا العصر، درساً وتدريسًـا، تاليفًـا وتصـنيفًا، لا شك أنه يرجع فضلها إلى الإمام النانوتوي بواسطة دارالعلوم ديوبند، ونرى في مقدّمتهم: شيخ الهند محمود حسن الديوبندي، وإمام العصر العلامة محمد أنور شاه الكشميري، وشيخ الإسلام السيّد حسين أحمد

(١) عبيد الله أسعدي، **دارالعلوم ديوبند**، ص ١٨٣ - ١٨٤.

(٢) السيد محبوب الرضوي، **تاريخ دارالعلوم ديوبند**، ج ١، ص ٤٥٢.

المدني – رحهم الله– فهولاء قد عزّز وامنهج الإمام، فلا ترى مدرسةً دينيةً تهتم بتدريس هذا العلم إلا وهى تتبنّاها، بل تعدّ النّسبة إليها مفتخرا لنفسها.

قام العلامة رشيد رضا المصري، مدير مجلّة '' المنار'' بزيارة دارالعلوم ديوبند عام ١٩١٣م فحضر ساعة الدرس للعلامة محمد أنور شاه الكشميري فلما سمع تشريحه، وأسلوبه والموادّ العلمية لم يملك نفسه أن قال:

'' لولا عناية إخواننا علماء الهند بعلوم الحديث في هذا العصر، لقضي عليها بالزّوالِ من أمصار الشّرق، فقد ضعفت في مصر والشام والعراق والحجاز منذ القرن العاشر للهجرة حتى بلغت منتهى الضّعف في أوائل القرن الرّابع عشر[١].

وملخص القول: تتجلى جوانب خدمة الحديث الشريف للإمام النانوتوي وراء تأسيس الجامعة الإسلامية دارالعلوم ديوبند، وتدوين المنهج الدّراسي والتركيز على المنهج التعليميّ للقرآن والحديث[٢]، وخاصّة في بداية أسلوبٍ تفصيلي وطراز تحقيقيٍ على المستوى العالي لتدريس الحديث الشريف.

---

(١) **مقدمة مفتاح كنوز السنّة**، (إداره ترجمان السنة لاهور، ط: مصر، ١٣٥٣هـ)، ص: ... (ق).

(٢) الدكتور عبدالرحمن البرني، **علماء ديوبند وخدماتهم في علم الحديث**، (ديوبند أكادمية شيخ الهند بدارالعلوم ديوبند ١٤٣١هـ)، ص ٣٤.

الباب الخامس

عمل بارز في خدمة الحديث: التعليق على صحيح البخاري:

من المآثر القيّمة، الحيّة الخالدة للإمام النانوتوي في سبيل خدمة الحديث الشريف، إتمامُه '' تحشية البخاري'' ومما يثير العجب أن الإمام قام بهذه الخدمة العظيمة حينما بلغ من عمره إلى ١٨/ سنةً، فقد وكّل الشيخ أحمد علي السهارنفوري التعليق على الأجزاء الخمسة الأخيرة إلى الإمام النانوتوي فبالغ جهده فيه واستوفي حقَّه.

يقول الشيخ محمد يعقوب النانوتوي:

'' ولىَّ الشيخ أحمد علي السهارنفوري خمسةَ اوستّة أجزاءِ من آخر ''صحيح البخاري'' للتعليق عليه، وإصلاح الأخطاء المطبعية فيه فكتب، وأجاد، فلينظر من شاء، هل يُمكن أن يكتب أحسن منه؛ فعددٌ من الذين ما كانوا يطلعون على نبوغ الإمام في العلوم، توجّهوا إلى المحدث السهارنفوري قائلين: ماذا فعلتَ؟ قد وكلت تعليقه إلى رجل لا يعلم بشيءٍ، فقال: لست سفيهاً، أن أقوم بعمل ولا أتفكر، ثم أراهم نموذجًا عن مّا قام به الإمام من التّعليق''[1] ثم قال المحدث السهارنفوري الذين جاءوا إليه معترضين:

(١) الشيخ محمد يعقوب النانوتوي، **سوانح عمري**، ص ٢٩- ٣٠.

’’ لكم، أن تضعو اعلاماتٍ على المواضع الصّعبة من الكتاب ثم اسئلوه عنها، ففعلوا، فأراهم ماعلق الإمامُ على تلك المواضع، فوجدوا الأعتراضات التي أثارها الإمامُ، ثم أجاب عنها زائدة على ما أثارها المعترضون، فاعترفوا بنبوغ علمه وتبحرّه‘‘[١].

ثبت مما أسلفنا أن الإمام قامَ بالتعليق على الأجزاء الخمسة الأخيرة، كما هو عرفٌ معروف، ورأى بعض أهل العلم عمل التعليق على أربعة أجزاءِ ونصف؛ ولكن الحقيقة حقًّا أن الإمام قام بالتعليق على الأجزاءِ الثلثة الأخيرة (من كتاب المحاربين إلى آخر الكتاب) وهذا ما يراه الشيخ محمد يونس الجونفوري، متعنا الله بطول حياته وعلومه شيخ الحديث بجامعة مظاهر العلوم سهارنفور حالياً، كما ينطق عليه أسلوب الحاشية ومنهجُه وتفصيلُه وإيجازُه[٢].

مميزات حاشية البخاري:

الأجدرُ بنا أن نُسمِّيَ تعليق الإمام على البخاري شرحاً له، فلا ريب أنه يجمع في حيّزه:تسهيلَ فهم الكتاب، وحلّ المعضلات،

(١) الشيخ نو رالحسن راشد الكاندهوي، **احوال وآثار**، (مظفر نغر: أكاديمية مفتي الهى بخش ١٤٣٦)، ص ٧٤.

(٢) محمد أسجد القاسمي الندوي، **هندوستان اورعلم حديث**، (مظفربور: مركز الشيخ أبى الحسن علي الحسيني الندوي)، ص ٣٧٠.

والمبهمات، وايضاحَ المجملات، والتّنبيه على الأغلاط والتحقيق عن الـرّواة والرجال، والتطبيق والتّرجيح وقت التعارض وترجيح المذهب الرّاجح مع بيان الوجوه، وغيرها من الميزات.

أهميّة الأجزاءِ الأخيرة للتعليق:

تحمل الأجزاء الأخيرة لكتاب ''صحيح البخاري'' في نفسها معاني قيّمة، فإن الإمام البخاري قد عقّب على أراءِ الإمام أبي حنيفة – رحمه الله- الفقيهيّة وأفكاره وشدّد في ذلك، فالإمام النانوتوي، قام بالتعليق على تلك الأجزاءِ وردّ على اعتراضات الإمام البخاري وتعليقاته النّقديّة، وحلّلها فاستوفى حقَّه[1]. فيكتب الشيخ أسير الأدروي – حفظه الله- ''قام الإمام البخاري – رحمه الله- في الأجزاء الأخيرة بالدّلالة على اعتراضاتٍ على الإمام أبى حنيفة – رحمه الله- وأشارَ إليها، ومن المعلوم لدى كلّ أحدٍ أن روايات البخاري تكون لها وزن كبير فاقتضى الردُّ عليها إلى التعمق في خرينة علم الحديث كلّها، فإنه لا يمكن إلا به، فكان من الواجب أن تُشرح الرّوايات في ضوءِ العقل والنقل بأن يتناسق مذهب الأحناف مع مُرادِ الشريعة، فقام به الإمام أحسن قيام، ولم يكتب شيئاً إلاّ أحالَها، كما أنّه

(١) الشيخ برهان الدين القاسمي، **الامام محمد قاسم النانوتوي،حيات وأفكار وخدمات**، (دهلي، تنظيم أبناء قديم دارالعلوم ديوبند)، ص ٣٠١.

لم يؤوِّل الرّوايات مفرِطًا ولا أنكرها[1].

نموذج عن مميزات التعليق على صحيح البخاري:

المقامُ غيرُ متسعٍ لأن نقدّم إلى حضرتكم نماذج عن تعليق الإمام على صحيح البخاري، فأكتفي على مثالٍ واحد فحسب، قال الإمام في صدد بيع العبد المدبّر:

فباعه بثماني مائة درهم فيه جواز بيع المدبر وهو مذهب الشافعي واما عندنا اي الحنفية لا يجوز بيع المدبر المطلق وهو الذي علق عتقه بمطلق موت، والمقيد وهو الذي قال له المولى إن مت في مرضى هذا مثلاً فأنت حر فبيعه جائز بالإتفاق، ولنا في المطلق قوله –عليه السلام– المدبر لا يباع ولا يوهب ولا يورث وهو حر من الثلث ولأن سبب الحرية انعقد في الحال لعدم الأهلية بعد الموت، والجواب عن هذا الحديث وغيره من استدلالات الشافعي انه لا شك ان الحر كان يباع في ابتداء الإسلام على ماروى أن –ﷺ– باع رجلا يقال له سرق في دينه ثم نسخ ذلك بقوله تعالى '' و إن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة'' ذكره في الناسخ والمنسوخ فلم يكن فيه دلالة على جواز بيعه الآن بعد النسخ وإنما يفيده استصحاب ما كان من جواز بيعه قبل

(١) الشيخ أسير الأدروي، **الإمام النانوتوي، حياته وخدماته**، (ديوبند أكاديمية شيخ الهند، بدارالعلوم ديوبند)، ص ٧٦.

التدبير إذ لم يوجب زوال الرق عنه ثم رأينا انه صح عن عمر – رضي الله عنه – لا يباع المدبر ولا يوهب وهو حر من الثلث وقد رفعه الى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لكن ضعف الدار قطنى رفعه وصحح وقفه وأخرج الدار قطنى أيضا عن على بن ظبيان بسنده عن ابن عمر قال المدبر من الثلث وضعف ابن ظبيان.

والحاصل أن وقفه صحيح وضعيف رفعه فعلى تقدير الرفع لا اشكال وعلى تقدير الوقف لا يعارضه النص البتة لانه واقعة حال لاعموم لها، وإنما يعارضه لو قال عليه السلام يباع المدبر، وإن قلنا بوجوب تقليده فظا هر وعلى عدم تقليد، ويجب أن يحمل على السماع لان منع بيعه على خلاف القياس لما ذكرنا أن بيعه مستحب برقبته فمنعه مع عدم زوال رقبته، وعدم الإختلاط بجزء المولى كما في أم الولد خلاف القياس يحمل على السماع فبطل ما قيل حديث ابن عمر لا يصلح لمعارضة حديث جابر وأيضا ثبت عن ابي جعفر انه ذكر عنده أن عطاء وطاؤسا يقولان عن جابر في الذي اعتقه مولاه عن مدبر الحديث فقال ابو جعفر شهدت الحديث من جابر أنما اذن في بيع خدمته رواه الدار قطني عن عبدالغفار بن القاسم الكوفي عن أبي جعفر وقال ابو جعفر هذا وإن كان من الثقات الإثبات ولكن حديثه هذا مرسل، وقال ابن القطان هو مرسل صحيح لأنه من رواية

عبدالملك بن ابي سليمان الغزرمي وهو ثقة عن أبي جعفر انتهى، فقد صرّح ابو جعفر محمد بن الباقر الإمام باعه سنهد حديث جابر وإنه إنما اذن في بيع منافعة ولا يكن يثقه امام ذلك الإ بعله من جابر الراوى للحديث هذا خلاصة ما حققه المحقق ابن الهمام[١].

فمن يمعن النظر وجد الإمامَ يتحدّث عن الأسناد والمتون آتيًا بمباحث نفسية، ومن دأب الإمام أنه لا يُوجب على نفسه تائيد ما قال المصنفُ وتصويبه، كما هو دأبُ عامة الشرّاح، ويؤيده المثالُ مذكورُ؛ بل تناول الإمامَ البخاري بالإنتفاد في مواضع، ويضُمّ المثالُ غيرَها من الموادّ والمباحث العلميّة، وذلك كلّه يشهد بسعة نظره، وتدقيقه في المسائل [٢].

ميزات التعليق البارزةُ في سطور:

١- الكلام على معاني الحديث ومفاهيمه، وتشريحه بأن يُقنع.

٢- يحقق الأسناد، ويعين مواضع الرّواة.

٣- ينبّه على الأخطاء والاوهام ويعرض عن التاويلات الفاسدة.

٤- يطبق بين الرّوايات المتعارضة.

(١) بخاري شريف، ج ٢، ص ١٠٦٦، حاشيه، ١.

(٢) من شاء أن يرى نموذجاً لهذه الميزة فليراجع إلى: صحيح البخاري، ج ٢، ص ١٠٣٣، رقم الحامش: ٥، ص ١٠٧٥، وإلى رقم الهامش ٩/ ص: ١٠٣٠.

٥- يرجِّح مذهب الأحناف، ويثبته في ضوء الدّلائل.

٦- يجيب عن المواضع التي يطعن بها البخاري على الأحناف إجابة مقنعةً، مؤيدةً بالدلائل، ويعزز مذهب الأحناف بالرّوايات المعتمدة[1].

٧- يستوعب الموضوعَ، ويُحيل كلّ ما نقل في التعليق[2].

٨- يعمل سَعيَه في تنسيق الفقه الإسلامي مع الحديث.

فكل من يطالع تعليق الإمام على ''صحيح البخاري'' يتّضح أمامه خدماتُه في علم الحديث، ولا شك في أنه يشكل عملاً عبقريًا في الموضوع المعنى.

إجراء التحقيق عن مراتب كتب الحديث ولمحةٌ لعلم الحديث في مؤلفاته ومكتوباته:

يكتب الشيخ محمد أسجد القاسمي: ''من أهم خدمات الإمام في هذا الصدد أنه أجرى التحقيق عن مراتب كتب الحديث وطبقاته، وأصولِ النّقد، قام الإمام بترتيب كتب الحديث بخاصّة، وهذا هو الشائع في الأوساط قام الإمام بإعداد كتابةٍ نفيسةٍ عن هذا الترتيب

(١) من شاء أن يرى نموذجاً لهذه الميزة فليراجع إليالبخاري ج ٧، ص ١٠٢٧، رقم الهامش ١٣-١٢.

(٢) برهان الدين القاسمي، **الإمام النانوتوي، حياته أفكاره وخدماته**، (دهلي، تنظيم أبناء قديم دارالعلوم ديوبند)، ص ٣٠٧.

والتنويع في كتابه '' هدية الشيعة''[١].

وكما اتفق مَهَرَةُ علم الحديث على أنه ''ما استطاع احدٌ أن يفهم أصول النّقد لعلم الحديث مثل الإمام[٢].

ويكتب المحدّث الجليل النّاقد الشيخ ظفر أحمد التهانوي: ''بيّن الإمام النانوتوي مراتب كتب الحديث وطبقاته وأصول النّقد لعلم الحديث، فأحسن وأجاد، فكلّ من يدرسه يضطرّ إلى أن يُقرّ بأنه''ما وافق أحداً فهمُه لأن يدرك أصولَ النقد، وقواعد التطبيق كما بيّنها الشاه ولي الله المحدث الدهلوي في كتابه ''حجة الله البالغة'' إلا الإمام النانوتوي، يفوق كل من ادر كها شيئًا[٣].

الإمام النانوتوي وأراءه عن النسخ والتطبيق:

كتب الفقيه البارعُ الشيخ خالد سيف الله الرحماني: إن من دأب الأحناف في حين تعارض الروايات أنهم يتوجهون إلى دلائل الناسخ والمنسوخ أوّلاً، ويحكمون بالنسخ إن وجدوها؛ وإلاّ فيبحثون عن وجوه الترجيح، فإن لم يجدوها فيتوجهون إلى التطبيق والتوفيق بين

(١) أسجد القاسمي، **هندوستان اور علم حديث**، (مظفربور: مركز الشيخ أبي الحسن علي الحسيني الندوي)، ص ٣٧٣.

(٢) نور الحسن الكاندهلوي، **احوال وآثار**. ص١٣١.

(٣) المرجع السابق، ص ٦٣٣.

الرّوايات؛ لكن الإمام النانوتوي كما يقول به مزاجه: يرى أن يبذل السعيَ إلى التطبيق لا إلى الترجيح، وأن لا يُترك حديث لا يُعمل به إلى حد يمكن، وتشهد بذلك المباحث والمواد التي ترتبط بالأحاديث في كتابيى الإمام: الحق الصّريح وتوثيق الكلام[١].

بل يرى استحباب الأحكام التي نُسخت، وبقيت مشروعيّتها في نفسها وذلك ليمكن العمل بها، ولذا يقول: إن عدد الصلوة التي أُمربها النبي عليه السلام أوّل مرّةٍ وهو الخمسون باقيةٌ استحبابها وإن نُسخت[٢].

الإمام النانوتوي ومسألة القرأة خلف الإمام:

من مؤلفات الإمام التي صارت على جانب عظيم من الخطورة في احتوائها على المباحث الحديثية، تأليفُه: توثيق الكلام في الإنصات خلف الإمام فقد تحدَّث فيه على طراز أهل الكلام في ضوء الأحاديث، وله توجيه استقل فيه بنفسه في هذا الصّدد:

إن قراءة المؤتم سورةَ الفاتحة، وعدم قراءته إنما يتعلقان بالإمام من حيث كونه نائبًا عنهم، وصلوته تعد أصيلةً، وصفةُ الإمام هذه (كونه نائباً) تتدرّج إلى أوج الكمال، فالتّسليم كان جائزاً (في بداية الأمر) ثم نسِخ، ثم المؤتمون كانوا يضمّون السورة بالفاتحة فنُسخ

(١) الكاندهلوي، **احوال وآثار**، ص ٦٣٣.

(٢) خالد سيف الله الرحماني، **الإمام النانوتوي، حياة وأفكار**، ص ٢٩١.

الضم، وبعد ذلك نسخ أمر قراءة الفاتحة، وذلك لتبلغ نيابة الإمام وكونه ضامنا في الصلوة إلى أعلى درجة الكمال[١].

لمحة عن علم الحديث في مكتوبات الإمام:

للإمام رسالةٌ مرتبطة بحديث: فضل العلماء على العابد كفضلي على أدناكم[٢] ومكتوبٌ له يتحدث عن حديث ''نحن معاشر الأنبياءِ لا نورث ما تركناه صدقة'' ويشرحه شرحا وافياً، ويردّ أهل التَّشيُّع: ومكتوبٌ يرتبط بحديث: ''كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها'' وقام بإعداد كتابة على صحة الحديث المرسل ضمن مكتوب يبحث عن ركعات التراويح، وتطرق إلى مكتوبه هذا المعروف باسم ''الحق الصريح'' مباحث عليمة هامّة[٣].

كما قام الإمامُ بتشريح قوله عليه السلام ''قيل يا رسول الله من نؤمرّ بعدكَ، في ''انتباه المؤمنين من صفحة ١/ إلى صفحة ٢١، وبتشريح الحديث: أين كان ربّنا قبل أن يخلق الخلق، وذلك في رسالة '' قاسم العلوم'' (العدد ١/ رقم المكتوب، ٢/ من صفحة: ١/ إلى ٤٦) وتفصيل الحديث: '' من لم يعرف إمام زمانه مات'' في رسالة: قاسم العلوم (العدد: ٤/ رقم المكتوب : ١١، من صحفة: ١/ إلى

(١) توثيق الكلام، **ملخص مجموعة رسائل**، ص ٣٣٤.

(٢) نور الحسن راشد الكاندهلوي، **أحوال وآثار**، ص ٧٣١.

(٣) أسير ادروي، **حيات أفكار، خدمات**، ص ٢٩٤ **وهندوستان اور علم حديث**، ص ٣٧٤.

صحفة: ٧) والتطبيق بن حديثي:

١- المكاتب عبد ما بقي عليه من مكاتبه درهم.

٢- إذا أصاب المكاتب حداً أو ميراثاً، ورث بحساب ما عتق، في رسالة قاسم العلوم (العدد: ٤/ رقم المكتوب/ ٥/ من صحفة ١/ إلى صفحة: ٣٢) وبين معنى الحديث: ''كان في العماء[1]'' (في رسالته '' فرائد قاسمية ص: ١٦١/ الى ص: ١٦٤).

لا تنس أن هذه التشريحات كلها بأسلوب علمي، تحقيقي، وللإمام رسالةٌ باسم ''تحذير الناس من إنكار أثر ابن عباس'' هي أيضا تتضمن المباحث الحديثية، فهى عديمة المثال.

إلى جانب ماذكرنا، يطلع الباحث على مباحث ونكت قيمةٍ لعلم الحديث المنثورة في مؤلفاته وكتبه.

الحق أن الإمام لم يجد فُرصةً لأن يؤلّف ويصنّف، ويخوض في ميدان الكتابة ويتخذها الشغل الشاغل لنفسه، فقد شغله المباحثات والمناقشات ضد الأديان، وبذلُ الجهود المكثفة لتخليص الهند من أيدي الإنجليز الغاشم بالإضافة إلى النشاطات في سبيل إقامة المراكز المعاهد العلمية عن التصنيف والتاليف بالفعل.

إلاّ أن ما ذكرنا من الأعمال والجهود تظهر منها مكانته في هذا الشان والآن نذكر إليك طرفًا ضروريًا عن تلاميذه الذين اشتهروا في خدمة علم الحديث.

(١) الكاندهلوي، **احوال وآثار**، ص ٧١٦.

الباب السادس

أشهر تلاميذ الإمام في علم الحديث:

إن الإمام النانوتوي قام بإرواءِ العلوم النبويّة بجوانب عديـدةٍ، قام بتدريس الحديث الشريف، فقـرأ عليـه عـدد كبـير مـن الطـلاب والعلماء المتوافدين، وتخرّجوا وارثين علومَه، كما كتـب الشـيخ أسـير الأدروي في كتابه.

'' داوم الإمامُ على التدريس، فـدرّس الكتـب مـن كـل علـم وفَن، لم يتولَّ منصب التدريس في موضـعٍ واحـدٍ؛ بـل درّس يومًـا في ''نانوته'' ويومـاً في مسـجد تشـته بديوبنـد'' مـرةً في ''مـيروت'' وأخرى في مقامٍ آخر، إن أقام بميروت مدةً توافد عليه الطلاب، وبدأ عملية التدريس هناك، ماكان لهم دفتر، تُسجّل فيها أسماءهم''[1].

فلا يمكن أن تُرتّب قائمة تلاميذ الإمـام، قـد ظهـر ممـا ذُكـر عظمةُ الأستاذ، ومكانته وتبحّره في العلوم والفنـون، والمجـالُ غـير متسع لأن نفصل القول في تلاميذه واحداً، واحداً، فنجمـل ونـذكر منهم طائفةً ضرورية.

شيخ الهند محمود حسن الديوبندي– رحمه الله–:

المترجم يعرّف هذا المحدث الجليل بقوله:

'' ولد رحمه الله في ١٢٦٨هـ بمدينة بـريلي يـوبي، حيـث كـان

(١) الشيخ أسير الأدروي، **حياة وكارنامه**، ص ١٠٧– ١٠٨.

أبوه موظفاً في مصلحةٍ حكوميّة، ونشأ في ديوبند، ويتصل نسبه بسيدنا عثمان بن عفان – رضي الله عنه – قرء المختصرات على عمه الشيخ مهتاب علي، ثم جاء تأسيس الجامعة الإسلامية دارالعلوم ديوبند، فالتحق بها، وهو أول طالبٍ للجامعة تلمذ على العلماء المعروفين بورعهم ورسوخهم، منهم: ملا محمود، والشيخ محمد يعقوب النانوتوي، والشيخ السيد أحمد الدهلوي، – رحمهم الله – وأخذ الحديث عن الإمام محمد قاسم النانوتوي – رحمه الله – وصحبه مدّة طويلةً، وانتفع به نفعًا كثيرا، حتى صار بارعاً في العلوم ونيطت به الفضيلة في ١٢٩٠هـ[1].

التدريس والإفادة:

أحسّ فيه الأساتذة مخايل النجابة ومآثر العلم والذكاءِ فعينوه مدرساً في دارالعلوم ديوبند عام ١٢٨٨هـ، ودرّس صحيح الإمام البخاري، وصحيح الإمام مسلم وسنن الإمام الترمذي، ومشكاة المصابيح في ١٢٩٣هـ وصار في ١٣٠٨هـ شيخ الحديث فيها، وتولّى منصب رئاسة التدريس، ولم يزل يدرّس إلى أربعة وأربعين سنة، وتتلمذ عليه جم غفير من كبار العلماء والمشائخ، بلغ عددهم إلى ثماني مائة.

(١) ومن شاء المزيد من التفصيل فليراجع إلى ''**حيات شيخ الهند**، لصاحبه الشيخ أصغر حسين الديوبندي، (ديوبند: ايم ايس ببليشرز)، ص ١٥، ١٧، ومحبوب الرضوي، **تاريخ دارالعلوم ديوبند**، (ديوبند: مكتبة دارالعلوم ديوبند)، ج ٢، ص ١٩٠؛ وأسير الأدروي، **شيخ الهند حيات وكارنامه**، (اكاديمية شيخ الهند بديوبند)، ص ٤٥.

أجـرى شـيخ الهنـد- رحمـه الله- أسـلوبَ تـدريس الحـديث لأستاذه، الإمام النـانوتوي في بيئـة دارالعلـوم ديوبنـد، فـأبقى هـذه الرواية إمام عصره العلامة محمد أنور شاه الكشميري، والشيخ السيد حسين أحمد المدني، وتبعه العلامة فخـر الـدين المـراد آبـادي، وتـرتج أجواء الهند بخطبه الإملائية الدراسية.

مؤلفاته:

كان – رحمه الله- قليل الاشتغال بالتـأليف بالنسـبة إلى غـزارة علمـه وكثـرة دروسـه، فلـه تعليقـات عـلى سـنن أبي داؤد، وامـلاؤه الدراسي عـلى سـنن الترمـذي مطبـوع في الهنـد مـع أصـل الكتـاب، بالإضافة إلى، النور الساري على صحيح البخـاري، الـلآلي المنثـورة، الورد الشذي وغيرها من الإفادات الدراسية.

الشيخ فخر الحسن الكنكوهي:

من أخص تلاميذ الإمام النانوتوي، كان عالماً متبحـراً، خـاض في ميدان التأليف والكتابة فمن مؤلفاته:

(١)التعليق المحمود حاشية على سـنن أبي داؤد، (٢) وحاشـية مختصرة على سنن ابن ماجه، ليست هذه الحواشي مختصرة ولا مطوّلة فهذان الكتابان يجسّمان ضوءًا يتجلى على تعمقه في علم الحديث[١].

(١) سيد اشتياق اظهر، **سوانح علماء ديوبند**، (نـواز ببليكيشـنز ديوبنـد، ٢٠٠٠م)، ص ٥٣٠- ٦٥١.

الشيخ أحمد حسن المحدث الأمروهوي:

تلقى دراسته على الإمام النانوتوي أيام كان مقيما بمدينة ''ميروت'' فقرأ عليه كتب الحديث، قام بتدريس الحديث الشريف في مختلف المدن من: ''خورجه، وسنبهل، دهلي، والمدرسة القاسمية بمرادآباد، والمدرسة الإسلامية بجامع مسجد أمروهه، ودارالعلوم ديوبند''، فلستُ حاجة إلى اثبات كثرة تلاميذه(١).

ومن الذين تتلمذوا من غيرهم على الإمام الكبير: الشيخ عبدالرحمن الأمروهوي والشيخ الحافظ عبد العدل، والشيخ الحكيم منصور علي خان، الشيخ عبدالعلي الميروتي، وقاموا ببطولات مجيدة.

وفاته

إن الشخصية التي كانت تُبلي بلاءً حسنة في جميع مجالات الدين بجسمها وجوارحها، معزّزةً بالقوّة الرُّوحانية - فقد كان الإمام الكبير موسِّسًا لأول حركةٍ إسلامية وتعليمية بعد إنهيار سلطة ''دهلي'' في عصر الاستعمار البربطاني، وشارحاً لعلوم الشاه ولي الله المحدث الدهلوي، ومحافظاً لها وأمينًا عليها، بجانب ابتكاره أسلوباً فلسفيًا جديداً لتفسير الإسلام-، قد دعاها خالقُها إلى حضرته، فلبّت دعوته، وانتقلت بجسمها وروحها إليه، بعد صلاة الظهر ٤/ جمادى الأولى ١٢٩٧هـ ١٥/ إبريل ١٨٨٠م، وغاب عنّا من كان:

(١) نسيم أحمد الفريدي، **سوانح علماء ديوبند**، ص ٣٦٦- ٤٣٠.

في قلبـــه علـــمُ قـــرآن وحكمتُـــه
يُبـــدي معارَفـــه في كـــلّ محتضـــر
كم مـن مشـاكل علـم غـاض لجّتَهـا
وحلّهـا بـدقيق الفكـر غـير مقتصـر
إذا ارتقـى في أعـالي الـرأي لاح لـه
مـا في الغيـوب هنـا مـن كـلّ مسـتَترِ

صلى عليه جمع غفير مـن النّـاس، ودُفـن بقطعـة أرض وقفهـا صاحبُها الطبيب مشتاق أحمد أنذاك، وعُرفتْ بالمقبرة القاسمية، وهي تقع في الشّمال الغَربيّ للجامعة[1].

خاتمة البحث

قد اتّضحت مما أسلفنا مأثر الإمام الكبير، قدوة علـماء ديوبنـد حجة الله في أرضه الإمام محمد قاسم النـانوتوي – رحمـه الله وأفـاض عليه سجال كرمه- في إشاعة علم الحديث الشريف ونشره.

والحق أن إمامنا الكبير كان على رأس قائمة المحدثين، فكل مـا قام به بلسانه وكتابته في هذا الصّدد يفوق الرّيب والشّك؛ فإن الينبوع الصّافي لعلم الحديث الـذي أجـراه الإمـامُ الـدهلوي، صـانه الإمـام الكبيرُ عن المحدثات والعوارض، وأعـاد نفعـه بـتأسيس دارالعلـوم ديوبند، بعد أن هجمت عليه العواصف، فالخدمات التـي قامـت بهـا

(١) الشيخ أسير الأدروي، **الحياة والخدمات**، ص ٢٢٥، **وتاريخ دارالعلوم ديوبنـد**، ج ١، ص ١٢٢، ونور الحسن راشد الكاندهلوي، **الأحوال والآثار**، ص ٢٢٣.

الجامعة وأبناءها، والتي تقوم بها الان يرجع كلّها إلى الإمام الكبير النانوتوي – رحمه الله-.

فمن الواجب:

على أبناءه الذين ينسبون نفوسهم إليه أن يعيروا مؤلفاته وكتبه عنايةً واهتماما بالغاً، دراسةً ومطالعةً.

وأن يقوموا بتحقيقها وتسهيلها، ليعُمّ نفعها.

وأن يهتموا بإصدارها ونشرها.

وأن ينقلوها من الأرديّة إلى العربية، ليقع إخواننا العرب على علم مؤلفاته القيمة العلمية، فكما قال حكيم الأمة الإسلامية، الشيخ أشرف علي التهانوي – رحمه الله- إن أسلافناهم في شأنهم من الرّفعة ما هم فيه، إن سعِد أحد بنقل كتبهم إلى العربية، ولا يُصرِّح بأسمائهم، فكل من يراها، يحسبها من مؤلفات الإمامين: الرّازي والغزالي، – رحمهما الله- ويعدّها منها[1]. اللهم وفّقنا لذلك.

تلك محاولاتي، فإذا كنتُ قد أصبتُها فذلك الفضل من الله (مابكم من نعمةٍ فمن الله النحل: ٥٣) وإن كانت الثانيةُ، فإنما هي نفسي، وأستغفر الله، كما أني لا أدّعي الاحاطةَ، فسبحان من أحاط بكلِّ شيءٍ علماً.

(١) مجلّه ''الرشيد'' ساهيوال، باكستان، ص ٢١٩، السنة: ٤/ العدد، ٢-١٣١٦٣هـ ١٩٧٦م.

المصادر والمراجع

الف				
١	القرآن الكريم			
٢	ارواح ثلاثة	الشيخ اشرف على التهانوي	خواجه بريس دهلي	١٣٥٢هـ
٣	الإمام محمد قاسم نانوتوي حيات افكار خدمات		تنظيم ابناءِ قديم دهلي	٢٠٠٥م
٤	امتياز دارالعلوم في دراسة الحديث النبوي	إمام العصر العلامه انور شاه الكشميري	مكتب الاحتفال المئوي بالجامعة الإسلاميه دارالعلوم ديوبند	١٤٠٠هـ
٥	آئينه حقيقت نما	الشيخ اكبر شاه النجيب آبادي	اكاديمية شيخ الهند دارالعلوم ديوبند	١٤٣٤ه
٦	البداية والنهاية	الحافظ عمادالدين اسماعيل بن عمر	مكتبة المعارف بيروت	١٩٧٧م

التاء				
٧	تاريخ دارالعلوم	سيد محبوب رضوي	مكتبه دارالعلوم ديوبند	١٤٢٢هـ
٨	تاريخ دعوت وعزيمت	الشيخ ابو الحسن على الندوي	مجلس تحقيقات ونشريات إسلام لكنؤ	١٤٣١هـ
٩	تحذير الناس	الشيخ محمد قاسم النانوتوي	كتب خانه اعزازيه ديوبند	بدون
١٠	تحفه لحمية	الشيخ محمد قاسم النانوتوي	كتب خانه رحيمية ديوبند	بدون
١١	تدوين حديث	الشيخ مناظر أحسن الكيلاني	مكتبة نعيمية ديوبند	٢٠٠٨م
١٢	تذكره علماء هند	مترجم محمد ايوب القادري	المجمع التاريخي الكراتشي	بدون
١٣	توثيق الكلام	الشيخ محمد قاسم النانوتوي	كتب خانه اعزازيه ديوبند	بدون

الثاء				
١٤	الثقافة الإسلامية في الهند	السيد عبدالحئ الحسني	مجمع اللغة العربية دمشق	بدون
الحاء				
١٥	حجة الإسلام	الشيخ محمد قاسم النانوتوي	كتب خانه اعزازيه ديوبند	بدون
١٦	حضرت نانوتوي كى ديني وعلمي خدمات كا تحقيقي مطالعه	محمد اسعد تهانوي	شعبة القرآن والسنة الكراتشي	٢٠٠٥م
١٧	حيات شيخ الهند	مولانا اصغر حسين ديوبندي	ايم ايس ببليشرز ديوبند	بدون
١٨	حيات شيخ عبدالحق	خليق احمد نظامي	دارالمصنفين دهلي	١٣٨٤هـ
١٩	حيات ولي	شيخ رحيم بخش	افضل المطابع دهلي	بدون

الخاء				
٢٠	خدمات علماء الجامعة في الحديث النبوي	الأستاد ابوبكر الغازي فوري	مكتب الاحتفال المئوي بالجامعة الإسلاميه دارالعلوم ديوبند	١٤٠٠هـ
الدال				
٢١	دارالعلوم ديوبند احياء إسلام كي عظيم تحريك	مولانا اسير ادروي	دارالمؤلفين ديوبند	٢٠٠٨م
٢٢	دارالعلوم ديوبند تاريخها وخدماتها		مكتب الأحتفال المئوي بالجامعة الإسلاميه دارالعلوم ديوبند	١٤٠٠هـ
٢٣	دارالعلوم ديوبند حركة فكرية	عبيد الله الأسعدي	شيخ الهند اكاديمي ديوبند	١٤٢٠هـ
٢٤	دنيائے إسلام كى عظيم ترين شخصيت	مفتي سعيد أحمد البالن بوري	مكتب الاحتفال المئوي بالجامعة الإسلاميه دارالعلوم ديوبند	١٤٠٠هـ

السين				
٢٥	سوانح علماء ديوبند	نواز ديوبندي	نواز ببليكيشز ديوبند	٢٠٠٠م
٢٦	سوانح عمرى	مولانا محمد يعقوب نانوتوي	مذيل بـــ سوانح قاسمي	١٩٩٢م
٢٧	سوانح قاسمي	مناظر أحسن الكيلاني	مكتبه دارالعلوم ديوبند	١٩٩٢م
الشين				
٢٨	شيخ الهند حيات وكارنامى	مولانا اسير ادروي	شيخ الهند اكاديمي	١٤٣٣هـ
الصاد				
٢٩	صحيح البخاري	محمد ابن اسماعيل البخاري	ياسر نديم ايند كمبني ديوبند	٢٠١٠م
العين				
٣٠	العقيدة الإسلامية شبهات وردود	تعريب الأستاذ محمد ساجد القاسمي	شيخ الهند اكاديمي ديوبند	١٤٣٥هـ

٣١	علماء ديوبند اور علم حديث	الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي	مكتب الاحتفال المئوي بالجامعة الإسلاميه دارالعلوم ديوبند	١٤٠٠هـ
٣٢	علماء ديوبند وخدماتهم في علم الحديث	الدكتور عبد الرحمن البرني	شيخ الهند اكاديمي ديوبند	١٤٣٢هـ
٣٣	العناقيد الغالية من الأسانيد العالية	الشيخ عاشق الهي	مكتبة النعمانية ديوبند	١٤٠٨هـ
الفاء				
٣٤	فتح المغيث	الحافظ السخاوي	المدينة المنورة	١٣٨٨هـ
القاف				
٣٥	قاسم العلوم والخيرات أحوال، آثار، باقيات ومتعلقات	نور الحسن كاندهلوي	مفتي الهي بخش اكاديمي مظفرنجر	١٤٣٦هـ

٣٦	قبله نما	الشيخ محمد قاسم النانوتوي	مطبع خير خواه سركار سهارنبور	بدون
الميم				
٣٧	مباحثه شاهجهان بور	الشيخ محمد قاسم النانوتوي	كتب خانه اعزازيه ديوبند	بدون
٣٨	مجلة الداعي	عدد الخاص عن الجامعة	مكتب الاحتفال المئوي بالجامعة الإسلاميه دارالعلوم ديوبند	١٤٠٠هـ
٣٩	مجلة الرشيد	عدد الخاص للجامة دارالعلوم ديوبند	ساهيوال باكستان	بدون
٤٠	مجلة الفرقان	المدير خليل الرحمن سجاد نعماني	نظير آباد لكنؤ	٢٠١٢م
٤١	مذهب منصور	مولانا منصور احمد حيدرآبادي	محمود بريس	١٣٢٧هـ

٤٢	مسلمانوں کا روشن مستقبل	طفيل أحمد منغلوري	مكتبة الحق جوغيشوري	١٤٢٢هـ
٤٣	مشاهير علماء ديوبند	قاري فيوض الرحمن	مكتبة عزيزيه لاهور	١٣٥٦هـ
٤٤	مشكوة المصابيح	العلامة التبريزي	ياسر نديم ايند كمبني ديوبند	٢٠٠٨م
٤٥	مصابيح التراويح	الشيخ محمد قاسم النانوتوي	اداره نشر واشاعت دارالعلوم ديوبند	بدون
٤٦	مقالات حبيب	الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي	اكاديمية شيخ الهند دارالعلوم ديوبند	١٤٣٠هـ
٧٤	مقدمة كشف الباري	مولانا سليم الله خان صاحب	دارالكتاب ديوبند	٢٠٠٦م
٤٨	مولانا محمد قاسم حيات وكارنامى	مولانا اسير ادروي	شيخ الهند اكيدمي ديوبند	١٤١٧هـ
النون				
٤٩	نزهة الخواطر	عبدالحئ الحسني	مير محمد آرام باغ الكراتشي	١٤٠٠هـ

الهاء				
٥٠	هفت رسائل	مولانا محمد قاسم نانوتوي	شيخ الهند اكيديمى ديوبند	١٤٢١هـ
٥١	هندوستان اور علم حديث	مرتب فيروز اختر الندوي	مركز الشيخ ابى الحسن على ندوي مظفر بور	١٤٣٣هـ
٥٢	هنوستاني نشاة ثانية مين قديم دهلي كالج كا كردار	شمس الهدى دريا بادي	شاهد ببليشرز دهلي	٢٠٠٥م

الإمام الأكبرمحمد قاسم النانوتوي

وتأسيسه لجامعة دارالعلوم/ديوبند

(١٢٤٨- ١٢٩٧هـ/ ١٨٣٣- ١٨٨٠م)

تحت رعاية:

مجمع حجة الإسلام بالجامعة الإسلامية دارالعلوم وقف ديوبند

الإعداد:

أرشد برويز

الطالب السنة الثالثة من العالية من قسم الشريعة

دارالعلوم ندوة العلماء لكناؤ (الهند)

تمهيد

إن الله جل ثناؤه يخلق الأشياء حسب ضرورة الإنسان والمكان، فحيثما تدعوالحاجة إلي شيء ينزل ثمة، وذلك تقدير العزيز العليم، فهذه الصحراء القاحلة والأرض الجدباء لا ينزل فيها المطر أم يقل؛ لأنها لا تحتاج في بقاء كيانها إلى الأمطار، وأما الغابات والمراعي الخصبة فقلما تخلو من شآبيب، بل تتمتع عامة بالوابل الصيب؛ لأن الأشجار والشجيرات لا تبقى بدونه، كذلك المناطق التي يشتد بها البرد يكثر فيها إنتاج الزعفران، وتوجد فيها أنعام كثيرة الأوبار والأشعار،للناس فيها دفء وحرارة حتى يستدفئوا بها في برد شديد قارس، وبالعكس من ذلك ترى المناطق التي يشتد بها الحر ويتعذر البقاء بها في الصيف أنها تتمتع بثمرات يوجد فيها نوع من البرودة الطبيعية، ولعل هذه سنة الله في بروء النسمات وتخليق الشخصيات، فإنه يبعث شخصيات وفق مصالح العصر والمصر، والزمان والمكان، هذه سنة الله التي قد خلت من قبل، ولن تجد لسنة الله تبديلاً.

إن القرنين التاسع عشر والعشرين كانا من أقسى أدوار التاريخ

الإسلا مي بالنسبة للإسلام والمسلمين بعد فتنة التتار، فقد استولى الغرب خلالهما على أكبر رقعة من رقاع العالم الإسلامي بعقليته الاستعمارية وسياسته الاستيطانية، وترفرت رايات أوربا على أقطار الشرق والغرب، فكانت الهزائم المتتالية في الحروب الصليبية وذكرياتها مؤلمة للغرب، كانت الأيام والليالي تمر بسرعة، ولكن آلام الجروح المثخنة التي أصيب بها تجعله يضطرب ظهراً لبطن، ويتململ تململ السليم، ولذلك كان أهل الغرب واصلوا الجهود في غزوهم الفكري بجانب فتح الأمصار والبلاد، واستهدفوا كلاً من حياة الرسول، وكتاب الله الخالد، والشريعة الإسلامية السمحة، والتاريخ الإسلامي الحافل بالأمجاد والبطولات، والفتوح الإسلامية بنقد لاذع وتحليل جائر، وأورثوا التشكيك في كل ما يمت بصلة إلى الإسلام من علم وأدب وتراث.

وكان عدد كبير من المسلمين يقطنون في شبه القارة الهندية، ولعلهم كانوا يشكلون ٤٠٪ تقريباً من سكان العالم الإسلامي، وكانت فيها حكومة مغولية ذات قوة وسيادة، ونظام أرستقراطي، وكان لها أهمية مخاصة في خريطة العالم الإسلامي من ناحية الذكاء والفطنة والغيرة الإسلامية، وكان موقع هذه المنطقة وسط العالم الإسلامي.

كانت هذه الأوضاع والظروف تتلطب شخصية فذة عبقرية،

تقوم برد قوي على شبهات تثار حول الإسلام بعد وزنها في موازين العقل وتحليلها في ضوء الفطرة الإنسانية، ولا يكون هذا العبقري ذكياً صرفاً، وفطناً خشناً لا تحضه العواطف والقيم، وإنما يكون بجانب النبوغ والعبقرية ثاقب الفكر، نافذ البصيرة، رابط الجأش، متوجع الفؤاد، لايهدأ له بال، ولا يقر له قرار، لا يصبر على غواية الأمة، ولايقعد عن العمل، وقد أعطى جزءاً من كرب الرسول الذي وصفه القرآن بـ ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [سورة الكهف: ٦]؛ لأن هذا هو الاضطراب والتململ الذي يحرض الإنسان على الصبر في البلايا؛ والمشي على القتاد، والجد والاجتهاد، والكفاح والجهاد، وكان من الضروري أن يكون جامعاً بين عاطفة وحنان، وجدية واتزان، متحمساً سكران في نشوة الغيرة والإباء، والأخذ بالثواب، صاحياً يقظان في معرفة العصر، محفوظاً بالتدبير والحكمة، والاعتدال والوسطية في الفروع والمتغيرات، يجمع بين الأصالة والمعاصرة والشريعة والواقع.

في هذه المرحلة الحاسمة من التاريخ برزت شخصية الإمام محمد قاسم النانوتوي رحمه الله مؤسس دار العلوم بديوبند، أكبر جامعات شبه القارة الهندية ، ولا تفتخر الأمة المسلمة الهندية على هذه الشخصية، بأنها كانت شخصية علمية دعوية فكرية على ذاتها فحسب، بل إنما تفتخر بأنها كانت أول شخصية قاومت تيارات الغرب

الملحدة وأوقفت سيل الاستعمار الجارف الذي يوشك أن تسيل فيه أكثرية الأمة الإسلامية الهندية مع تأسيس المدارس والجامعات لتقوية إيمان الجيل المسلم لكي تتغذى الأمة الإسلامية بالمدارس والجامعات غذاء الإيمان والروح والفكر السليم، وتعيد ثقتها بالدين الإسلامي وبجدارة الشريعة الإسلامية لحل الراهن المتجددة.

فإنه شخصية وحيدة وضعت أول نواة للمدارس الإسلامية والجامعات الدينية كما أنه ناظر غير مرة الفرق الضالة والحركات الملحدة التي كانت تثمر وتنتج وترقى في ظل الاستعمار ودحض معتقداتها الباطلة ومذعوماتها الفاسدة بأدلة وبراهين ساطعة وحجج قاطعة في ضوء الكتاب والسنة كالـ"المسيحية" و"آرية سماج" و"الشيعية" ودحر هذه الفرق المذكورة وحده.

وهذه مبعث الغبطة والفرح لي بأن أكتب في هذه الشخصية الفريدة المثالية شيئاً مقتطفاً مما كتبه وحرر العلماء والكتاب حول شخصية الإمام حمد قاسم النانوتوي رحمه الله، وقد عقدت لهذه المجالة (المقالة) ثلاثة أبواب وخاتمة.

وأما الباب الأول ففيه ثلاثة فصول، وأما الباب الثاني ففيه ثلاثة فصول، أيضاً ،وأما الفصل الثالث لهذا الباب ففيه ثلاثة مباحث، وأما الباب الثالث ففيه فصلان، وأما الفصل الثاني لهذا الباب ففيه مبحثان.

فالباب الأول: يتضمن **الولادة والطفولة والتعليم**.

والباب الثاني: يتضمن **خلفية تأسيس دار العلوم / ديوبند.**

والباب الثالث: يتضمن **رقي دار العلوم وتقدمها** .

الهند في القرن الثالث عشر:

وقبل أن نخوض في الباب الأول، لبيان ما يحتويه الباب من ولادة الإمام وطفولته وتعليمه، ينبغي لنا أن نلقي نظرة عابرة على الأوضاع والظروف التي عاشها الإمام محمد قاسم النانوتوي رحمه الله، فها نحن نقدم مقالة صاحب الكتاب **"إذا هبت ريح الإيمان"** يتجلى به وضع الهند الديني والسياسي أحسن ما يكون.

كانت الهند في القرن الثالث عشر للهجرة، قد وصلت إلى الحضيض بالانحطاط السياسية، والديني والخلقي، وقد تفرقت عصا المغول، وكانت هيبة المسلمين السياسية قد خرجت عن القلوب، ولم يكن لهم قائد يؤلف شملهم، ويوحد صفوفهم، فعمت الفتن والاضطرابات، وتوالت عليهم المحن التي كانت تضعفهم وتزيد وهنهم، وتؤلب علهيم أعداءهم.

ودخلت عادات قبيحة كثيرة في حضارتهم وثقافتهم، وكانو يتباهون ويعتزون بها، فكان شرب الخمر عادياً بسيطاً، لا يأنف منه المسلمون، وعمت الملاهي ونوادي الطرب والغناء والرقص، واصطبغ

الناس من الأغنياء ورجال الطبقة المتوسطة حتى الفقراء بهذه الصبغة، وأصبحوا عرضة للفساد الخلقي، وعم الشرك والبدع في المسلمين فاتخذوا لهم شريعة خاصة لتقديس القبور والموتى، وحل المشايخ ورجال الدين في قلوبهم محل كهنة النصارى واليهود، وبلغ تفديسهم لهم مبلغ تقديس المشركين العرب لأربابهم، ودخلت طقوس وعادات للهنادك والشيعية في حياة أهل السنة، وصارت جزءاً لا يتجرأ منها، وأصبحت السنة والشريعة درساً منسياً، وانصرف الناس عن الشعائر الإسلامية، وكاد العمل بالقرآن والحديث يبطل، وتضاءل الاهتمام والعناية بهما، وكره الناس زواج الأرامل وإشراك البنات في الإرث.

فالاقتباس الذي قدمناه لإستعراض أوضاع الهند الدينية والسياسية اتضحت منها الظروف التي كانت تواجهها المسلمون والأوضاع كانت تقتضي إلى أن تقوم شخصية عظيمة، تستطيع أن تقاوم التحديات المتنوعة وتقود الأمة الإسلامية قيادة دينية فكرية، وتعيد ثقة الجيل المسلم بدينه وإيمانه، كما يقول الشيخ أبوالحسن علي الحسني الندوي"في مثل هذا الوضع المضطرب كانت الحياة تتعطش إلى شخص أو جماعة تحولها إلى المجرى الصحيح، وتستغل الثروة الدينية، والكفاءات العلمية استغلالاً صحيحاً، ونافعاً مثمراً، ويحيي روح الزواياو وعلم المدارس، وحرارة الأولى ونور الآخرة، ويعممها

في سائر أنحاء البلاد، والذي يضم في حضنه مثل الزوايا، ونماذج المدارس المتنقلة، فيكون على متن الفرس عالماً، وفي المحاريب مجاهداً يلهب جذوة الإيمان من جديد، ويعيد الحرارة إلى القلوب الفاترة مرة أخرى، وينفخ الروح في الجسد الميت، ويحي الحرص على نيل علم الدين، والحمية الدينية من أدنى الأرض إلى أقصاها، ويصرف السليقة الطبيعية، والكفاءة المرهوبة للمسلمين إلى الاتجاه السليم، ببصيرته وتشخيصه الصميم، فلا يستهين بشيء ولو كان مهيناً، وكل من يتصف بهذه الصفات السامية، يعد إماماً في"المعجم الإسلامي"واحتل هذه المرتبة السامية في رجال منتصف القرن الثالث عشر بين مشاهير العلماء وكبار القادة حجة الإسلام الإمام محمد قاسم النانوتوي رحمه الله، الذي تشتمل هذه المقالة على نبذة من أحواله، وقصصه، ومآثره القيمة".

نبذة عن حياة الإمام محمد قاسم النانوتوي رحمه الله

الولادة والطفولة والتعليم

ولادته ونسبه:

هو محمد بن قاسم[١] بن أسد علي بن غلام شاه بن محمد بخش بن علاء الدين الصديقي النانوتوي رحمه الله، ولد في أسرة عريقة في المجد والشرف بقرية "نانوتة" في شهر شعبان أو رمضان ١٢٤٨هـ/ يناير ١٨٣٣م.[٢]

---

(١) هو قاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق ﷺ (٣١ــ١٠٦هــ/ ٦٥٣ــ٧٢١م) أخذ عن بعض الصحابة، وأخذ عنه طائفة من أعلام التابعين، وقال أبو الزناد:" ما رأيت أحداً أعلم بالسنة من القاسم، وهو أحد الفقهاء السبعة، وأما بقيتهم فهم سعيد المسيب (ت/ ٩٣هـ) وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود (ت/ ٩٤هـ) وعروة بن الزبير بن العوام(ت/ ٩٤هــ) وأبو بكر بن عبد الرحمن الحارث بن هشام المخزومي (ت/ ٩٤هـ) وسليمان بن يسار مولى ميمونة رضي الله عنها (ت/ ١٠٠هـ) وخارجة بن زيد بن ثابت الأنصاري (ت/ ١٠٠هـ) وهم أكبر التابعين، وكلهم من المدينة النبوية، وقد نظمهم بعض الأجلة في بيت واحد فقال:

فخذهم عبيد الله عروة قاسم

سعيد أبو بكر سليمان خارجة

(٢) الشيخ أسيرادروي، **الإمام محمد قاسم النانوتوي حياته ومآثره، (مولانا محمد قاسم نانوتوي رحمه الله حيات اور كارنامي)**، (الهند: أكاديمية شيخ الهند، ديوبند، ١٤٣٣هـ- ٢٠١٢م)، ، ص٤١.

طلبه للعلم:

كان الشيخ النانوتوي رحمه الله غاية في الذكاء والفطنة وسيلان الذهن وقوة الحفظ والإدراك، يقول أصدقاء كتابه، وكان منذ نعومة أظفاره ذكياً مفرط الذكاء، علي الهمة، ماضي العزيمة وصارمها، يفوق زملاءه في الكتاب، أولهم جمعاً للقرآن، وأجودهم خطاً مائلاً إلى الإنشاد ميلاً عظيماً.(١)

بدأت سلسلة قراءته من الكتاب، فقرأ القرآن الكريم، واللغة الأردية قراءة وكتابة، والفارسية، ثم قصد إلى "ديوبند" ولم يناهز ثامن أو تاسع (٢) سنوات من العمر، وتلمّذ على الشيخ مهتاب علي رحمه الله وقرأ عليه "ميزان منشعب"(٣) و"نحو مير"(٤) في فن النحو، و"بنج كنج"(٥) في فن الصرف، في اللغة الفارسية، ولقبه أستاذه الشيخ مهتاب علي رحمه الله بعد ما رأى من ذكاءه وفطنته، شاة العلم (علم كي بكري)(٦) ثم تحول إلى جده لأم في "سهارنبور" ومكث بها يقرأ على

(١) الشيخ مناظر أحسن الكيلاني، **سوانح قاسمي**، (سيرة الإمام قاسم رحمه الله)، (مكتبة دار العلوم ديوبند ١٣٧٣هـ)، ج١، ص١٦٢-ـ١٦٣.

(٢) المرجع السابق، ص: ١٧٨.

(٣) الكيلاني، **سيرة الإمام قاسم رحمه الله**، (**سوانح قاسمي**)، ج١، ص ١٨٦.

(٤) ادروي، **الإمام محمد قاسم النانوتوي حياته ومآثره**، ص٤٨.

(٥) المرجع السابق، ص ٤٨

(٦) الكيلاني، **سيرة الإمام قاسم رحمه الله**، (**سوانح قاسمي**) ج١، ص ١٩٢.

الشيخ محمد نواز السهارنبوري، الكتب الفارسية نثراً وشعراً على عادة أبناء البيوتات المسلمة في الهند، والعربية للمرحلة الابتدائية، فلمّا توفّي جده من الأم! الشيخ وجيه الدين عاد إلى قريته، وكان آنذاك الثاني عشر من عمره(١)، ومكث عاماً كاملاً في وطنه.

انقطاع السلسلة التعليمية:

لما توفّي جده لأم في سهارنبور رجع إلى بيته "نانوتة"، ولكن ما كان هناك أي مدرسة تجري فيها سلسلة القراءة إلى مرحلتي العالمية والفضيلة، سوى الكتاب، لأجل ذلك توقفت سلسلة القراءة للإمام الأكبر محمد قاسم النانوتوي رحمه الله، كما ذكر الشيخ الدكتور أويس الصديقي النانوتوي في كتابه "الإمام الأكبر الشيخ محمد قاسم النانوتوي رحمه الله وجهوده في إعلاء كلمة الله، "توقفت السلسلة التعليمية للإمام سنة كاملة، لعدم وجود مدرسة إسلامية عربية في وطنه، وعدم وجود عالم فيها، لذلك توقف عن التعليم.(٢)

ولكن بعد ما مضى سنة كاملة قصد الشيخ إلى دهلي، والتحق بكلية عربية كما يذكر الشيخ المذكور أعلاه في كتابه، حيث يكتب"وفي

(١) ادروي، **الإمام الأكبر محمد قاسم النانوتوي رحمه الله حياته ومآثره**، ص٤٩.

(٢) الشيخ الدكتور أويس الصديقي النانوتوي، **الإمام الأكبر محمد قاسم النانوتوي وجهوده في إعلاء كلمة الله**، (الهند: أكاديمية الإمام النانوتوي، نانوتة سهارنبور ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م)، ص٧٨.

نفس هذه السنة هاجر الشيخ الشاه محمد إسحاق المحدث الدهلوي رحمه الله[١] (م ـ١٢٦٢هـ) إلى مكة المكرمة، وكان الشيخ مملوك العلي النانوتوي[٢] (مـ١٢٦٢هـ) من محبيه يريد أن يرافقه في هذا السفر، إلا أنه ما استطاع أن يسافر معه لأشغال وظيفته في كلية دهلي التي كان يدرّس فيها، وبعد عدة شهور نال الإجازة من الكلية للحج، فبدأ سفره من بلدة "نانوتة"، ورجع من هذا السفر المبارك بعد سنة كاملة إلى وطنه.

---

(١) هو أبو سلميان إسحاق بن محمد أفضل العمري الدهلوي المهاجر إلى مكة المكرمة (١١٩٦ـ١٢٦٢) سبط الشيخ عبد العزيز الدهلوي من جهة الأم، من شيوخه الشيخ عبد الحي البرهانوي والشيخ عبد القادر الدهلوي، وقرأ سائر الكتب الدراسية على مؤخر الذكر، وتفقه عليه، وأخذ الحديث عنه، خلف الشيخ عبد العزيز بعد وفاته، وله تلاميذ أجلاء كالشيخ عبد الغني الدهلوي، ووالشيخ السيد نذير حسين الباني بتي، والسيد عالم علي المرادآبادي ، والشيخ أحمد علي السهارنبوري، وخلف آخرون، وأكثرهم نبغوا في الحديث، (الشيخ خالد سيف الله الرحماني، **الإمام محمد قاسم النانوتوي رحمه الله**.

(٢) هو الشيخ العالم الكبر مملوك العلي بن أحمد الصديقي النانوتوي (ت/ ١٢٦٥/ ١٨٥١م) أحد الأسالتذة المشهورين ومرجع طلبة العلم، ولد ب"**نانوتة**"، وقرأ في المدرسة الابتدائية هناك، ثم دخل دهلي وأخذ عن العلامة رشيد الدين الدهلوي وغيره من العلماء، وتمهر في الفقه والأصول والعربية، ولى التدريس بـ"**كلية دهلي**" فدرس وأفاد فترة طويلة، حتى ظهر تقدمه في العلماء، وسافر إلى الحجاز، فحج وزار ثم عاد إلى الهند بعد سنة كاملة، وعمل نائباً لرئيس هيئة التدرس بكلية دهلي، وأميناً عاماً بالمدرسة العالية (كولكاتا) وأخذ عنه خلق كثير لا يحصون بعدد ولاحد، فكثر تلاميذه ونبغوا، وانتفع بهم أجيال عبر السنين، (الإمام محمد قاسم النانوتوي للشيخ خالد سيف الله الرحماني).

فلمّا أراد أن يرجع إلى دهلي بعد قضاء العطلة السنوية في مسقط رأسه، علم بتوقف السلسلة التعليمية لبعض من أولاد العائلة، وكان فيهم محمد قاسم، فقرر أن يأخذه معه إلى دهلي عام ١٢٥٩هـ لكي يتمّ تعليمه هناك، فتحمّل مسئولية تعليمه وابنه، الشيخ محمد يعقوب النانوتوي رحمه الله[١] (م ـ ١٣٠٢هـ) في دهلي.[٢]

الالتحاق بالكلية العربية:

يقول الشيخ محمد أسيرادروي في كتابه: قصد الشيخ إلى دهلي والتحق بالكلية العربية في دهلي في الثاني من محرم عام ١٢٦٠هـ الموافق يناير سنة ١٨٤٤م، وفي الرابع منه بدأ دراسته بـ"كتاب الكافية"[٣] في

(١) هو العالم الكبير المحدث محمد يعقوب ابن الشيخ مملوك علي النانوتوي رحمه الله أحد الأساتذة المشهورين في الهند، ولد ١٢٤٩ هـ الموافق ١٨٢٣م ببلدة "**نانوتة**"، وتوفّي بها سنة ١٣٠٢هـ الموافق ١٨٨٤م قرأ الكتب الدراسية معقولاً ومنقولاً على أبيه الشيخ مملوك علي بمدينة دهلي، حيث كان رئيس التدريس في كلية دهلي العربية، ثم درس وأفاد بـ"**أجمير**" وبعد مدة ولّي التدريس بالجامعة الإسلامية دار العلوم ديوبند، فدرس بها مدة، وأخذ عنه خلق لا يحصون، وشغل بها كذلك منصب رئيس التدريس، كان من كبار الأساتذة، ظهر تقدمه في فنون، منها الفقه والأصول والحديث النبوي، والأدب العربي، وكان يميل إلى الشعر أحياناً، رحمه الله رحمة واسعة (تاريخ جامعة ديوبند بالأردية ٢ج٢، ص١٧١ـ١٧٧؛ و**نزهة الخواطر**، للشيخ العلامة السيد عبد الحي الحسني رحمه الله ٨/ ٥٥٠ـ٥٥١، لكناؤ ١٩٩٣م).

(٢) أويس النانوتوي، **الإمام الأكبر**، ص ٧٨.

(٣) أدروي، **الإمام محمد قاسم النانوتوي رحمه الله حياته ومآثره**، ص٥٠.

فن النحو، ثم مكث بها خمس سنوات[١]، واستقى من نبوعه الفياضة، ونهل من منهلها الصافي، وتخرّج في تلك الكلية العربية في دهلي عام ١٢٤٨م.[٢]

تفوقه في الفنون والمهارات الأخرى:

إن الإمام النانوتوي يفوق زملاؤه في كل لعبة يلعبها الأطفال في بلدة، كما كان يفوته في إتمامه القرآن الكريم، وقريض الشعر، وكتابة الكتب الدراسية بخطه الجلي الواضح، كما ذكر الشيخ أويس الصديقي النانوتوي في كتابه مقالة الشيخ محمد يعقوب النانوتوي، يقول: كان الإمام النانوتوي رحمه الله يفوق في تلك الألعاب أقرانه التي تتطلب الذكاء والحس المرهف، والجهد الجسماني، كنا نلعب سوياً عامة لعبة ريفية باسم "جورتور"باللغة الأردية، وكانت هذه اللعبة تتطلب من اللاعب العمل الذهني أكثر من الجهد الجسماني، فما تخلف عن هذه اللعبة، بل فاق زملاؤه فيها، ويضيف الشيخ محمد يعقوب "ذات يوم كنا نتعلم فن الرماية بالبندوقية في مكان مخصوص، فوصل إليه الإمام، وقال لنا علّموني فن الرماية فأشار الأستاذ الذي كان يعلّمنا الرماية إلى بعض من قواعده فتعلّمها وتمسك بالبندوقية بيديه، وجعل هيئة

(١) المرجع السابق، ص٥٢.

(٢) المرجع السابق، ص٥٢.

جسمه كالرماة الماهرين، فلمّا أطلق الرصاص الأول أصيب الرصاص الهدف في المرة الأولى، وكنا نحاول أصابة الهدف، وكان ذلك لفهمه الأسباب التي من أجلها يخطيء الرامي أهدافه، فتعلّم كيفية أخذ البندوقية لدى إطلاقها، فأخذ البندوقية في يديه، وأصاب الهدف في المرة الأولى، وهذا ليس بأمر صادفه، ولكنه عندما كان يطلق البندوقية يصيب الأهداف. (سوانح عمري، ص: ١١)[١]

رحلته لطلب الحديث النبوي الشريف:

درس الشيخ الصحيح للبخاري والصحيح المسلم والسنن للترمذي والموطأ للمالك، وتفسير الجلالين على الشاه عبد الغني المجددي[٢] الدهلوي (١٢٩٦هـ/ ١٨٧٨م) كما درس السنن لأبي داود، والسنن للنسائي والموطأ لمالك على الشيخ أحمد علي السهارنبوري (١٢٩٧هـ/ ١٨٧٩م).[٣]

التكميل الباطني:

بايع الإمام محمد قاسم النانوتوي رحمه الله وزميله في الدرس

(١) أويس النانوتوي، **الإمام الأكبر محمد قاسم النانوتوي وجهوده في إعلاء كلمة الله**، ص ٨٤ـ ٨٥.

(٢) ستأتي ترجمته في الفصل الثاني في صفحة.

(٣) أدروي، **الإمام محمد قاسم النانوتوي رحمه الله مآثره وخدماته**، ص ٦٢ـ٦٤.

المحدث الفقيه الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي[1] الحاج الشيخ إمداد الله الفاروقي التهانوي رحمه الله ثم المكي[2] (١٢٣٣-١٣١٧هـ/ ١٨١٧-١٨٩٩م) فارتقيا إلى منازل ودرجات عالية في مدة يسيرة، لا يصل إليه

---

(١) هو الشيخ رشيد أحمد بن الشيخ هدايت أحمد الأيوبي الكنكوهي، (١٢٦٦-١٣٢٣هـ/ ١٨٢٩- ١٩٠٥م)، الشيخ الفقيه المحدث الكبيروالعالم الرباني، وشيخ مشايخ الديوبندية، وصاحب التأليف السامية ومن المجاهدين المغامرين ضد الاستعمار الإنجليزي، قرأ على كبار مشايخ عصره، فقرأ أكثر الكتب الدراسية على الشيخ مملوك العلي النانوتوي وأخذ المعقول عن الشيخ المفتي صدر الدين آرزردة، وقرأ الحديث على عبد الغني المجددي، حتى فاق أقرانه في المنقول والمعقول واستفاد منه خلق كثير، وله مؤلفات عديدة منها: **مجموعة فتاواه في عدة مجلدات**، و**"لامع الدراري"** و**"الكواكب الدري"** (الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، المجلد الثامن) .

(٢) هو أحد الأولياء السالكين العارفين، اتفقت الألسن على الثناء عليه والتعظيم له، أخذ عن العلماء الكبار واستفاض عنهم استفاضة كثيرة، وفتح الله عليه أبواب المعرفة، وجعله من العلماء الراسخين في العلم، وقاد جماعة من العلماء والصلحاء وأهل الغيرة من المسلمين، أعلنت الحرب على الإنجليز، ثم هاجر إلى مكة المكرمة عند ما ضاق مجال العمل في الهند للإجراءات العدوانية التي اتخذتها الحكومة الإنجليزية بعد فشل ثورة ١٨٥٨، وألقى رحله بالبلد الأمين، كان دائم الذكر والمراقبة، فائض القلب والباطن بالعلوم والأنوار مع هضم للنفس وإطراح على عتبة العبودية، وتواضع العباد وإجلال للعلم والعلماء وتعظيم للشريعة والسنة السنية، استفاد منه العلماء الكبار، وأمه طلاب المعرفة واليقين من بلاد بعيدة، ونفع الله به خلائق لا يحصون، وله مؤلفات لطيفة كلها في الحب الإلهي والمعرفة، والتصوف، (الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، المجلد الثامن).

كبار المشايخ إلا بعد جهد جهيد ومجاهدات مضنية، وترويض نفس طويل، حتى قال الحاج رحمه الله: "أن من يحبني عليه أن يحبهما".[١]

بعد الفراغ من التعليم

عاد الإمام النانوتوي رحمه الله إلى وطنه بعد الاستفادة من المحدث الجليل العلامة الشيخ عبد الغني المجددي الدهلوي[٢] رحمه الله إلى وطنه عام ١٢٦٥هـ الموافق١٨٤٩م، وكان عمره آنذاك السابع عشرة، فاقتضت الظروف أن يتولى مسئوليات منزله، ويفكّر في طلب الرزق، ولكن لا يرغب نفسه إلى المعاش، فأصاب والده اليأس وأقلقه كثيراً أن يراه خاملاً، لا يكسب عيشاً، بينما يرى أبناء اخواته قد تلقوا

(١) نظرة إلى حياة الإمام النانوتوي رحمه الله، (**حضرت نانوتوي كي سيرت ايك نظر مين**) للشيخ الأستناذ محمد عاشق إلهي بلند شهري ص ٨٤- ٨٧.

(٢) هو عبد ا لغني بن أبي سعيد العمري، المجددي الدهلوي ثم المدني الحنفي، (١٢٣٥- ١٢٩٦هـ/ ١٨٢٠-١٨٧٩م) ولد ببلدة دهلي، ونشأ بها، وقرأ على جماعة من العلماء، وأخذ الطريقة عن الإمام محمد معصوم نجل الإمام المجدد الشهاب أحمد بن عبد الأحد العمري السرهندي، ثم هاجر إلى الحرمين الشريفين سنة ١٢٧٢هـ وتوطن المدينة، وتوفي بها، ودفن بالبقيع، كان بهجة المحدثين وزينة المسندين العالم العامل العارف، وصفه الشيخ أبو الحسن ابن ظاهر بـ" **حامل لواء أهل الرواية والأثر في بلدة سيد البشر**" وقال عنه تلميذه الترهتي في "**اليانع الجني في أسانيد الشيخ عبد الغني**" لا تكاد تسمع أذناك عند غيره فيها(المدينة)" حدينا للزهري عن سالم بن أبيه، إلاّ قليلاً، من تصانيفه، حاشية على سنن ابن ماجة، سمّاها "إنجاح الحاجة" و"رسالة في تخريج أحاديث مكتوبات الإمام الرباني".

الدراسات، ونالوا وظائف مرموقة يسيل له اللعاب، وتدرّ عليهم المئات والخمسينات، فينعمون بعيش رغيد، ويتقلبون في النعماء، فعيل صبره، وشكا ذلك إلى الحاج إمداد الله قائلاً: إنه وحيد أولادي، لا يشاركه أخ أو أخت، وقد عقدت فيه آمالاً بعيدة، ورجوت أن يكسب لنا العيش، ويدفع عنا الأذى، والضيق الذي نكابده، والله يعلم ما حلّ به، فارتمست ابتسامة على شفا الشيخ وسكت، ثم أرسل إليه، بأنه ينال منزلة رفيعة تسخّر له ذوي المئات والخمسينات هؤلاء، يبعد صيته وصوته ويشار إليه بالبنيان، جئتني تشتكي العوز والعسر، وإن الله سيرزقه، بدون وظيفة رزقاً يفضله على أصحابه.[1]

فعمل الشيخ أجيراً في المطبعة الأحمدية، يحقق النصوص، ويعدها للطباعة بعد ما أنهى الكتب الدراسية النظامية، وأكمل دراسة الحديث على الشاه عبد الغني، وكان قيمة الراتب الشهري له بثماني أو عشر روبية هندية.

خدماته العلمية الرائعة:

ويمكن أن نقسم أعمال النانوتوي العلمية إلى ثلاثة جوانب: التدريس، تصحيح الكتب الدينية والتعليق عليها، والكتابة والتأليف.

التدريس: إنه كان يلقي محاضرات حول بعض المواد الدراسية

(١) **الإمام محمد قاسم النانوتوي كما رأيته**، للشيخ محمد يعقوب النانوتوي رحمه الله، أكاديمية شيخ الهندديوبند، ص ٦٣.

في زمن طلبه بأمر من شيخه وأستاذه، ولما تخرج في العلوم الشرعية بدأ يعمل على تصحيح الكتب وتحقيقها بمقابلتها بأصولها ونسخها المختلفة، بجانب تدريسه أمهات كتب الحديث متطوعاً حسبة الله، حفاظاً على سنة نبيه ولا سيما دروسه في الصحيحين للإمامين محمد بن إسماعيل البخاري ومسلم بن القشيري كانت مقبولة جداً، فقد حضرها كبار العلماء والمشايخ كما كان له نصيب في تدريس غيره من العلوم والفنون، وكان الشيخ محمود حسن الديوبندي[١] أستاذ الأساتذة وشيخ مشايخ الهند الملقّب بـ" شيخ الهند" من تلاميذه، وقد قيض الله تعالى له غيره من تلاميذ أذكياء أمثال الشيخ فخر الحسن الكنكوهي[٢] والشيخ المحدث أحمد حسن الأمروهي[١] والشيخ

(١) هو العالم الكبير العلامة المحدث الشيخ محمود حسن الديوبندي المعروف بـ"شيخ الهند" (ت/ ١٢٦٨ - ١٣٣٩هـ/ ١٨٥١ - ١٩٢٠م) كان منقطع النظير في الملكة في الفقه وأصوله، ولد ونشأ في ديوبند، وكان أول طالب في دار العلوم ديوبند، اضطلع بأعباء التدريس هناك بعد التخرج، كان له دور كبير في تحرير الهند من مخالب الاستعمار البريطاني، كان آية باهرة في علوم الهمة وبعد النظر، والأخذ بالعزيمة وحب الجهاد، كان قليل الاشتغال بالتأليف بالنسبة إلى غزراة علمه، له تعليقات لطيفة، على **"سنن أبي داود"** و**"شرح الأبواب والتراجم للبخاري"** ومن أهم آثاره ترجمة معاني القرآن الكريم بالأردية، طبعت مع الفوائد التفسيرية للعلامة شبير أحمد العثماني (ت/ ١٣٦٩هـ) وهي التي وقع عليها الاختيار الأول من مجمع الملك فهد بطباعة المصحف بالمدينة المنورة.

(٢) هو فخر الحسن الكنكوهي (ت/ ١٣١٥هـ) تخرج في دار العلوم/ ديوبند عام ١٢٩٠هـ مع شيخ الهند، وكان من أشهر تلاميذ الإمام النانوتوي وأجل علماء عصره، له مهارة فائقة في العلوم الطبية أيضاً، عمل رئيساً لهيئة التدريس في مدرسة خورجة، ومدرسة

الطبيب منصور على خان[٢] والشيخ عبد العلي الميرتهي[٣] وغيرهم من

عبد الرب بدهلي، وساهم في نشر بعض كتابات أستاذه النانوتوي، وهو الذي تولى ترتيب مناظرة "**شاهجهان فور**" للنانوتوي، ومن مؤلفاته "**التعليق المحمود**" على سنن أبي داود، وقد كتب ترجمة قيمة لأستاذه وشيخه النانوتوي."

(١) هو الشيخ أحمد حسن الأمروهي (ت/ ١٢٦٧ـ١٣٣٠هـ/ ١٨٥٠ــ١٩٠٣م) ينتمي إلى مدينة أمروهة من ولاية أترابراديش، كان مدرساً قديراً، وخطيباً حكيماً، مفرط الذكاء، اشتهر بتفهيم عبارات دقيقة للإمام النانوتوي بأسلوب سهل واضح، ونسج على منواله في الخطابة والكتابة، وكان حسن الصورة، مليح الكلام، كثير الدرس والإفادة، قام بتوسيع النطاق لكتاب حيه، وكان في المسجد الجامع، حتى أصبح مدرسة مثالية، وتؤدي دورها حتى الآن في ذلك المسجد الجامع، وكان أول مشرف تعليمي للمدرسة القاسمية (شاهي) بمرادآباد،

(٢) هو الشيخ الحكيم منصور علي خان (ت/ ١٣٣٧هـ،/ ١٩١٩م) من أشهر علماء الهند، تخرج في دار العلوم عام ١٢٩٥هـ بعد استفادة علمية دامت سنين من الإمام النانوتوي، كما قرأ الحديث على شيخ أحمد علي السهارنبوري عام ١٢٩٣هـ، وعمل مدرساً في "جامعة طبية" بحيدرآباد، (الدكن) عدة سنين، ثم هاجر إلى مكة المكرمة وتوطنها، وبها توفي وتوارى بترابها، يوجد من مؤلفاته ثلاثة: "**المذهب المنصور**" في مجلدين، و"**فتح المبين**"و" **معيار الأدوية**".

(٣) هو الشيخ عبد العلي بن نصيب علي الميرتهي (ت/ ١٣٤٠هـ) أحد العلماء المشهورين ومن أشهر تلاميذ الإمام النانوتوي، تخرج في دار العلوم عام ١٢٩٤هـ، وعين مدرساً هناك، كما درس في الجامعة القاسمية، بـ"**مرادآباد**" وبمدرسة عبد الرب بدهلي، كان يضرب به المثل في إدراك تكبيرة الافتتاح في الصلوات، وتخرجت عليه جماعة من كبار العلماء من الشيخ أشرف علي التهانوي والشيخ المفتي محمد كفاية الله الدهلوي، وغيرهما من أشهر علماء عصرهم، وكان يقول : "القاسمي لا يجوع أبداً".

جلة العلماء الذين لهم قدم صدق في التأليف والتصنيف والبحث والتحقيق، ومكانة مرموقة بين علماء الهند فهؤلاء كلهم ارتشفوا من منهل علمه العذب وفضله الفياض وتربّوا على يديه وصُنعوا على عينيه وترسموا خطواته.

تصحيح الكتب: كانت كتب المتون في الحديث النبوي عديمة الوجود في الهند، والعلماء الذين كانوا يسافرون إلى الحجاز يأتون معهم بنقولات وصور هذه الكتب، ثم تنسخ هذه النقولات بخط اليمين وعرق الجبين، فكانت نسبة الاعتناء بعلم الحديث والسعي في نشره ضئيلة جداً، وعلى مستوى محدود في مجال ضيق، ولم تكن كما ينبغي، وكما كان حقه، فقام بعض أهل العلم بتأسيس المكتبات ودور لطبع كتب الحديث وأنشأ الشيخ أحمد علي السهارنبوري ـ الذي كان من كبار المحدثين، وممّن درس الكتب الستة حرفاً حرفاً، كلمة كلمة على شيخ المحدث الشاه محمد إسحاق الدهلوي المهاجر المكي بشد الرحال إلى مكة المكرمة -زادها الله شرفاً- وتجشّم مصاعب السفر في سبيل العلم المطبع الأحمدي[1]، ونشر الصحيح للبخاري، وعمل على تصحيح خمسة وعشرين جزءاً من البخاري والتعليق عليه بنفسه،

(١) إن"المطبع الأحمدي" أول دار النشر التي تولت طبع كتب الحديث نحو الصحيح للبخاري والجامع الترمذي، ومشكاة المصابيح للتبريزي، وأسسه الشيخ أحمد علي السهارنبوري، (عام ١٢٦٣هـ/ ١٨٦٥م) وتنقل هذا المطبع بعد ثورة ١٨٥٧م إلى "ميرتهـ"

وفوّض مهمة تصحيح بقية الأجزاء الخمسة[١] منه والتعليق إلى الإمام النانوتوي رحمه الله، وظهرت هذه النسخة لأول مرة في الهند عام ١٢٦٧هـ الموافق ١٨٥٠م، كما قام بتصحيح ترجمة القرآن الكريم للشاه عبدالقادر الدهلوي[٢] في"المطبع المجتبائي"[٣] وظهرت نسختها هذه عام ١٢٨٦هـ، أضف إلى ذلك خدماته المستمرة في تصحيح الكتب بمطابع أخرى وغيرهما، والواقع أن ذلك كان من أهم وسائل نشر العلم آنذاك، وكان التصحيح بضمّ تبييض المخطوطة وتسديدها،

---

(١) كانت هذه النسخة من الصحيح مجزأة إلى ثلاثين جزءاً مجلداً.

(٢) هو الشيخ الإمام عبد القادر بن الإمام أحمد بن عبد الرحيم العمري الدهلوي (ت/ ١٢٣٠هـ/ ١٨١٥م) قرأ العلم على ضوء الشيخ عبد العزيز الدهلوي وقرأ عليه الشيخ عبد الحي البرهانوي، والشيخ عبد الغني الدهلوي بالمسجد الأكبر آبادي في دهلي، ومن أعظم ما منّ الله به عليه أنه وفق لترجمة القرآن وتفسيره في لغة أردو سمّاه **"موضح القرآن"** ومن خصائصه :أنه اختار لغة بحذاء لغة قاربت بها حاز في العموم والخصوص والإطلاق والتقييد، حتى إنها لا تتجاوز عنها في موارد الاستعمال.

(٣) كان المطبع المجتبائي من أشهر المطابع في الهند، أسسه باديء ذي بدء المنشي ممتاز علي في "ميرته" ثم تحوّلت ملكيته إلى الشيخ عبد الهادي، ولما رجع المنشي من الحج استانف تأسيسه في دهلي قرب مسجد الجامع، ثم هاجر بعد زمان إلى مكة المكرمة، وباع المبطع من الشيخ عبد الأحد، بعد وفاة الشيخ عبد الأحد بين أبنائه، ولما هاجر أعضاء هذه الأسرة إلى باكستان انتهى دوره، وغلقت أبوابه، طبع من هذا المطبع آلاف من الكتب بالعربية والفارسية والأردية، وبخاصة كتب **"المنهج النظامي"** لم يوجد له نظير بعد مطبع نول كشور على مستوى الهند في تفنن الطبع وتنوع الموضوع، وتعدد الطبعات.

وإعادة صياغتها والتعليق عليها حسب ما دعت إليه الحاجة.[١]

الكتابة والتأليف: وأما الجهة الثالثة: من خدماته العلمية، فهي الكتابة والتأليف وإن لم تسنح له فرصة كبيرة للاعتناء بهذا الجانب، لأن حياته كانت حافلة بالجهاد والتضحية والبذل والعطاء والنشاط الواسع في مجال الدعوي، ومع ذلك لا يستهان بقيمة ما قدمه من خدمات العلمية للإسلام والمسلمين، وإنما هي جديرة بأن تكتب بمداد من النور والذهب.

وكانت معظم كتاباته في الدفاع عن الإسلام ورد على شبهات، وأثيرت حول الإسلام من النصارى والهندوس وتفنيد أباطيلهم وترهاتهم، وفيما يلي تعريف موجز بمؤلفاته.

حجة الإسلام: ألقى الشيخ محمد قاسم النانوتوي محاضرة علمية في سوق أقيمت في منطقة "تشاندافور" بمديرية "شاهجهان فور" تحت عنوان"معرفة الإله" أثبت الشيخ النانوتوي في هذه المحاضرة حقانية الإسلام، وتم طبعها في كتيبات من قبل الشيخ فخر الحسن باسم"حجة الإسلام".

انتصار الإسلام: كتب الفيلسوف الهندوسي"آريه سماج" ديانند سرسوتي[٢] مؤسس فرقة من الهنادك وحركة تجديدية منها باسم

(١) سيف الله الرحماني، **الإمام محمد قاسم النانوتوي رحمه الله**، ص ١٣-١٤.

(٢) ديانند سرسوتي (ت/ ١٨٢٤هـ/ ١٨٨٣م) كان اسمه في صغره مول شنكر، ولد في موري إحدى ولايات كاتهياوار، وتعلم اللغة السنسكريتية بجهد بالغ، وقرأ فلسفة

"آريه سماج"[1] كتاباً ضد الإسلام، أورد فيه إحدى عشرة شبهة على الإسلام ممّا أثار ضجة في أنحاء البلاد، فجاء هذا الكتاب بردود عنيفة وواضحة على هذه الشبهات الوهمية، تحدث فيه المؤلف عن وجود الباري سبحانه وتعالى، ووجود الشياطين، والجن، والملائكة، والجنة والنار، والمراد بخمر لذة للشاربين يشربها أهل الجنة في الجنة، وحقيقة النسخ في الأحكام الإلهية وحكمتها، وأولوية تدفين الموتى بدلاً من إحراقهم، ووجود الروح وعالم البرزخ، وحكم حرمة الحيوانات أو

الهندوسية ثلاث سنوات تقريباً على رشي ورجانند أحد خبراء الهندوسية، ثم أخذ في إصلاح الهندوسية، كان يعتقد الوحدانية، ويخالف عبادة الأصنام، كان يقول: ينبغي أن يتخذ الهندوس ديانة عصر "ويد" فإن ذلك كتاب غيبي وروحي، نقد في كتابه "ستيه بركاش" على الديانات الأخرى، وأنشأ حركة تجديدية باسم "**آريه سماج**" عام ١٨٥٧م.

(١) حركة هندوسية تجديدية في الهند برزت على الساحة عام ١٨٥٧م ، أسسها سوامي ديانند، قامت بنشر العلم والثقافة بالاستفادة من آثار إنجليزية وغربية، وخاصة بين أوساط النساء، كانت هذه الحركة تخالف توهمات الهندوسية، وأكبر أعمالها برزت في مجال التعليم بواسطة إنشاء المدارس والكليات العصرية باسم "ديانند أنكلو ويدك" ومن معتقداتها أن تضحية الحيوان وعبادة الأصنام والكهنة، وزواج الصغر، والطائفية والتفريق على أساس اللون والدم كل هذا لا يوافق منصب الأساقفة والكهنة وكبار رجال الدين، تعتقد كذلك أن إجلال البقرة من الدين وأن التناسخ حق، تدهورت هذه الحركة بعد استقلال الهند كثير، وتحقق ان اصلاحات هذه الحركة لم تكن مؤسسة على دعائم قوية أو أصول ثابته، وإنما كانت على أكداس من الأساطير والخرافات، فانطمست معالمها، واختفت أصواتها.

حلّها، وعدم كون غفران الذنوب بالتوبة مخالفاً للإنصاف وما إلى ذلك من قضايا عقدية منوعة، وأوضح كل ذلك في ضوء العقل والطبيعة الإنسانية.

التحفة اللحمية: يعتقد الهنادك والجينيون في الهند أن ذبح الحيوان وأكل لحومه ظلم وغير مستحسن عند العقل، وخلاف مقتضي الروح، ردّ الشيخ في هذا اللكتاب على هذه العقيدة الزائفة من ناحية عقلية وطبيعية، وأثبت أن أكل لحوم الحيوان من طبيعة الإنسان .

البراهين القاسمية: جاء هذا الكتاب في الردّ على شبهات فرقة "آريه سماج" يتضمن إثبات وجود الباري جل ثناؤه وصفاته ـ نحو العليم الواحد وغيرهما ـ ونفي كون المادة قديمة، وكون القرآن الكريم كلام الله، وحيثية الأنبياء وختم النبوة بنبوة خاتم الرسول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وما إلى ذلك من المباحث الكلامية، تناول كل ذلك بأسلوب علمي دقيق، وترتيب منطقي سليم، واستنتاج عقلي متين، والاسم الأصلي لهذا الكتاب، "جواب تركي به تركي" الذي يعني الجواب الواضح والمباشر، وقام بتسهيله الشيخ اشتياق أحمد باسم "البراهين القاسمية".

قبله نما (الموجه إلى القبلة): كان من شبهات ديانند سرسوتي أن المسلمين يسمّون الهنادك بعبّاد الأصنام، وهم أنفسهم يسجدون لبيت من حجر ومدر ويعني بها الكعبة البيت الحرام، فرّد

الشيخ في هذا الكتاب على هذه الشبهة، وبيّن الفروق الجوهرية بين عبادة الأصنام واستقبال القبلة من ناحية عقلية.

تقرير دلبذير: (الخطاب الأخاذ بمجامع القلوب) هذا الكتاب من أهم تأليفاته، وكُتب من وجهة الدعوية، والمباحث التي سلّط الضوء عليها في هذا الكتاب، هي كما يلي:

وجود الباري، كون عقيدة التثليث وعبادة الأصنام مخالفة للعقل والطبيعة، الإنجيل المحرف، فناء الدنيا، وجود الجنة، والنار والملائكة والشياطين، خالق أفعال العباد هو الله، مسألة القدر، أسباب وقوع النسخ في الشرائع السماوية، وحقيقة الحسن والقبح في الأعمال والصفات الإلهية، إمكان قيام الساعة، وما إلى ذلك من المباحث العقائدية.

آب حياة (ماء الحياة): من شبهات الشيعة القديمة أن الشيخين رضي الله عنهما ظلما فاطمة الزهراء رضي الله عنها (سيدة النساء) واعتديا عليها إذ لم يورثها أرض تبوك، وهذا الكتاب في الأصل ردّ على هذه الشبهة، ووجهة نظره في ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يزال حياً في قبره، ولا يجري الإرث في أموال الأحياء، ولذلك لا يورّث مال من أموال رسول الله صلى الله عليه وسلم.

توثيق الكلام: كان بعض الناس يقولون إن صلاة من لا يقرأ الفاتحة خلف الإمام فاسدة، فأتي الشيخ في هذا الكتاب بدلائل

وبراهين من الكتاب والسنة مع شواهد عقلية، ورجح رأي الحنفية بوضوح، ولكن بتوسط واعتدال.

مكاتيب ورسائل :

طبع من مكاتيبه حتى الآن تسع مجموعات، وفيما يلي أسماءها:

١. المكاتيب القاسمية
٢. الفيوض القاسمية
٣. اللطائف القاسمية
٤. جمال القاسمي
٥. الحق الصريح
٦. تحذير الناس
٧. أسرار القرآن
٨. الفرائد القاسمية
٩. تصفية العقائد

وقد اعتنى بها تلاميذه وأتباعه وقاموا بترتيبها، وقد ردّ في هذه المكاتيب والرسائل على الشيعة، والمبتدعية الغالين، والعقلانيين، ودحض أكاذيبهم ومفترياتهم، وفي بعضها ردود على فرقة ترى أن الصلاة تفسد بدون قراءة الفاتحة خلف الإمام، وأن عشرين ركعة من التراويح لم تثبت بحديث ما .

وقصارى القول أن الموضوع الرئيسي لكتاباته هو"علم الكلام" ومقاومة الغزو الفكري على الإسلام، وحاول محاولة مشكورة في تفهيم العقيدة الإسلامية والأحكام الشرعية في ضوء العقل والمصلحة، وحقّق في ذلك نجاحاً كبيراً.[1]

مآثره الخالدة

(١) جهاده ضد الإنجليز:

انفجرت ثورة عارمة ضد الاحتلال الإنجليزي في الهند، وذلك عام ١٨٥٧م وعمّت الهند الشمالية فوقعت معارك دامية مع الإنجليز، ومنها معركة "شاملي" التي خاضها الحاج الشيخ إمداد المهاجر المكي وأصحابه الذين كانوا من كبار العلماء وأولياء الله وعلى رأسهم الشيخ محمد قاسم النانوتوي رحمه الله، والشيخ رشيد أحمد الكنكوهي، والشيخ الحافظ الضامن الشهيد، والشيخ منير النانوتوي رحمه الله، وهزموا الإنجليز هزيمة منكرة، فاستشاطوا غضباً، فدمروا قرية "تهانه بهون" وعاثوا فساداً، وأعلنوا أن الحاج إمدادالله وأصحابه أعداء الداء الإنجليز وثوّار عليهم، فحاولوا القبض عليهم، فهاجر الشيخ إمداد الله مختفياً إلى مكة المكرمة، وبقي الشيخ محمد قاسم رحمه الله مختفياً في

(١) الرحماني، **الإمام محمد قاسم النانوتوي رحمه الله**، ص ١٥ – ١٨؛ وأويس الصديقي، **الإمام الأكبر**، ص ٣٨١-٤١٥.

الهند، وينتقل من قرية إلى قرية ومدينة إلى مدينة، حتى أعلن الإنجليز عن العفو عن الثوّار والمجرمين، فاستقر مقام الشيخ في وطنه لأيام، ثم عمل مصححا في المطبعة المجتبائية بـ"ميروت" التي كان يملكها أحد محبيه الشيخ المفتي "ممتاز علي" وهكذا عمل الشيخ مصححاً في المطبعة الهاشمية، كان يملكها الشيخ هاشم علي .

(٢) تأسيس الجامعة الإسلامية بديوبند:

انقرضت الدولة المغولية في الهند، وطوى بساطها، وقامت حكومة الإنجليز على أنقاضها وقد ناصبوا العداء للمسلمين فقتلوهم تقتيلاً، وصادوا الممتلكات والأوقاف، وخربوا دور العلم ومعاهد التعليم، وبثّوا القساوسة والمبشرين في طول البلاد وعرضها ليحوّلوا دولة مسيحية، وأصبح أمر المسلمين في هجر ومرج.

هنالك قامت طائفة من العلماء الغيارى المخلصين، وقد أهمهم أمر الإسلام في هذه البلاد والحفاظ عليه ففكروا وفكروا حتى ألقى الله في روعهم فكرة عظيمة، وهي فكرة تأسيس المدارس الإسلامية، فتقدموا إلى مجال العمل.

فقامت هذه الجامعة التي كانت في أول أمرها بسيطة جدا، وسميت لدى تاسيسها "مدرسة إسلامية عربية ديوبند" لكن باركتها يد الرحمن، حيث ظهرت بعد أيام قلائل أكبر جامعة إسلامية أهلية

في شبه القارة الهندية، وذلك بفضل الله وتوفيقه وإخلاص مؤسسها العظيم الإمام محمد قاسم النانوتوي.

ومن المآثر الخالدة للشيخ هذه الجامعة التي أسست على التقوى من أول يومها والتي قامت ولا تزال بالحفاظ على الإسلام، وهوية المسلمين في هذه البلاد، وأدت ولا تزال وستظل تؤدي خدمات جليلة نحوهم، لم تقتصر خدماتها وبركاتها على شبه القارة الهندية فحسب، بل عمّت العالم كله.

كان الشيخ حركة مستقلة لتنفيذ هذه الفكرة النبيلة، فكرة تأسيس المدارس والكتاتيب الإسلامية الأهلية، فأسس نحو عشر مدارس في المدن المختلفة للمناطق الشمالية في الهند، (وسيأتي ذكرها مفصلاً في الباب الثاني (إن شاء الله تعالى).

(٣) قيامه بحركة تزويج الأرامل:

قيامه بحركة تزويج الأرامل مآثرة من مآثره الخالدة، كما صرح صاحب الكتاب بـ"الإمام محمد قاسم كما رأيته" سعى النانوتوي رحمه الله سعياً حثيثا في هذا المجال، وأثمر سعيه فمال المسلمون إلى العمل بزواج الأرامل عن طوعية ورضا نفس.[1]

(١) المرجع السابق، ص ٣٣

(٤) مناظراته مع القساوسة وعلماء الهندوس:

ولما كان الشيخ مقيماً بمدينة "ميروت" بلغه أن القساوسة انتشروا في مدينة دهلي يلقون خطباً عن ديانتهم أمام الناس ويضلّونهم، فأمر الشيخ تلاميذه بأن يذهبوا إلى دهلي، ويلقوا خطباً كذلك، ويساعدوا من يحاور القساوسة ويناظرهم من علماء المسلمين، تواعد القساوسة وعلماء المسلمين على المناظرة وضربوا الموعد، فذهب الشيخ نفسه وناظر القس "تاراجند" فأبكمه وأخرسه.

وفي ١٢٩٣هـ الموافق١٨٧٦م أقام المنشي "بياري لال" اجتماعاً باسم "معرض الذات الإلهية" على شاطر نهر "غرّا" في قرية "تشاندافور" في مديرية "شهجهان فور" بولاية أترابراديش الهندية، وكان المنشي "بياري لال" يميل إلى المسيحية ويجالس القس "نولس" فعقدوا اجتماعاً بمشورته ومساعدته، ودعا إليه القساوسة وعلماء الهندوس وعلماء المسلمين لمناقشة الديانات، فأبلغ مسلمو مدينة "بريلي" والقرى المتجاورة لها الشيخ، ودعوه للحضور في الاجتماع، فلبّى دعوتهم وقد رافقه في سفره تلاميذه" الشيخ محمود حسن الديوبندي، والشيخ فخر الحسن الكنكوهي، والشيخ رحيم الله البجنوري، وغيرهم من علماء دهلي، كالشيخ السيد أحمد علي الدهلوي، والشيخ أبو المنصور الدهلوي، وحضر الاجتماع وشارك في

المناقشة، وألقى خطبة بليغة في الردّ على عقيدة التثليث والإشراك بالله وإثبات التوحيد، مما أدهش السامعين من أنصاره ومعارضيه، واعترفوا له بالفضل وغزارة العلم وقوة البيان ونصاعة البرهان؛ فعلت كلمته، وارتفع ذكره، وصار حديث المجالس والنوادي، ورجع منصوراً مؤيداً من الاجتماع.

ثم أقيم الاجتماع في السنة القادمة ١٢٩٤هـ الموافق١٨٧٧م، فحضره الشيخ في نخبة من علماء المسلمين، قد حضر الاجتماع هذه المرة بالإضافة إلى الأساقفة حبرُ الهندوس وصنديدهم "الباندت ديانند سرسوتي" الذي كان اخترع ديناً جديداً مستمداً من الديانة الهندوسية، وكان يؤمن بالفيدات "الكتب المقدسة لدى الهندوس" ويرى التناسخ، شرح الباندت في الاجتماع معتقداته باللغة الهندوسية الممزوجة بكلمات اللغة السنسكريتية، فتصدى للرد عليه الشيخ محمد علي، ثم ألقى الشيخ خطبة مؤثرة في مسألة الوجود وإثبات التوحيد، وكان السامعون أثناء خطبته آذاناً مصغية وقلوباً واعية وعيوناً شاخصة، ثم ناقش التحريف في الإنجيل ودلّل عليه حتى لاذ القساوسة بالفرار عن الاجتماع تاركين بعض كتبهم.

وكان القساوسة يقولون: "لو آمنا بخطبة لآمنا بهذه الخطبة التي كانت تأخذ بمجامع القلوب".

وفي شعبان عام ١٢٩٥هـ أتاه النبأ بأن الباندت "ديانند

سرسوتي" ورد ببلدة "روركي" (ROORKEE) وأخذ يوجه اعتراضات إلى الإسلام، فإذا تصدّى عالم من علماء المسلمين للرد على اعتراضاته لا يلقي له بالاً ولا يرفع به رأساً، وإنما يقول: "إنى لن أناظر إلا الشيخ محمد قاسم" فدعا مسلمو بلدة "روركي" الشيخ لمحاورته والنقاش معه، وكان الشيخ يعاني أيامئذ السعال والمرض الشديدين الذين قد أصاباه خلال عودته من الحج، فاعتذر إليهم، ولكنهم ما زالوا يصرّون عليه، فبعث تلاميذه: الشيخ فخرالحسن الكنكوهي، والشيخ محمود حسن الديوبندي، والشيخ عبد العدل الفلتي، ليستعرضوا الأوضاع ويناظروا الباندت، إن رضي هو بالمناظرة معهم، فذهبوا إلى "روركي" وقابلوه وطالبوا أن يسمع هو منهم إجابات عن اعتراضاته، ولكنه لم يرض بالسماع منهم والمناقشة معهم، وقال:"إن حضر الشيخ محمد قاسم أناقشه وأناظره" فرجعوا إلى ديوبند، وأخبره بالخبر.

ثارت فيه الغيرة على الإسلام وهو طريح الفراش، واستعدّ للسفر رغم مرضه وضعفه الشديدين، ووصل "روركي" ودعا الباندت إلى المناظرة واستماع الردود على اعتراضاته على رؤس الأشهاد.

اختلف الباندت أنواعاً من المعاذير، وطوى كشحه عن المناظرة، حتى ولّى هارباً مختفياً، مكث الشيخ في بلدة "روركي" نحو سبعة عشر يوماً، وألقى على رؤس الأشهاد خطباً ردّ فيها على الاعتراضات التي

أثارها الباندت ضد الإسلام، ثم عاد إلى "ديوبند" ومكث فيها أياماً، ثم ذهب إلى "نانوته" وألف "قبله نما"(استقبال الكعبة) و"انتصار الإسلام" (ردود على اعتراضات موجهة إلى الإسلام) في الردّ على اعتراضات الباندت.

ثم توجه الباندت إلى "ميروت"في ٣/ مايو ١٨٧٩م، وألقى فيها عصا تجواله، وأعاد فيها الاعتراضات نفسها، أخبر مسلمو"ميروت" الشيخ بمقدمة بعد أيام، فوصل الشيخ "ميروت" في١٠/ مايو ودعاه إلى النقاش والحوار، فنأى الباندت بجانبه عن المناقشة وخرج من "ميروت" مختفياً كذلك.

ألقى الشيخ خطباً في "ميروت" في الردّ على اعتراضات الباندت، وقد جمعها تلميذه الشيخ عبد العلي الميرتهي في رسالة.

(٥) مصنفات الإمام النانوتوي رحمه الله:

(وقد سبق ذكره في الفصل الثاني).

وفاته

توفي بعد صلاة الظهر٤/ جمادي الأولى١٢٩٧هـ/ ١٥/ أبريل ١٨٨٠م، وصلّى عليه جمع غفير من الناس، ودُفن بقطعة أرض وقفها صاحبها الطبيب مشتاق أحمد آنذاك، وعُرِفت بالمقبرة القاسمية، وهي تقع في الشمال الغربي للجامعة.

المدارس

بدأ نظام التعليم من المساجد، ثم نشأت مدارس جامعة منفصلة، في تاريخ الإسلام ، واستمر هذا النظام إلى القرن الرابع للهجرة، بدأ من المسجد النبوي الشريف في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الأزهر في القرن الرابع، ثم أنشئت مدارس مستقلة، لكن ارتباط التعليم بالمساجد لم ينقطع، كما بقي النظام الشخصي للتعليم في العصر الحديث، ومنهم أخذ الأوربيون هذا النظام، كذلك كان نظام التعليم في الهند، فقد احتفظ المسلمون مدة طويلة بالطبيعة الشخصية للتعليم وربط النظام بنظام المساجد، وقد تطورت فكرة التعليم والمنهج الدراسي في العالم العربي في أواخر العصر الأموي بصفة عامة، واعتنى الخلفاء والأمراء بإنشاء مدارس مستقلة، فكانت المساجد مكاناً للعبادة ومركزاً للتعليم في البداية، كما كان الحال في القرون الأولى من تاريخ الإسلام في الحجاز والشام ومصر.[1]

ويقول العلامة الشريف عبد الحي الحسني في كتابه "الهند في العهد الإسلامي".

إن قطب الدين أيبك(م ٦٠٧هـ) أسس مدرسة عظيمة بمدينة دهلي القديمة عند الجامع الكبير، وعزاها إلى السلطان شهاب الدين

(١) **تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي،** للدكتور حسن إبراهيم حسن.

الغوري الملقب بمعز الدين[1]، وكان بناؤها في غاية من الحصانة والارتفاع حتى أن القرامطة لما أغاروا على دهلي في أيام رضية بنت ايلتمشِ (م ٦٣٥هـ) دخلوها ظناً منهم أنه جامع كبير، وبنى السلطان شمس الدين ايلتمش مدرسة سماها بالمدرسة الناصرية بمدينة دهلي القديمة باسم ولده ناصر الدين محمود (م ٦٢٦هـ)، ودرس بها القاضي منهاج الدين عثمان بن محمد الجوزجاني سنة ٦٣٥هـ، وقد أنشئت في هذا العهد مدارس في مختلف أنحاء البلاد، وذكر ابن بطوطة الرحالة المغربي أنه شهد إحدى مدارس كبرى خلال زيارته للهند في عام ٧٣٤هـ، وكانت توجد في السند مدرسة سنة ٦٣٤هـ وهي المدرسة الفيروزية التي بنيت في عهد ناصر الدين قباجه، وبدأت المدارس تنتشر في القرنين الثامن والتاسع، فمن المدارس التي أنشئت في القرن الثامن بدهلي المدرسة الفيروزية بناها فيروز شاه سنة ٧٥٥هـ على الحوض الخاص بدلهي، وكانت جامعة بين الحسن والحصانة، يجري فيها الماء، قال القاضي ضياء الدين البرني في تاريخه"فيها من المدرسين جماعات يدرسون في كل علم معقول ومنقول، أكبرهم الشيخ جلال الدين الرومي، وصاحبه يوسف بن جمال الحسيني".

ومدرسة أخرى بناها فيروز شاه في عام ٧٧٦هـ جاء في صبح

(١) المتوفى سنة ٦٠٢هـ

الأعشى للقلشقندي (٧٥٦- ٨٢١هـ) الذي ألـف في عهـد "تغلـق" أنه كان يوجد في عهده ألف مدرسة في دهلي نفسها.

ومن المدارس المشهورة بدلهي المدرسة العظيمة التي أنشأها العلامة عبد الله التلنبي في عهد إسكندر بن بهلول اللودهي(م ٩٢٣هـ) فتخرج عليه جماعات من الفضلاء، وهو الذي وسع نظام الدرس وأدخل فيه الكتب الدقيقة من المعقول ثم تتابع العلماء والأمراء في فتح المدارس.(١)

وعلاوة على المدارس التي كانت تفتح في مختلف أنحاء البلاد كانت جماعات من الطالبين تتوجه إلى العلماء وتحضر دروسهم سواء في العلوم المتداولة المشتركة أو في مواضيع اختصاصهم، وتنال الإجازة منهم.

يقول الشيخ عبد الحي الحسني:

"اعلم أن المدارس مما حدث في الإسلام، ولم تكن تعرف زمن الصحابة، ولا التابعين، وإنما حدث عملها بعد الأربعمئة من الهجرة،

(١) كان عهد الإسكندر اللودهي عصر العلم، فقد كان الملك يحب العلم والعلماء، ويساعدهم على نشر العلوم، وأسس المدارس والمساجد والرباطات، وهو أول من أمر الهنادك أن يتعلموا اللغة الفارسية والكتابة بها، وأمر العلماء أن ينقلوا العلوم الهندية إلى الفارسية،"**الهند في العهد الإسلامي**" ص١٨٤، طبع:مجمع الإمام أحمد بن عرفان الشهيد، دار عرفات رائي بريلي الهند ٢٠٠١م

وأول من بنى مدرسة في الإسلام أهل "نيسابور"، وأشهر ما بني في القديم المدرسة النظامية ببغداد، والمستنصرية بها، وأما الهند فلم يكن عندهم معرفة لإنشاء المدارس على الطريقة المعروفة الآن، فإن ملوك الهند كانوا يوظفون رؤساء كل صناعة، ومذهب من مذاهب العلوم النظرية والعملية، ويجرون عليهم الأرزاق السنية ليقصد كل من اختار علماً أو صناعة رئيس ما يختاره فيأخذ عنه، وأولئك الرؤساء والعلماء كانوا يدرسون في المساجد والزوايا، وفي بيوتهم كل يوم وليلة، وبعضهم كانوا يدرسون حسبة لله، لا يترددون على الملوك والسلاطين، ولا يقبلون نذورهم وجرياتهم، ومع ذلك بعض الملوك والأمراء أسسوا قصوراً للمدارس، وبنوا فيها دوراً، ومساكن، ومقاصير، ورتبوا في كل موضع أهل العلم للإفادة، والتدريس، ورتبوا الرواتب للطلبة".[1]

۞۞۞۞۞۞

(١) يراجع للتفصيل "**الهند في العهد الإسلامي**" للعلامة الشريف عبد الحي الحسني ص: ٣٥٦ – ٣٧٤.

دخول الإنجليز في الهند
ونفوذهم ومؤامراتهم ومآثر المجاهدين بصدهم

إن الإنجليز قد دخلوا الهند في القرن السادس عشر المسيحي تجاراً وأسسوا شركة تجارية سمّوها الشركة الهندية الشرقية، وكانت بزرة فساد أغفلها الملوك المسلمون في بساطتهم وحسن ظنهم، وبقيت هذه الشركة تشتغل بالتجارة حتى اضطرب حبل الدولة المغولية فطمع رجالها إلى الملك والسياسة وصاروا يتدخلون في الأمور، ويحرشون بين الأمراء، ويضربون بعضهم ببعض وينتهزون فرصة بعد فرصة، حتى أصبحوا قوة في الهند.

ولم يزل أمر الإنجليز يقوي، وأمر الهنديين يضعف حتى أخذوا في الجنوب "كرناتك" وفي الشرق "كلكته" وكذلك كله بحال الهند ورجالها.

ولما رسخت قدم الإنجليز عاقبوا الهنديين عامة والمسلمين وعلمائهم على وجه الأخص، عقاباً شديداً، وعذبوهم عذاباً أليماً، وفتكوا بالبيت الملكي فتكاً شديداً، وأسروا بهادرشاه، ونفوه إلى"رنكون". ومن ذلك اليوم أقل نجم المسلمين في هذه الديار وأنحطوا في الدنيا والدين، ورضوا بالذل والعبودية، وفسدت الأخلاق، وسقطت الهمم وضاقت الأرزاق، وغلت الأسعار وعمت المجاعات، وعطلت المدارس، وأقفرت الزوايا، وأوحشت المساجد.

ففي مثل هذه الأوضاع الحرجة الضيقة فكر بعض من العلماء الغيارى عن الإسلام والمسلمين وبقائهما، ففكروا وفكروا حتى هداهم الله إلى طريقة إسلامية وهي طريقة إنشاء المدارس الإسلامية التي أقفرت من قبل كما يكتب الشيخ العلامة الندوي، إن الصراع بين الشرق والغرب واضحاً قوياً، وكان مكلفاً باختيار أحد الطريقتين :الحياة الإسلامية على أساس العقيدة والإيمان، والحياة الغربية على أساس القوة والتقدم هو الهند التي وطدت فيها الحكومة البريطانية الزعيمة للحضارة الغربية في الشرق، وزحفت إليها العلوم الحديثة والتنظيمات الجديدة، وما تستتبعها من آلات ومصنوعات وآراء وفلسفات، وكان الشعب الإسلامي الهندي منهوك القوى، مثخناً بالجراح، مجروج الكرامة يعاني دهشة الفتح وعار الهزيمة، وجيشاً من التهم والظنون، ويواجه فاتحاً ممتلئاً بالقوة والشباب والثقة، وحضارة زاخرة بالجدة والنشاط والإنتاج، وقضايا كثيرة ومشكلات تتطلب الحل السريع الحازم، والمواقف الواضح الحاسم.

ففي هذه الساعة العصبية الدقيقة وفي هذه الحالة المحرجة برز في الميدان نوعان من القيادة، أولهما القيادة الدينية، التي يتزعمها علماء الدين، والقيادة الثانية، يتزعمها سيد أحمد خان وتلاميذه وأنصاره من أهل المدرسة الجديدة.

نوعان من القيادة

قيادة سيد أحمد خان ومدرسته الفكرية:

أما القيادة التي تزعمها سيد أحمد خان على أساس تقليد الحضارة الغربية وأسسها المادية واقتباس العلوم العصرية بحذافيرها وعلى علاتها، وتفسير الإسلام والقرآن تفسيراً يطابقان به ما وصلت إليه المدنية والمعلومات الحديثة في آخر القرن السابع عشر المسيحي، ويطابقان هوى الغربيين وآرائهم وأذواقهم، والاستهانة بما لا يثبته الحس والتجربة، ولا تقرره علوم الطبيعة في باديء النظر، من الحقائق الغيبية، وأمور ما بعد الطبيعة.

شاهد سر سيد أحمد خان[1] انهيار الحكومة الإسلامية المغولية

(١) هو سيد أحمد بن المتقي بن الهادي الحسيني الدهلوي ولد سنة ١٢٣٢هـ/ ١٨١٧م وقرأ المتوسطات في العلوم العربية، وعني بالهيئة والهندسة والأقليدس عناية خاصة، وتولى الوظائف والقضاء في الحكومة الإنجليزية، وألف كتباً ذات قيمة علمية في التاريخ، وتولى تصحيح بعض الآثار العلمية والمؤلفات القديمة، وأشرف على ضبطها ونشرها، وكان من أنصار الحكومة الإنجليزية، وممن سعى في إخماد ثورة ١٨٥٧م، وتوطيد الحكم الإنجليزي وإزالة سوء التفاهم والوحشة بين الشعب والحكومة، وكافأته الحكومة على ذلك براتب شهري وأنشأ مجمعاً علمياً للترجمة والتأليف والنشر، وأصدر مجلة "تهذيب الأخلاق" وسافر إلى أوربا سنة ١٢٨٠هـ ١٨٦٩م وألف هناك كتابه المشهور **"الخطبات الأحمدية" في العرب والسيرة المحمدية"** في الرد على السير وليم ميور، والدفاع عن صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم وأنشأ سنة ١٨٧٥م كلية إسلامية إنجليزية، وهي التي تسمى الآن جامعة علي جراه الإسلامية، وتوفى سنة ١٣١٥هـ/ ١٨٩٨م، ودفن في على جراه ، اقرأ ترجمته الضافية ومختارته في المذهب والعقيدة في الجزء الثامن لكتاب **"نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر"**

التي كانت صورة مصغرة شاحبة للإمبراطورية الإسلامية، ورأى إخفاق الثورة الكبرى في سنة ١٨٥٧م واطلع على أسباب هذا الإخفاق الذريع وانهزام مجموعة كبيرة ضخمة من أهل البلاد أمام حفنة من الأجانب الغرباء، ورأى ما دفع المسلمون من قيمة هذه الثورة التي رسموا خطتها وتولوا كبرها، ورأى هوان الشعب الكبير الذي كان صاحب الأمر والنهي في البلاد، وشقاء الأسر والبيوتات الكبيرة، ورأى سطوة الإنجليز توقم على هذه الأنقاض، وأبهة ملكهم، وطلائع مدنيتهم الخلابة، وآياتها الباهرة، واتصل بالإنجليز اتصالاً وثيقاً عن طريق الوظيفة والزمالة وعن طريق الصداقة والتعارف، فأعجب بذكائهم وكفائتهم ومدنيتهم، وكان رجلاً مرهف الحس، حاد الذهن، قوى العاطفة عصبيا، سريع الانفعال والقبول، ومشاركاً في الثقافة الدينية غير راسخ فيها ولا متقن لها، جريئاً في إبداء الرأى، فتأثر بالإنجليز تأثر المغلوب بالغالب، والضعيف بالقوى، وقلد حضارتهم وأساليب حياتهم شخصياً، وصار يدعو إلى هذا التقليد في حماسة وقوة، ويرى أن هذا التقليد والظهور في مظهر سيد البلاد ومجاراته في الحياة والعادات تزيل الهيبة من قلوب المسلمين، وتعالج"مركب النقص" فيهم، وترفع مكانتهم في عيون الولاة ورجال الحكومة، وتضعهم في مكان الزملاء، الشركاء في الحياة الأقران في الاجتماع، يدل على هذه الفكرة دلالة واضحة ما جاء في بعض مقالاته يقول:

"لا بد أن يرغب المسلمون في قبول هذه الحضارة (الغربية) بكمالها، حتى لا تعود الأمم المتحضرة تزدريهم أعينها، ويعتبروا من الشعوب المتحضرة المثقفة.[١]

ويقول في كتابه"أحكام طعام أهل الكتاب" وهو من مؤلفاته القديمة، طبع في سنة ١٨٦٨م حاثاً على التشبه بالإنجليز في عاداتهم وأساليب معيشتهم، قال بالعربية:

"فأيها المسلمون تعلموا بها لا على نية العجب والتكبر، بل على نية ترفع حال المسلمين لئلا ينظر إليهم القوم (الأوربيون) بنظر الحقارة، مما اعتادوا من الذلة والمسكنة، إن الله يعلم ما في صدورنا ويحكم علينا بما في قلوبنا من حسن النية أو غيره".

وقام سيد أحمد خان برحلة إلى إنجلترا في أول أبريل ١٨٦٩م فكان أول مسلم هندي سافر إلى الجزار البريطانية في هذا العهد المبكر، وقد كانت قناة السويس في دور الإنشاء،([٢]) وقد قابل صاحب فكرتها والإشراف عليها المهندس الفرنسي الشهير الموسيو فرديناند دي ليسبس (FERDINAND DE LESSEPS) الذي كان مسافراً في نفس السفينة وكان السيد أحمد خان موضع حفاوة نادرة في لندن، وقد مكث

---

(١) مجلة :**تهذيب الأخلاق**" مقالات سيد أحد خان ج٢، ص ١.

(٢) وفي ١٧ نوفمبر ١٨٦٩م فتحت الترعة لمرور المراكب، وجرى ذلك باحتفال عظيم لم يكن يسمع بمثله وذلك في أثناء وجود السيد أحمد خان في إنجلترا.

فيها سبعة عشر شهراً، كان ضيفاً مبجلاً وزائراً كريماً، وصديقاً عزيزاً في الأوساط الإنجليزية المحترمة، وحضرت المآدب الملكية الفخمة والولائم "الاستقراطية" التي تمثل الحضارة الأوربية في أروع مظاهرها، وأخلاق الطبقة الحاكمة، وطبقة الأشراف، ونال الوسام الملكي ولقب الشرف، وقابل الملكة، وولى العهد والوزراء الكبار، واختير عضواً فخرياً في الجمعيات العلمية ذات الشرف الكبير، وحضر حفلة نادى المهندسين الكبار، واطلع على المشاريع والخطط التقدمية التي مرت بها البلاد في الزمن القريب، والتي أحدثت ثورة وانقلاباً في الأوضاع، وفي مستوى البلاد، ومكنتها من بسط نفوذها وسيطرتها الفكرية والسياسية.

زار سيد أحمد خان فرنسا وإنجلترا وهما في أوج مدنيتهما وفي ريعان الصناعة الحديثة والعلم الجديد، ورأى المجتمع الإنجليزي في عصر لم يتسرب إليه الوهن، ولم يعتره الضعف الذي أصيب به بعد الحرب الأولى، ورأى الحيوية تتدفق منه، والطموح إلى غزو العالم وإخضاعه يملك زمامه، وقد شغل بمشاهدة جانبه المشرق الوضاء عن مشاهدة جانبه الضعيف الأسود، وهو الجانب الخلقي والروحي، وجانب الاستعمار الغاشم، والإجرام العالمي والأثرة القومية، والقسوة على غير الإنجليز ـ التي رأى مظاهرها في الهند ـ فأعجب بهذه الحضارة والمجتمع الذي يمثلها إعجاباً ملك عليه النفس والفكر،

وملأ جميع جوانحه وجوانب تفكيره، ورجع إلى البلاد في ٢ أكتوبر سنة ١٨٧٠م داعية متحمساً إلى تقليد الحضارة الغربية، وإصلاح المجتمع الإسلامي الهندي على أساس تقليد الأوربي ومبادئه وقيمه، وتبنى هذه الدعوة بكل إخلاص وبكل حماسة، ووهب لها مواهبه كلها، وأصبحت نظرته مادية بحتة، تخضع للقوى الطبيعية، والسنن الكونية، -كما يفهمها- خضوعاً زائداً، ويخضع لها عقيدته ويؤول على أساسها القرآن تأويلاً يبلغ به حد التحريف والعبث بأصول العربية واللغة والنحو، والتواتر الإجماع، فصار يفسر القرآن الكريم تفسيراً[1] يخرق فيه الإجماع، وينقض به اللغة ويثير العجب والإنكار في الأوساط الدينية والعلمية، وقد أصاب الدكتور محمد إلهي في نقد هذا الاتجاه إذ يقول في كتابه "الفكر الإسلامي الحديث" :

"فحركة سيد أحمد خان كانت تقوم على الافتتان بالعلم الطبيعي والحضارة الغربية المادية، كما يفتتن في عصرنا الحاضر بعض المفكرين بما يسمي"العلم" (SCIENCE) وبالمركبات الحضارية التي قامت عليه، والافتتان بالعلم الطبيعي أو بالطبيعية كما يقال، يؤدي إلى خفة وزن القيم الروحية والمثالية، وهي القيم التي تقوم عليها رسالة الأديان السماوية التي يمثلها الإسلام أوضح تمثيل، وقد يصير الافتتان بهذا

(١) سماه **"تفسير القرآن الكريم وهو الهدي والفرقان"** كتبه في **"أردو"** في ستة مجلدات وقد وصل فيه إلى تفسيره سورة النحل

العلم الطبيعي إلى إنكار كل قيمة أخرى مما لايشاهد في الطبيعة، ويدرك بالحس الإنساني، ومن هنا ربط السيد جمال الدين الأفغاني بين إلحاد سيد أحمد خان ومذهبه الدهري أو الطبيعي، مع بقاء انتسابه إلى الإسلام ولغته بالإلحاد، رغم ما كان يكرره من القول بأنه يدافع عن الإسلام، وأنه يبقى أن يوجد طريقاً للمسلم المعاصر يوفق فيه بين إسلامه وتقبله الحياة العصرية التي قامت على إثر نهضة العلم الطبيعي. [١]

وقد كانت هذا الاتجاه المادي المتطرف والإسراف في تمجيد العقل والمبالغة في سلطانه وحدوده، وإخضاع إرادة الله وقدرته وكتابه لقوانين الطبيعة وقوانين هذا العالم، والجراءة على التفسير وتأويل معاني القرآن تأويلاً جرئياً، قد فتح باباً للفتنة والتحريف والإلحاد في آيات الله والفوضى في الدين والعقيدة التي انتشرت في العصر الأخير. [٢]

جوانب الضعف في فكرة سيد أحمد خان:

اتسمت خطة سيد أحمد خان التعليمية بسمتين تقاصرت بسببهما عن أن تكون الثورة المنشودة التي تشتد إليها حاجة العالم الإسلامي، وعملاً إيجابياً بناء يلائم وضع هذا المجتمع القائم على

---

(١) المرجع السابق، ص ١٥ـ١٦.

(٢) الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية للشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي رحمه الله، ص٦٩ـ٧٣، **المجمع الإسلامي العلمي**، (ما طبع فيه تاريخ النشر).

أساس العقيدة والإيمان والرسالة المحمدية، ويملأ الفراغ الهائل الواقع في العالم الإسلامي كله.

أولاً إنه لم يفكر في إخضاع هذا النظام التعليمي الذي أخذ شكله النهائي في البيئة الغربية، لطبيعة هذا المجتمع الإسلامي الهندي الذي كان يريد تطبيقه فيه وحاجاته وأوضاعه، ولم يفكر في سبكه سبكاً جديداً إسلامياً هندياً، ولم يفصله عن الحضارة الغربية وروحها المادية التي لا لزوم لها في بلد إسلامي شرقي، بل إنه استورد هذا النظام من الغرب بتفاصيله وخصائصه وروحه وطبيعته، ومع الحضارة التي تكتنفه، وألح على كلا الجزأين -المنهاج التعليمي ، والحضارة الغربية- إلحاحاً شديداً، بل شرط -في قانون الكلية- أن يكون العميد دائماً انجليزياً، وأستاذان -على الأقل- من الإنجليز، ومدير الثانوية من الإنجليز، ويزاد في هذا العدد كلما اتسعت له ميزانية الكلية.[1]

وهكذا كان، فلم يزل أربعة أوخمسة من الأساتذة الكبار من الإنجليز يتولون التدريس في أقسام مختلفة ويشرفون عليها، وكان لهم تأثير شديد عميق في نظام الكلية وأخلاق الطلبة، حتى استطاعوا -بنفوذهم- أن يلعبوا دوراً مهماً في سياسة البلاد، وقد كان عميد الكلية المستر ثيودريك -الداهية الإنجليزية- صاحب التوجيه الأول

(١) حياة جاويد "**سيرة سيد أحمد خان**" لصديقه الأستاذ ألطاف حسين محالي، ص٢٨٢.

في السياسة الإسلامية الهندية وقيادة الرأى، وقد كان لهذا التوجيه عواقب وخيمة في السياسة، واتجاه المسلمين السياسي.

وهكذا اقترنت دعوة سيد أحمد خان التعليمية بالدعوة إلى الحضارة الغربية من غير لزوم وحاجة إلى ذلك، فحامت حولها الشبهات، واكتنفها أجواء من السخط والاستياء، وأثارت إنكاراً شديداً في الأوساط الدينية، ورافقها ـ منذ نشوئها ـ دعوة إلى مقاطعة هذه الحركة والابتعاد عنها، خلقت مشكلات كثيرة في سبيلها، وعارضها علماء الدين، الذين لم يكونوا يعارضون تدريس اللغة الإنجليزية والعلوم المفيدة ـ لما اقترن بها ورافقها من أول يومها، من الخضوع للحضارة الغربية وقيمها، والتأثير في الأخلاق والعقائد، وبسب سيطرة الأساتذة ورجال الإدراة الإنجليز ونفوذهم في هذه المؤسسة الوليدة وفي عقول الشباب المسلمين ـ الذين ينتمون إلى أكرم الأسر وأذكاها وفي أخلاقهم، وقد نشأ ـ بفعل هذه المؤثرات وبتأثير الجو الغربي الذي يسود في هذا المعهد ـ جيل مثقف إسلامي الاسم ، غربي التفكير، إنجليزي الطراز، مضطرب العقيدة في بعض الأحيان، ويخلق مشكلة جدية في البيوتات وفي المجتمع الإسلامي ولا ينسجم معه انسجاماً كلياً.

والسمة الثانية أنه تمسك في هذا النظام التعليمي بتعليم اللغة

والأداب فقط ولم يعن بتعليم الفنون والعلوم التطبيقية العملية العناية التي تستحقها، مع أنها هي ثمرة العلم الجديد اليانعة، وسر قوة الأمم الغربية وسيادتها، وهي التي يجب أن تستفاد من الغرب ويحرص على دراستها والبراعة فيها، بل إنه ، سامحه الله ـ عارض في بعض الأحيان تعليم الصنائع والعلوم معارضة شديدة، وكتب في هذا الموضوع مقالات شديدة اللهجة، مريرة النقد آخرها المقال الذي نشرته مجلة"عليكره كزت"(ALIGARH GAZETTE) في عددها الصادر يوم ١٩ فبراير سنة ١٨٩٨م يقول فيه :"إن الهند نظراً إلى حالتها الراهنه ليست في حاجة إلى تعليم الصنائع، إن الأهم المقدم هو الثقافة الفكرية من المستوى الأعلى التي لم تتحق أو لم تكتمل بعد"وقد تخوف سيد أحمد خان بما كان يقرؤه لكبار الإنجليز من الحث على دراسة العلوم الصناعية أن الإنجليز يريدون وقف التعليم العالي أو تعليم الآداب الغربية، فكان يحارب هذه الفكرة بكل قوته وبلاغته، وقد ألقى محاضرة طويلة في حفلة مؤتمر التعليم الإسلامي الخامسة في هذا الموضوع، وعارض أن يكون مشروع تعليم العلوم الصناعية على حساب تعليم الآداب الإنجليزية والدراسات الأدبية، وقد عرص هذا المشروع مراراً وبحث فيه في لجان جامعة"إله آباد" وكان سيد أحمد خان من كبار خصومه ومعارضيه.[1]

(١) حياة جاويد ص: ٣٠٢ـ٣٠٣.

كانت نتيجة ذلك أن الجامعة الإسلامية اتجهت اتجاهاً علمياً أدبياً محضاً، وسيطرت عليها نزعة التقليد والتطور، ونزعة التوسع في الآداب، وخرجت عدداً لا يستهان به من الخطباء والأدباء والإداريين والقضاة والمؤظفين الكبار، ولم تخرج ـ بطبيعة الحال ـ رجالاً مبرزين ومبتكرين في علوم الهندسة والميكانيكا، والطبيعة والكيمياء والصناعات المفيدة، والعلوم التي كان الشعب الإسلامي الهندي في فقر شديد إليها، وكان ذلك من أسباب تخلفه واقتصاره على الوظائف الحكومية والمراكز الإدارية المحدودة دائماً.

القيادة الدينية لعلماء الدين:

أما علماء الدين فقد كانوا أقوى علماء العالم الإسلامي شخصية دينية، ومن أكثرهم رسوخاً في الدين، وزهداً في الدنيا، وإيثاراً للآخرة، وغيرة على الإسلام، وجهاداً في سبيله بالنفس والنفيس، ولكن جوهم الخالص الذي عاشوا فيه، وثقافتهم القديمة، لم تمكنهم من السيطرة على هذه الحضارة الغربية والثقافة الجديدة وقيادتها إلى ناحية جدية مجدية تعود على الإسلام والمسلمين بالنفع والقوة.

ثم إن الهمجية التي ظهرت من الحكومة الإنجليزية والقسوة النادرة التي عاملت بها المسلمين الذين اعتبرتهم أصحاب الفكرة في الثورة المخفقة سنة ١٨٥٧م وقادتها، وتحمس الحكام والولاة الإنجليز لنشر المسيحية في طبقات الشعب الهندي، والسرعة الزائدة

التي كانت الحضارة الغربية تنتشر بها في الجمهور وتأثيرها في عقيدة المسلمين وأخلاقهم، كل ذلك وضعهم في مركز الدفاع عوضاً عن الهجوم، وجعلهم يفكرون في الاحتفاظ بالبقية الباقية من العاطفة الدينية، والروح الإسلامية ومظاهر الحياة الإسلامية، والدعوة إلى التجنب عن هذه الحضارة والابتعاد عنها ما أمكن، وجعلهم بفكرون في بناء معاقل الحضارة الإسلامية والثقافة الإسلامية والعلوم الشرعية، وتخريج العلماء والدعاة والمرشدين من هذه المعاقل التي سميت بعد بالمدارس العربية.

وكان على رأس هذه الحركة الإصلاحية والتعليمية المنتجة الإمام محمد قاسم النانوتوي مؤسس معهد ديوبند الكبير، وكان لا ينظر إلى المؤسسة التي ساهم في تأسيسها وقادها في حياته، كمعهد يقوم بتدريس العلوم والمواد الدراسية ويخرج الفقهاء والمعلمين فحسب، بل ينظر إليه كمركز "وثكنة" تخرج المكافحين والدعاة الذين يفتحون جبهة جديدة للكفاح بعد ما لقي المسلمون الهزيمة المنكرة من الإنجليز المحتلين، وانقرضت الدولة الإسلامية من الهند.[1]

يقول الشيخ مناظر أحسن الكلاني في "سيرة مولانا محمد قاسم النانوتوي" مؤسس دار العلوم ديوبند:

"قد اشتغل عقله الكبير في فتح الجبهات الجديدة وتهيئة مجالات

(١) السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي، **الصراع**، ص ٦٣ـ٦٤.

الكفاح بعد ما أخفقت يورة عام ١٨٥٧م، وكان نظام التعليم والتربية السائد في دار العلو ديوبند عاملاً أساسياً لتحقيق هذا المنهج الذي آثره الشيخ".

إن الذين تراجعوا من ساحة شاملي[1] لم ينقطعوا عن التفكير، ولم يضعوا أوزارهم، بل بقي هؤلاء يكافحون لبقاء الدين والعلم الديني، واشتعلت به عقولهم وقلوبهم، ينتظرون من الله النصر، وكان ضمن هذه الجهود هذه المدرسة التي لم تكن غايتها التدريس والتعليم فحسب، وإنما كان من غايتها الأساسية تربية رجال يتداركون الهزيمة التي لحقت المسلمين في عام ١٨٥٧م.[2]

وسواء تحقق هذا الغرض النبيل أم لم يتحقق، ولكن مما لا شك فيه أن لهذه الحركة وقادتها فضلاً كبيراً في تمسك الشعب الهندي الإسلامي بالدين وشريعة الإسلام، وتفانيه في سبيله، والتماسك أمام الحضارة الغربية المادية الإلحادية تماسكاً لم يشاهد في بلد إسلامي آخر تعرّف بهذه الحضارة ووقع تحت حكم أجنبي، وكانت ديوبند زعيمة هذا الاتجاه، والمركز الثقافي الديني والتوجيهي الإسلامي الأكبر في الهند.

(١) قرية بين دهلي وسهارنبور وقد كانت فيها في عام ١٨٥٧م معركة حربية ضد الإنجليز قاتل فيها الحاج إمداد الله المهاجر المكي، والشيخ محمد قاسم وزملاؤهما واستشهد في الشيخ محمد ضامن.

(٢) الكيلاني، **سوانح قاسمي**، ج٢، ص ٢٢٣-٢٢٦.

افتتاح الجامعة الإسلامية دار العلوم/ديوبند؛

يعتبر عام ١٢٨٣هـ/ ١٨٦٦ م عاماً مباركاً وسعيداً بالنسبة للمسلمين في شبه القارة الهندية، الذي شهد النشأة الجديدة لحياتهم الدينية والعلمية والثقافة في هذه القرية الأثرية العريقة من شمال الهند، فقد تم تدشين الجامعة الإسلامية دارالعلوم / ديوبند يوم الخميس ١٥/ شهر محرم الحرام عام ١٢٨٣هـ الموافق ٣٠/ مايو عام ١٨٦٦م في فناء مسجد"تشته" القديم تحت أديم السماء في ظل شجيرة رمان بكل بساطة، ودون اتخاذ المراسيم والطقوس المعتادة، ومن غير رياء أو سمعة، وتم تعيين الملا محمود الديوبندي الذي كان من أساطين العلم والفضل مدرساً بها.

وكان شيخ الهند محمود حسن الديوبندي (١٢٦٨- ١٣٣٩هـ / ١٨٥١ـ١٩٢٠م) -رحمه الله- أول طالب يفتح الكتاب ويقرأ في هذه الجامعة. ومن الغريب أن المدرس والطالب اسم كل واحد منهما كان محموداً. ولم يكن ثمة أسباب ظاهرة تعتمدها المدرسة وقتئذ سوى اللفتة الحانية الكريمة والرحمة الإلهية. فقد كان هؤلاء المؤسسون أصفار الأيدي إلا من الإخلاص والاحتساب والرغبة في خدمة الدين والتوكل على الله تعالى، وتمّ تدشين هذه الجامعة في وضع يعوزه الأسباب المادية، فلا مبنى لهذه الجامعة، ولا طلبة علم، وغاية ما كانت

تشتمل عليه: طالبٌ واحدٌ ومدرسٌ واحدٌ. وهذه هي بداية الجامعة التي تعرف اليوم بـ أزهر الهند "دارالعلوم/ ديوبند" في العالم كله.

وهذا الافتتاح لهذه المدرسة وإن كان يبدو مجرد افتتاح مدرسة عادية على نطاق ضيق جداً إلا أنه كان -في الواقع- يمثل بزروع عهد جديد لحركة موسعة تهدف إلى نشر التعليم الديني في الهند، تمّ الشروع فيها عن فكر وروية، كما يتضح ذلك بالتقدم الكبير الذي أحرزته دارالعلوم/ ديوبند في المرحلة التالية من عمرها.

ولقد قام زعماء الجامعة: دار العلوم/ ديوبند بإنارة مشاعل الكتاب والسنة حفاظاً على الحياة الدينية والاجتماعية والإبقاء عليها في شبه القارة الهندية. وعملوا حصاراً منيعاً يدفع عنها الأخطار المحدقة بها في تلك الأيام الحالكة الظلام عن طريق تفسير القرآن الكريم والحديث الشريف والفقه وعلم الإسلام وأدبه وعقائده، وكان لهذا الحصار دور بارزٌ في صيانة المسلمين من الهزيمة الروحانية والعلمية. كما سترد تفاصيل ذلك في الصفحات اللاحقة.

إعلان تأسيس دارالعلوم:

والإعلان الذي نشره زعماء الجامعة: دارالعلوم/ ديوبند بمناسبة تأسيسها يفيد بما يلي:

"نحمد الله تعالى على أن اتفق أولو العزم والهمة العالية من

سكان"ديوبند"على جمع بعض التبرعات، وأنشئت مدرسة عربية في ١٥/ محرم الحرام عام ١٢٨٣هـ، وفعلاً تم تعيين المولوي محمد محمود مدرساً بها يراتب شهري قدره خمش عشر روبية وهو ذو كفاءة عالية، وبما أن هذا الراتب الذي يتقاضاه ضئيل جداً بسبب التبرعات القليلة التي تتلقاها المدرسة والشح في مواردها، فقد عزم القائمون على المدرسة على زيادة راتبه فيما إذا ارتفعت حصيلة التبرعات إلى حد ما، وهو المأمول، كما تذوي تعيين من يقوم بتدريس اللغة الفارسية والرياضي.

فليكن جميع أصحاب الهمة العالية والنصح لأهل الهند عامة، وسكان "ديوبند" وما جاورها خاصة، على علم بضرورة تقديم مساعدات كافية عن رضى وطواعية، إذالم يسبق لهم المشاركة في تقديم التبرعات لصالح المدرسة. علماً بأن هناك وجهاً آخر للإنفاق -عدا ما يضمه فهرس التبرعات هذا، والتي يبلغ إجماليها ٤٠١ روبية- وهو التبرع لصالح أغذية الطلاب الوافدين ومساعداتهم، وقد تمّ جمع تبرعات تغطي حاجة ستة عشر طالباً، وهو في ارتفاع متواصل بإذن الله تعالى. وتنفق هذه التبرعات على الوجبات الغذائية الجاهزة للطلاب الوافدين وإسكانهم، وسيتم توفير الكتب الدراسية في مراحل متعاقبة. وفيما يلي أسماء القائمين على المدرسة. فمن رغب في التبرع لصالحها، فليرسله باسمه عن طريق البريد، وسيتم موافاته سندات القبض المعدة لهذا التغرض، فقط.

المولوي محمد قاسم حفظه الله.

الحاج عابد حسين حفظه الله.

المولوي مهتاب علي حفظه الله.

المولوي ذو الفقار علي رحمه الله.

المولوي فضل الرحمن حفظه الله.

المنشي فضل حق حفظه الله.

شيخ نهال أحمد حفظه الله.

المشرف على المدرسةالعربية والفارسية والرياضية
قصة "ديوبند"
تحريراً في ١٩/ محرم الحرام ١٢٨٣هـ/ ١٨٦٦م

ولم يكن هؤلاء أعضاء المجلس الاستشاري فحسب، وإنما كانوا أهم في الجامعة بناة الجامعة، وكان الشيخ النانوتوي -رحمه الله- أول مشرف على هذه الجامعة، والحاج عابد حسين -رحمه الله- أول مدير لها.

الأصول الأساسية الثمانية لدار العلوم التي وضعها لها وقررها

مؤسسها الإمام النانوتوي:

إن الشيخ محمد قاسم النانوتوي الذي يرجع إليه فضل تأسيس دار العلوم قد وضع لدار العلوم أصولاً أساسية ثمانية، أعملها في شؤونها وأجرى أمور دار العلوم عليهامنذ يومها الأول، ثم جرى عليها من جاء بعدها من المشرفين عليها، ويرى من له معرفة تامة بها وبدار العلوم وأحوالها، أن سرّ نجاحها، -بعد فضل الله سبحانه وتعالى وتوفيقه- هو في التزام العمل بهذه الأصول، وهي كما يلي:

١- ليواصل السعي رجال العمل والإدارة قدر المستطاع لتوفير العطايا والتبرعات وليستخدموا غيرهم لهذا العمل المثمر.

٢- ليبذل الناصحون للمدرسة المساعي الحثيثة لإبقاء طعام الطلاب وتكثير عددهم.

٣- على أعضاء المجلس الاستشاري أن يراعوا دائماً الأمور الصالحة للمدرسة ولا يصور على آرائهم الخاصة، ولو حان الوقت ـ ولا سمح الله ـ لأن يكرهوا مخالفة آرائهم،

ويستاؤوا منها، لتزلزل كيان المدرسة وتزعزع أساسها، فعليهم أن يشيروا في شؤونها على مباشرة الأمور بكمال الخلوص والنصوح لها، مراعياً لصلاحيها في سياق إظهار آرائهم وسباقها، ويقبلوا بسعة الصدر رأي غيرهم من المستشارين ولو كان رأيهم خلاف ما يرون.

وعلى المدير أن يستشير أصحاب الرأي وأولي النظر في الأمور الهامة، سواء كانوا من أعضاء المجلس الاستشاري أو غيرهم من الزوار الكرام الناصحين للمدارس الإسلامية ذوي البصيرة والرأي في الأمور، وقد يلزم هذا فإنه إذا ما أمكنه ولم يقدر أن يستشير أعضاء المجلس لسبب ما، وقد استشار عدداً معتداً به من أصحاب البصيرة والرأي، فلا ينبغي لأحد أن يسخط عليه ويغضب على أنه لم يُستشر، وإن لم يستشر –المدير– أحداً (وعمل برأيه فقط) فلأهل الشورى حق الانتقاد والاعتراض.

٤- على الأساتذة أن يعتصموا بحبل الاتفاق والوئام ولا يتفرقوا فيما بينهم مشرباً ومسلكاً ولا يهتكوا حرمة الآخرين، فلولم يعملوا به لتوقفت نشاطات المدرسة وغربت شمس رقيها.

٥- لا بد للأساتذة من إتمام المقررات الدراسية، حسب النظام

الذي قرروه سابقاً -أو حسبما يبدو لهم فيما بعد- وإلا لم تعمر هذه الدرسة بالطلاب، ولو عمّرت لكانت غير نافعة لهم.

٦- ما دامت المدرسة لا تحفظى بوسيلة مادية ثابتة قائمة، تجري نشاطاتها إن شاء الله كالمعتاد بشرط التوجه إلى الله تعالى. ولو حصلت لها أية وسيلة مؤكدة مثل العقار أو المصنع أو وعد وعهد من ملك صادق الوعد محكم القول، لذهبت نعمة الرجوع إلى الله تعالى والتوجه إليه، ولتوقف نزول عونه، وحدث ونشأ النزاع والجدال بين رجال العمل والإدارة، فعليهم أن يراعوا ويهتموا في دخل المدرسة والميزانية أن تكون الحال في نوع من فقدان عدة وعتاد.

٧- إن مساهمة الحكومة أو الأمراء في أمور المدرسةالإدارية تلحق أشد الضرر بها.

٨- إن إعانات ومساعدات من لايجري وراء السمعة الزائفة الكاذبة تعود بالبركة فإن إخلاص نية المساعدين وحسنها يؤثر في ترقيتها وتدعيم كيانه.[1]

---

(١) الأسعد القاسمي، **دار العلوم ديوبند**، ص ٨١-٨٢.

أهداف دار العلوم

نظراً إلى الظروف التي تأسست فيها جامعة "دارا لعلوم" تشتمل أهدافها في المحاولة لإبقاء الإسلام والمسلمين في هذه الديار عن طريق التعليم والتربية والتوجيه الإسلامي والتوعية الدينية، ولذلك كان هدفها منذ اليوم الأول:

١- تعليم الكتاب والسنة على المستوى العالي بجميع ما يتعلق بهما وينبثق منهما من العلوم والفنون.

٢- تخريج علماء متضلعين في العلوم، حريصين على خدمة الإسلام، تعلماً وتعليماً، وعملاً به ودعوة إليه، وتبيقاً له في المجتمع، أكفياءلخدمة الدعوة الإسلامية والرسالة المحمدية على نهج يتطلبه العصر.

٣- مكافحة البدع والخرافات، والعقلانية الجامحة، والحداثية المتحررة من كل قيد من الدين والعقيدة، ومقاومة جميع القوى المعادية للإسلام، وملاحقة الحركات والدعوات الهدامة.

٤- عرض الإسلام عرضاً عصرياً، يسيغه العوام والخواص، ويُحببه إلى كل قطاعات من الجنس البشري، ويجعله يتأكد من أنه رسالة الله الخالدة الباقية بقاء السماوات والأرض، الصالحة لكل زمان ومكان،وأن البشرية تحتاج إليها احتياجها إلى الماء والهواء، والغذاء والدواء.

٥- تدريس جميع العلوم والفنون باللغة العربية، لكونها لغة رسمية للإسلام، ولكونها وعاء علوم الكتاب والسنة، ولكون الشريعة قد نزلت بها،ولكونها لغة كتاب الله الأخير، المهيمن على كتبه وصحائفه كلها، وبالتالي لكونها مفتاحاً، للعلوم الإسلامية كلها، لا يمكن فهمها، وإدراك أغوارها، والشرب لروحها، والخوض في أعماقها إلا بعد العلم.[1]

خصائص دار العلوم:

١- أهمها أنها أول مدرسة إسلامية أهلية في تاريخ المسلمين في الهند، قامت بتبرعات شعبية وسارت ولا تزال -وستظل تسير بإذن الله- بتبرعات الشعب المسلم وحده.

٢- تدريس الحديث الشريف على المستوى الشامل رواية ودراية.

٣- تجنيد جميع طاقاتها للعمل على الحفاظ على الدين.

٤- الاعتدال والتوازن في اتباع المذهب، واحترام جميع المذاهب الفقهية المعروفة لدى أهل السنة والجماعة ومدارس الفكر الإسلامية المختلفة، وعدم إثارة الخلافات الفرعية، إلا إذا مسّت الحاجة إلى ذلك بشكل ملِح لإيضاح حقيقة من الحقائق.

(١) الأسعد القاسمي، **دار العلوم ديوبند**، ص ٩٣ـ٩٤

٥- مكافحة البدع والخرافات، حتى سُمي علماء ديوبند بـ"الوهابيين" من قبل أولي الأهوار، وعُبّاد الأضرحة والمعتقدين في الأولياء والصلحاء والأنبياء محرماً في الشرع الإسلامي المطهر.

٦- نشر العقيدة الصحيحة المتوارثة عن النبي صلى الله عليه وسلم عن طريق الرعيل الإسلامي الأول من الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان من بعد .

٧- التوكل على الله، والبساطة في العيش، والجهاد للحق، والتقيد بآداب الشرع الإسلامي، والتقاليد الإسلامية الحقة، والتزي بزي العلماء، والاتسام بسمة الصلحاء.

٨- المحافظة الكاملة الدقيقة على الشرائع الإسلامية، ولا سيما الصلاة مع الجماعة في مواقيتها، فالحاجة تُقيد طلابها والعاملين فيها بذلك أولاً وقبل كل شيء.

٩- إنها لا تهتم بالشكل والمظهر اهتمامها بالحقيقة والمخبر، وتحترز عن الدعاية، وإطلاق الدعاوي العريضة، والأقاويل الفارغة وتؤثر العمل في صمت.

١٠- إن روح الإخلاص والاحتساب هي التي تسري في جميع أعمالها، لأنهاتعلم أنه ما كان لله دام، واتصل، وما كان لغيره انقطع وانفصل وهذا شيء يلمسه كل زائر للجامعة.[١]

(١) الأسعد القاسمي، دار العلوم ديوبند، ص ٩٥ـ٩٦

المنهج الدراسي عبر العصور

قبل أن نذكر المنهج الدراسي لدار العلوم أرى من المناسب أن نلقي نظرة عابرة على المنهج الدراسي القديم عبر العصور.

الطبقة الأولى: أصيب المنهج الدراسي عبر العصور بتعديلات تافهة، وخلف كتب جديدة محل كتب قديمة، كما أجرى تعديل في المواضيع، وكانت المواضيع تنال الأرجحية حسب تغير الظروف، فكانت مواضيع تنال التشجيع من الأمراء والسلاطين والعلماء، ومواضيع أخرى تهمل على نفس الأساس، إلا أن المواضيع التي نالت اهتمام العلماء مدة طويلة كانت علوم اللغة والفقه وقدراً من العلوم العقلية التي كانت الشغل الشاغل للعلماء من القرن السابع إلى القرن التاسع، ذكر الشيخ السيد محمد واضح رشيد الحسني الندوي حفظه الله تعالى في كتابه نقلاً عن كتاب العلامة الشيخ عبد الحي الحسني أنه ذكر في كتابه" الثقافة الإسلامية في الهند" كتباً مقررة في هذا العهد، كانت تعتبر الشرط اللازم للفضيلة، فمن الكتب المقررة في النحو"المصباح"[1] و"الكافية" و"لب الألباب"[1] وفي الفقه""المتفق"

(١) كتاب في النحو ألفه الإمام ناصر بن عبد السيد المطرزي المتوفى سنة ٦١٠هـ، وهذا الكتاب محتو على خمسة أبواب، الأول في الاصطلاحات النحوية، والثاني: في العوامل اللفظية القياسية، والثالث: في العوامل اللفظية السماعية. والرابع: في العوامل المعنوية. والخامس: في فصول من العربية، وهو كتاب متداول في المدارس.

و"مجمع البحرين" و"القدوري" و"الهداية" في أصول الفقه، "الحسامي"[٢] و"المنار"[٣] وشروحه و"أصول البزدوي" وفي التفسير "المدارك" و" البيضاوي"[٤] و"الكشاف".

وفي الحديث:"مشارق الأنوار" و"مصابيح السنة"[٥] وفي الأدب"مقامات الحريري" التي كانوا يحفظونها، وفي المنطق "شرح الشمسية" وفي الكلام"شرح الصحائف".[٦]

---

(١) في علم الإعراب، وهو مختصر الكافية للقاضي ناصر الدين عبد الله البيضاوي المتوفى سنة ٦٨٥ هـ، وهو منطوعلى فوائد جليلة، وغرائب النحو بوجازة ألفاظ عبقرية، وقد ذكر فيه ما هو الواجب مما تركه ابن الحاجب.

(٢) كتاب في أصول الفقه كان داخلاً في المقررات الدراسية للمدارس شرحه الشيخ معين الدين العمراني الدهلوي، واعتنى به العلماء شرحاً وإيضاحاً .

(٣) كتاب في أصول الفقه، ألفه أبو البركات عبد الله بن أحمد المعروف بحافظ الدين النسفي المتوفى سنة ٧١٠هـ، وهو متن متين، جامع مختصر نافع، ذكر فيه المؤلف الحقائق والدقائق، ولكنه لا يخلو من التعقيد والحشو والتطويل، واعتنى بشأنه العلماء شرحاً وتوضيحاً، ومن أفضل شروحه نور الأنوار، لملاجيون الهندي الذي طبع في مصر.

(٤) هو الشيخ الإمام القاضي ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي المتوفى سنة ٦٨٥هـ.

(٥) للإمام حسين بن مسعود الفراء البغوي، المتوفى سنة ٥١٦هـ قسم المؤلف الأحاديث المذكورة فيه إلى صحاح وحسان، عني بالصحاح ما أخرجه الشيخان، وبالحسان ما أورده أبو داود والترمذي وغيرهما، وما كان فيها من ضعيف أو غريب، أشار إليه، قال المؤلف نفسه: هذه ألفاظ صدرت عن صدر النبوة مما أورده الأئمة في كتبهم جمعتها للمنقطعين إلى العبادة ليكون لهم بعد كتاب الله تعالى حظ من السنن، وترك ذكر الأسانيد اعتماداً على نقل الأئمة، واعتنى بشأنه العلماء بالقراءة والتعليق والشرح.

(٦) **حركة التعليم الإسلامي في الهند وتطور المنهج،** للشيخ السيد محمد واضح رشيد الحسني الندوي المجمع العلمي الإسلامي، لكناؤ الهند، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

ومن هذا المنهج يتضح أن الفقه كان ينال الدرجة العليا من العناية، وذلك لأن القضاء الشرعي في هذا البلد المترامي الأطراف كان يتطلب هذا العناية، يقول العلامة السيد عبد الحي الحسني:"إن الفقه كان عمدة بضاعتهم ذلك اليوم، ولذلك كثرت فيهم الفتاوى، والروايات، وكان قصارى نظرهم في الحديث."مشارق الأنوار" للصغاني، فإن ترفع أحدهم إلى مصابيح السنة للبغوي ظنوا أنه قد وصل إلى درجة المحدثين.[١]

الطبقة الثانية: في أواخر القرن التاسع ازدهر المنطق والكلام وتداولت مؤلفات المحقق الدواني، وصدر الدين الشيرازي ومرزاجان، وغياث الدين منصور الشيرازي بين المعلمين وأضيف في هذا العهد كتب أخرى مثل المطالع والمواقف[٢] لعضد الدين الأيجي، ومفتاح العلوم[٣] للسكاكي، وشرح الوقاية لصدر الشريعة، وشرح

(١) **الثقافة الإسلامية في الهند،** ص١٢، طبع مجمع اللغة العربية بدمشق.

(٢) كتاب في علم الكلام، ألفه العلامة عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الأيجي القاضي، وهو كتاب جليل القدر، رفيع الشأن اعتنى به الفضلاء، فشرحه السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني، المحقق المتوفى سنة ٨١٦هـ.

(٣) كتاب ألفه العلامة سراج الدين أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد علي السكاكي المتوفى سنة ٦٢٦هـ. يتضمن هذا الكتاب من أنواع الأدب ما رآه لازماً من علم الصرف، وعلم الاشتقاق والنحو، وعلم البيان والمعاني وعلم الحدود والاستدلال، كما ذكر المؤلف النظم والنشر والعروض والقوافي واهتم به العلماء والباحثون بالشروح والتلخيص.

الكافية للجامي.[١]

الطبقة الثالثة: إن ثروة الحديث القيمة كانت ضئيلة إلى القرن العاشر للهجرة، فوفق بعض الناس للسفر إلى الحجاز، وأدركوا بها محدثين، وأخذوا عنهم الحديث وجاؤوا[٢] به إلى الهند، فنشأت بعض المراكز لتدريس الحديث في مختلف أنحاء الهند إلا أن أغلب بلاد الهند كانت غير عامرة بهذا العلم الشريف، فجاء الشيخ عبد الحق بن سيف الدين الدهلوي[٣] (١٠٦٧هـ) وتصدى للدرس والإفادة.

(١) يراجع للتفصيل **"حركة التعليم الإسلامي في الهند وتطور المنهج**، للشيخ السيد محمد واضح رشيد الحسني الندوي ص ٥٢-٥٤.

(٢) وهم الشيخ محمد بن طاهر بن علي الفتني (م٩٨٦هـ) صاحب" **مجمع بحار الأنوار"** والشيخ يعقوب بن حسن الكشميري (م١٠٠٣هـ)، والشيخ عبد النبي الكنكوهي (م٩٧١هـ).

(٣) أول من نشر علم الحديث في الهند تصنيفاً وتدريساً أخذ الحديث في مكة المكرمة، عن الشيخ عبد الوهاب بن ولي الله المتقي، والقاضي علي بن جار الله بن ظهيرة القرشي المخزومي الملكي، والمحدثين بالمدينة المنورة، وأجازوا إجازة عامة، وأثنوا عليه، قال عنه القاضي علي بن جار الله المذكور: إنه انفرد العلم في القطر الهندي، وخدم العلم الشريف، وضرب فيه بالسهم الأعلى والقدح المعلى، وبالجملة فإنه درس وأفتى وصنف وشرح الكتاب، ونقل معانيها من العربية إلى الفارسية، وكشف عن إشاراتها الباهرة، ولطائفها الزاهرة بالعبارة الجليلة المشرق عليها نور الإذن الرباني واللائح عليها أثر القبول الرحماني، **(الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام)**، للشيخ العلامة عبد الحي، ج٢.

ولكن لسوء الحظ لم ينل هذا العلم القبول العام، فكان هذا الشرف حليف الشيخ أحمد بن عبد الرحيم المعروف بالشيخ ولي الله الدهلوي (م ١١٧٦هـ) إلا أن فضل نقل هذا العلم وانتشاره يرجع إلى الشيخ عبد الحق بن سيف الدين الدهلوي(م١٠٦٧هـ) في القرن الحادي عشر للهجرة.

كان الشيخ أحمد بن عبد الرحيم المعروف بالشيخ ولي الله الدهلوي أشهر علماء هذا العصر، وقد زار الشيخ الدهلوي الحجاز، وقرأ الحديث الشريف على الشيخ أبي طاهر المدني عدة سنوات، ثم عكف على تدريسه ونشره في الهند ونشط فيه، فخلف أثراً خالداً، لا يزال يلمس رغم كساد السوق، وقد أعد الشيخ ولي الله الدهلوي حسب ذوقه وفكره منهاجاً جديداً ويرجع نسب تدريس الحديث الشريف إلى أسرته. وعكف هو ومن ينتمي إليه على شرح عدد من كتب الحديث، كما عكفوا على نقل معاني القرآن الكريم إلى اللغة الفارسية واللغة الأردية .

ونال في هذا العهد القبول منهج آخر للتعليم الديني وكان مركزه مدينة لكناؤ، ونال المنطق والفلسفة بهذا المنهج الدراسي قبولاً وأهمية.[1]

الطبقة الرابعة: يبدأ هذا العهد من القرن الثاني عشر للهجرة،

(١) الشيخ السيد محمد واضح رشيد الحسني الندوي، **حركة التعليم الإسلامي في الهند وتطور المنهج**، ص ٥٥-٥٧.

وقد قام بتأسيسه الشيخ نظام الدين بن قطب الدين السهالوي[1] (م١١٦١هـ) بقوة وعزم وهمة، ففاق جميع المناهج، وقهر الألباب فلم يناهضه منهج آخر، ولايزال يحتفظ بقوته سوى تعديلات بسيطة جرت فيه بمر العصور، ويتبع في كثير من المدارس الإسلامية التقليدية في الهند ويعرف بالمنهج النظامي.

وقد كان من أهم التعديلات التي أجراها الشيخ نظام الدين في المنهج الذي اختاره ولي الله الدهلوي أنه حذف عدة كتب في موضوع التفسير والحديث، وأضاف كتب العلوم الآلية، وركز على الفقه وأصوله، فاكتفي في الحديث، بـ"مشكاة المصابيح" وفي التفسير بـ"الجلالين"

(١) كان أستاذ الأساتذة وإمام الجهابذة، لم يكن له نظير في الأصول والمنطق، والكلام ولد بـ"سهالي" ثم انتقل إلى بلده لكناؤ، وأقام بفرنجي محل ودرس على علماء عصره الكبار، وقرأ فاتحة الفراغ، وله خمس وعشرون سنة، ثم تصدى للدرس والإفادة، فتكاثر عليه الطلبة وخضع له العلماء، وطارت مصنفاته في حياته إلى الأمصار والبلاد، وتلقى نظام درسه في أوساط العلماء وانتهت إليه رئاسة التدريس في أكثر بلاد الهند، كان مع تبحره في العلوم والفنون عارفاً كبيراً، زاهداً مجاهداً، شديد التعبد، عميم الأخلاق من التواضع كثير المواساة بالناس، وله مصناف عديدة منها شرحان على "مسلم الثبوت" للقاضي محب الله "الأطول" و"الطويل" وشرح له على "منار الأصول" وشرح على "تحرير الأصول" لاين الهمام، وشرح على "المبارزية" وحاشية على "الشمس البازغة" للجنبوري، وحاشية على "شرح العضدية" كالدواني، (**الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام**)، ج٦ .

و"البيضاوي" إلى آخر سورة البقرة، فخذف "المدارك" و"الكشاف".

ويدل الاستعراض لهذا المنهج على أن عشرة كتب في المنطق وخمسة في الكلام، وثلاثة في الحكمة كانت تدرس. ويقول الشيخ مناظر أحسن الكيلاني عن المنهج النظامي: "كان التفسير يستغرق وقتاً أطول قبل إدخال الكتب في المنطق والفلسفة، فكان المنهج يشمل الكشاف والمدارك والجلالين، لكن حذف الكشاف من المنهج لإفساح المجال لكتب المنطق، والكلام، واقتصر في التفسير على الجلالين، والمدارك، حيث ان الشيخ نظام الدين صاحب المنهج النظامي(م ١١٦١هـ) كان ينمتي في النسب العلمي إلى الشيخ فتح الله الشيرازي[١] فأدخل في منهجه كتب المنطق والفلسفة، ووجه إليها أكثر اهتمامه، وأولى العلماء هذا الموضوع اهتمامهم، وتهافتوا على شرح هذه الكتب وتلخيص وتفصيل الشروح عليها حتى إنه كان يعد من الفضل العلمي التعليق على كتب المنطق والكلام.[٢]

(١) هو أحد العلماء المتبحرين في العلوم الحكيمة، ولد ونشأ بشيراز وقرأ العلم على علماء عصره، حتى صار أوحد أبناء العصر، واشتهر ذكره في الآفاق، فطلبه على عادل البيجا فوري إلى الهند وطابت له الإقامة ببيجافور، ولى الصدارة في عهد أكبر الملك، ولقب بأمين الملك، ثم بعضد الدولة، ثم بعضد الملك، وأدخله "أكبر" في ديوان الوزارة، وهو الذي دخل الهند بمصنفات المتأخرين كالدوائي، والصدر الشيرازي وغياث الدين منصور، ومرزاجان، فأدخلها في حلق الدرس، وتلقاها العلماء بالقبول، توفي سنة ٩٩٧هـ (**الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام**).

(٢) السيد واضح رشيد الحسني الندوي "**حركة التعليم الإسلامي في الهند وتطور المنهج**" ص ٥٧_٦١.

مضار الدرس النظامي: إن هذا المنهج النظامي غلب فيه المنطق والفلسفة، والكلام، وكان هذا المنهج يخلو كلياً من علوم التاريخ، والجغرافيا، وعلم إعجاز القرآن والعلوم الأخرى التي تنقح الفكر وتقوي الخيال وتجعل المتعلم فرداً نافعاً لنفسه ولمجتمعه، ويحدث فيه الإنفعال والتجاوب لمقتضيات العصر.

وأما جزء الأدب في هذا المنهاج فكان بالياً لاعتماده كلياً على"نفحة اليمن" و"المعلقات" و"مقامات الحريري" و "ديوان المتنبي" و"الحماسة" لأن الأدب في نظر واضعي ذلك المنهج كان مجموعة الألفاظ المأثورة، ولا تعبيراً عن الحياة وتصويراً لها، فكان الاهتمام في أدب هذا المنهج محصوراً في حل اللغات وشرح مواضع الاستشهاد في النحو والصرف، بصرف النظر عن مواضع الجمال، والتطبيق العلمي والنقد، فلم يحدث ذوقاً أدبياً ولا قدرة كتابة وخطابة بالأسلوب المعاصر، مما أدى إلى جمود فكري وتعقيد وانغلاق في التعبير.

والجدير بالملاحظة أن كتب الأدب المذكورة لم تكن تدرس كلها في سائر المدارس، بل كانت بعض المدارس تكتفي بنفحة اليمن، ومقامات الحريري، وبعضها تضيف ديوان المتنبي وبعضها تأخذ المعلقات أو الحماسة، أما كتب المنطق وكتب النحو والصرف والفقه

وأصوله فكانت متفقاً عليها في سائر المدارس.

ثم إن كتب الحديث الشريف من الصحاح كانت متروكة كلياً في المدارس التابعة للمنهج النظامي التقليدي في مدرسة "فرنكي محل" بلكناؤ بصفة خاصة، وأما الذين كانوا يرغبون في تحصيل هذا العلم فكانوا يتوجهون إلى مدارس حيث كان يدرس هذا العلم، وإلى علماء أفذاذ في هذا العلم من الذين كانوا ينتمون إلى أسرة الشيخ ولي الله الدهلوي.[1]

المدارس الرئيسية التي نشأت في آخر العهد الإسلامي وبداية العهد البريطاني: انقسمت الهند في مجال التعليم في آخر العهد الإسلامي ـ كما ذكرنا ـ إلى مدرستين"مدرسة الشيخ ولي الله الدهلوي" و"مدرسة الملا نظام الدين" وهما ترجعان إلى عصر واحد، إلا أنهما تختلفان في وجهة النظر التعليمية، فقد اتخذت مدرسة الملا نظام الدين في أيام تلامذته صبغة كسب العلم للعلم، وتعدى هذا الاتجاه إلى حد العلم للنفس، لتأثير العلوم العقلية ولشغف العلماء الزائد بها، أما مدرسة ولي الله الدهلوي فإنها احتفظت بالصبغة الدينية والدعوية وخدمة العلوم الإسلامية، والاعتزاز بها ولاشتغال أبناء مدرسة الشيخ ولي الله الدهلوي بمقاومة التيارات الجارفة، كالشيعة،

(١) المرجع السابق، ص ٧٦ـ-٧٨.

ورجال البدع والبراهمة، مال أصحابها إلى علم الكلام إلا أن الصبغة السائدة لهذا المنهج كان الاشتغال بالحديث الشريف والتفسير، فكان في ذلك منهاجان مختلفان: نظام يغلبه الطابع العقلي، ونظام تغلب عليه العلوم النقلية نسبياً.

إن تتنبع حركة التعليم في العصور المتأخرة الذي بدأ فيه الإنجليز يصل إلى مجهود للجمع بين مزايا المدرستين فيما يتعلق بالنظام الإسلامي للتعليم في"دهلي" والمناطق المجاورة لها.[١]

المدرسة الرحيمية: كان الشيخ ولي الله الدهلوي[٢] يدرس في مدرسة والد الشيخ عبد الرحيم حسب منهجه المختار، ثم خربت هذه المدرسة وقامت مدرسة أخرى كان يدرس فيها الشيخ عبدالعزيز الدهلوي[٣] بن الشيخ ولي الله الدهلوي (م١٢٤٩هـ) تولى التدريس فيها بعد وفاته الشيخ محمد اسحاق[٤] (م ١٢٦٢هـ) .

مدرسة انجلو عربية دهلي: وفي عام ١٨٢٨م انشئت مدرسة للعلوم الشرقية قام بتأسيسها الإنجليز في دلهي، كان يدرس فيها

(١) المرجع السابق، ص٧٩-٨٠

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

(٤) المرجع السابق.

الشيخ رشيد الدين الدهلوي[١] (١٢٤٣هـ) تليمذ الشيخ رفيع الدين الدهلوي[٢] (م١٢٣٣هـ) والشيخ عبد القادر الدهلوي (م١٢٣٠هـ) والشيخ عبد العزيز (م١٢٣٩هـ) أبناء الشيخ ولي الله الدهلوي وكان جامعاً بين المنقول والمعقول، ثم تولى التدرس الشيخ مملوك علي النانوتوي[٣] (م١٢٦٧هـ) متقنناً في الفقه والأصول والعربية مع مهارة تامة في المنطق والحكمة .

وبعد ثورة ١٨٦٧م حوّلت هذه المدرسة إلى مدرسة عصرية بتخفيف المواد الإسلامي.[٤]

المنهج التعليمي الذي وضعه الإمام لدار العلوم

أدرك الإمام النانوتوي ببصيرته النافذة بأن الأمة الإسلامية تحتاج إلى المنهج التربوي الأصيل القادر على أن يقود البشرية إلى ذروة المجد والعلى وإلى واحة الهناء والسعادة، فبحث عن منهج قريب إلى

(١) قرأ العلم على الشيخ رفيع الدين بن ولي الله الدهلوي واستفاد عن الشيخ عبد القادر وصنوه عبد العزيز، ولازم الثلاثة ملازمة طويلة حتى صار علماً مفرداً في العلم معقولاً ومنقولاً وانتهت إليه برئاسة التدريس بدهلي، وكان حسن العبارة ودأبه الدفاع عن حمي السنة الجماعة، وله مؤلفات عديدة، منها: "الشوكة العمرية" والصولة الغضنفرية، في مبحث متعة النكاح (**الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام**)، ج٧.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

(٤) رشيد الحسني، **حركة التعليم الإسلامي**، ص ٨٠-٨٢.

القرآن والسنة في المناهج التعليمية السابقة فوجد منهج الشيخ ولي الله الدهلوي موافقاً للقرآن الكريم والسنة الذي نال القبول في الأوساط العلمية والدينية.

إن الإمام النانوتوي رحمه الله عندما وضع منهج دار العلوم التعليمي جعل "مدرسة الإمام ولي الله الدهلوي" أساساً له، وأما العلوم الحديثة فأدخل منها الرياضيات وعلم الفلك في هذا المنهج، كما أخذ من المنطق والفلسفة فيه ما لابد منه من المبادئ والضوابط الأساسية، وهكذا كانت هذه المبادرة تغيراً ثورياً في مجال التعليم الديني، اختاره الإمام لنانوتوي رحمه الله لجامعته.[1]

يكتب الشيخ عبيد الله الأسعد القاسمي في كتابه"دار العلوم ديوبند مدرسة فكرية" وهو يذكر عن **المنهج الدراسي لدار العلوم**:

"عينت الجامعة من العلوم العالية الإساسية بتحفيظ القرآن الكريم وتجويده وتفسيره وأصول التفسير، والعقائد، والحديث وأصول الحديث، والفقه وأصول الفقه، واللغة العربية وآدابها، ومن النحو والصرف والمعاني والبيان، ومباديء البلاغة وأسرار اللغة العربية ودقائقها، والعروض والقوافي والنثر والشعر، ومن العلوم الآلية التي تعين على الفهم وتزكي الذهن وتهيئه لفهم دقائق الكتاب

(١) الصديقي النانوتوي، **الإمام الأكبر**، ص ١٨٤ـ-١٨٥.

والسنة من المنطق والفلسفة وعلم الهيئة والرياضة، وعلم المناظرة، ومقارعة الحجة بالحجة، مكتفية من العلوم العصرية بمباديء العلم الجديد، والمعلومات العامة، وتحسين الخطوط العربية والفارسية والأردية، كما تهتم الجامعة بتنظيم محاضرات ثقافية لطلابها حول مواضيع الديانات المحرفة، والفرق الباطلة، والحركات الهدامة المعاصرة، وطرقها في المكر والدهاء وتفننها في الإضرار بالإسلام من المسيحية، واليهودية والهندوسية، والبوذية، والمجوسية، والقاديانية، والبابية والبهائية، والتشيع وأهل البدع وأهواء وما إلى ذلك.

بالإضافة إلى النوادي الخطابية، والكتابية، والأدبية التي تنشر في جنبات الجامعة التي يبلغ عددها مائة ناد على الأقل، وعلى رأسها "النادي الأدبي" التي تشرف عليها الجامعة رأساً وباقي النوادي شبه جامعية، تشرف عليها الجامعة عن طريق مسئولين نائبين من الطلاب.

وأما المراحل الدراسية فهي تنقسم إلى:

(١) ابتدائية (٢) متوسطة (٣) ثانوية وعالية (٤) جامعية وعليا.

ففي الابتدائية: يدرس القرآن الكريم ومباديء الكتابة، والقراءة والخط والإملاء ومبادئ الدين باللغة الأردية المحلية في أسلوب بسيط مناسبة لعقلية الناشئ، والحساب واللغة الأردية

والهندية، والجغرافيا، وهذه المرحلة تستغرق ثلاث سنوات.

وفي المتوسطة: يدرس الدين واللغة الأردية، واللغة الفارسية وآدابها، ومبادئ اللغة العربية، والتاريخ، والجغرافيا والإنشاء الفارسي، ونحوها، و تستغرق هذه المرحلة أربع سنوات.

وفي الثانوية: مدتها أيضاً أربع سنوات، يدرس الطالب قواعد اللغة العربية، والأدب العربية القصصي، والتفسير، والحديث والمنطق والفقه وأصول الفقه، والتجويد.

وفي جامعية وعليا: في مرحلة الدراسة العالية الجامعية يدرس التفسير وأصوله، والحديث وأصوله، والفقه وأصوله، وأصول الدين والأدب العربي، والمنطق والفلسفة، والبلاغة وعلم الفلك وعلم المواريث، وعلم المدنية، والجغرافيا، ومبادئ الطبيعة والكيمياء.

وبعد هذه المراحل اللازمه! أقسام ـ للدرسات العليا ـ تكميلية اختيارية تهدف التخصص في مختلف العلوم والفنون من التفسير، والفقه والأدب العربي، وأصول الدين.

وهكذا اتخذت دار العلوم خطة تعليمية تحقق الأهداف التي تتوخاها في التعليم والتربية، فيمتاز منهجها الدراسي بقوة مادة حيث يتسلح الطالب بكثير من المعارف الإسلامية في مدة يسيرة، ولما كانت ظروف الهند تتطلب دعاة وعلماء مخلصين، أكفياء، متضلعين بأسحلة

علمية، جامعين بين العلم والعمل، فصرفت دار العلوم عنايتها البالغة إلى التربية والتدريب العملي لحمل أعباء الدعوة الجسيمة، ونفخت في المتخرجين روح الإخلاص، والقناعة والتطوع.

ولذا فإنها تمكنت من تخريج آلاف من العلماء والدعاة الواعين الذين قاموا بخدمات مشكورة في مجالات دينية ودعوية مختلفة".

مزايا هذا المنهج وخصائصها:

يكتب الشيخ أويس الصديقي النانوتوي حفظه الله في كتابه نقلاً عن الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي "لم يكن نظام التعليم القديم منزها عن النقائص ومواطن الضعف كلياً فقد كانت جميع نواحيه تحتاج إلى الإصلاح والنقد والتنقيح من الناحية الفنية، لكنه كان يحمل بعض خصائص ومزايا بفضل ما كان يتسم به المسئولون عنه من صفات شخصية وروح دينية وطبيعة امتيازية، فسرت إلى ذلك النظام تلك الخصائص الشخصية التي تعوز النظام التعليمي الجديد، قد انتقلت هذه الخصائص جيلاً بعد جيل إلى طبقات المعلمين والمدرسين وتلاميذهم.[1]

أسباب عدم ضم العلوم الدنيوية إلى المقررات الدراسية :

(يقول الإمام النانوتوي) "قد ارتفع هذا العلم رأساً خاصة من

(١) المرجع السابق ص ١٨٩ـ ١٩٠.

هذه البلاد في هذه الحقبة الأخيرة من الزمن بحكم حرمان أهل الإسلام ممن يحنو عليهم ويضم ذراعية عليهم، فقدت أسباب هذا العلم كلها، قد أقلق أمر المعاش الناس كلهم غنيهم وفقيرهم، فأنى يجدون فرصة يتلقون فيها العلم؟ والأثرياء شغلهم على الحفاظ على أموالهم عما سواه، والفقراء يعوزهم قوت ليلهم فكان ذلك وبالاً عليهم، ثم إذا ما حدثت أحداً نفسه بتحصيل العلم رغم هذه الأوضاع والعوائق، فإنه لا يجد مكاناً يجمع له بين الغذاء الروحي والغذاء الجسدي، فكان لهذا العلم حظ الأسد من التدهور والانهيار الذي أنشب مخالبه.

واستطرد قائلاً وهو يشرح أسباب عدم ضم العلوم الدنيوية إلى المقررات الدراسية:

"وإذا كان عدم عناية المدرسة بالعلوم الدنيوية مما يعوق دون الإقبال عليها، فالجواب عنه أولاً: أن الهدف معالجة المرض، ومن الفضول أن يتناول المرء دواء مرض لم ينزل به بعد، ولا يهم المرء سد الفوهة في مصنع القرميد، وإنما يهمه سد ثغرة في الجدار، ومن السفه أن يقلق المرء على لبنة من جدار بيته لم ينقلع بعد؟ وما وظيفة المدارس الحكومية إذا؟ وإذا كانت لا تعنى بتعليم العلوم الدنيوية فما الذي تعلمه؟ ولو لم تكن هذه المدارس الحكومية في عدد يغطي حاجة الناس لكان للرأى القائل بضم العلوم العصرية إلى مناهج المدارس

الدينية بضم العلوم العصرية إلى مناهج المدارس الدينية وجه ومتنفس؟ ولكن لا يخفى على أحد أنها ما من مدينة أو قرية إلا عنيت الحكومات بنشر شبكة مدارس العلوم العصرية فيها، وليس من العقل والبصر بالعواقب في شيء الاهتمام بنشر المدارس العصرية ما دامت هذه المدارس الحكومية كلها قائمة في كل مكان.[1]

أقسام دار العلوم

إن دار العلوم التي أسسها العلماء الربانيون وعلى رأسهم الإمام محمد قاسم النانوتوي رحمه الله لا تزال ترتقي وتقطع أسفارها بفضل الله عزوجل على حدثان الدهر إلى أن مات مؤسسها الإمام محمد قاسم النانوتوي، وبعد وفاته جرت هذه السلسلة الذهبية، ولم تزل تسير هذه الدار نحو التقدم وينمو يوماً فيوماً، حتى يشد الطلاب رحالهم من ولايات الهند وخارجها من نيبال وباكستان وما إلى ذلك. فالحاجة ماسة نظراً إلى طلاب العلوم الإسلامية أن يكون لهم نظام مستقل لتعليم وللأكل والشرب والقيام في رحاب هذه الدار الواسعة، فكونت في دار العلوم أقسام كثيرة لسهولة الطلاب في حضرة الإمام وبعد وفاته أيضاً، وهي على نوعين أساسيين أقسام تعليمية، وأقسام إدارية.

فالأقسام التعليمية هي كما يلي:

(١) الرضوي، **تاريخ دار العلوم ديوبند**، ج١، ص ١٨٢ـ ١٨٣

الف – الأقسام التعليمية:

١- قسم تحفيظ القرآن الكريم.

٢- قسم التجويد وعلوم القراءات (بالأردية والعربية)

٣- قسم العلوم العربية والشرعية.

٤- قسم الأدب الفارسي.

٥- قسم التخصص في التفسير وعلوم القرآن.

٦- قسم التكميل والتخصص في الفقه والإفتاء.

٧- قسم تكميل العلوم.

٨- قسم التكميل والتخصص في الأدب العربي.

٩- قسم دراسة المعارف.

١٠- قسم تحسين الخط

١١- قسم الصناعة.

١٢- قسم النشاط الثقافي، وهو يعنى بتدريب الطلاب على الخطابة والكتابة -بالأردية والعربية- وتشرف على إصدار الصحف الحائطية بكلتا اللغتين.

١٣- قسم صيانة ختم النبوة.

١٤- قسم الإرشاد الديني.

١٥- قسم إدارة مجمع شيخ الهند

١٦- قسم الإفتاء

١٧- قسم الصحافة.

ب – الأقسام الإدارية:

١- مكتب رئيس الجامعة

٢- مكتب الحسابات

٣- مكتب الأوقاف.

٤- مكتب التعليم -عمادة القبول والتسجيل وجميع شؤون الطلبة-.

٥- عمادة المكتبة المركزية .

٦- مكتب التنموية والتطوير للجامعة.

٧- مكتب الكهرباء والمياه.

٨- مكتب البناء والتعميم.

٩- إدارة المطبخ التي تتولى تنظيم إعداد الطعام للطلاب المقيمين في السكن الجامعي

١٠- قسم الوثائق الذي ييحفتظ بجميع الوثائق والمستندات للجامعة منذ تأسيسها.

١١- المكتبة التجارية للجامعة.

١٢- إدارة المطبعة الجامعية.

١٣- إدارة المضيفة الجامعية.

١٤- إدارة المستشفي الجامعي.

١٥- قسم رابطة المدارس والجامعات الإسلامية في شبه القارة الهندية.

١٦- عمادة إسكان الطلاب.

١٧- إدارة الحدائق والمنتزهات والصيانة والنظافة.

ثمار الحركة المدارس الدينية

١- عملت هذه الحركة على مبدأ ينفع الأمة ويدها رقياً في العلم والدين، فنفعتها نفعاً كبيراً لا يوصف بلسان، ولا يحدده بيان، ولكن يجدر هنا بأن نذكر بعض النقاظ في هذا الصدد، وذلك كما يلي:

٢- لقد أنجبت هذه المدارس رجالاً كانت قلوبهم عامرة بالحمية الإسلامية وعواطف بث روح الإسلام في المجتمع والشعوب، جعلوا القناعة رأس مالهم، لم يتأثروا بالجاه والمال، ولا ترغب الأثرياء، والحكومات في مطامح الدنيا، ولم يقبلوا ضغوطهم أو فلوسهم، مما أرغمهم على حالة من الصراع والشجار مع الحكومة، ولكنهم لم يأبهوا به، ورفضوا دوماً مساعدة خيرية قدمت من الحكومة، أو المصالح الرسمية.

٣- في القرن السابع عشر صبت جهود مضنية في تدعيم فن الاستشراق بغية إثارة الشبهات لتشوية حقائق الإسلام وإساءة سمعة المسلمين، كان شعاره دراسة العلوم الشرقية والحضارات، ولكن لم يكن ذلك غرضه المنشود، وإنما كان المطلوب من ذلك تكريس الجهود لصالح أعداء الإسلام والطعن في تعاليم الإسلام ومثله العليا، وأرسلت هذه الفكرة تحاملاً على الاستعمار الغربي إلى البلدان المسلمة، حتى نشأت بين المسلمين طائفة بدأت تناول آيات الكتاب والأحاديث بتأويلات كاسدة، وحجج داحضة، ويرأسهم في الهند الأستاذ سر سيد أحمد خان مؤسس جامعة عليكراه، قامت حركة المدارس في وجه هذه الفتنة ووصدت في وجهها الأبواب، وحققت انتصاراً باهراً في إنقاذ المسلمين من هذه البلبلة الفكرية.

٤- وفي أواخر القرن الثامن عشر قام "قاديان" إحدى محافظات ولاية بنجاب الهندية، الميرزا غلام علي القادياني،[1] وادعى النبوة على إغراءات من الإنجليز،

(١) هو الميرزا غلام أحمد بن غلام مرتضى القادياني ١٨٣٩ــ١٩٠٨م كان ينتمي إلى أسرة اشتهرت بخيانة الدين والأمة، ادعى القادياني أنه مهدي موعود ثم ادعى انه مسيح منزل، وزعم في نهاية المطاف أنه نبي مرسل، وإليه تنسب القاديانية، التي نشات على

وتبعه الغوغاء من الناس، حتى تكونت طائفة سميت بـ"القاديانية" تحولت إلى فتنة كبيرة جراء مساندة القوى الغربية، فهؤلاء هم رجال هذه المدارس الذين تصدوا لإحباط هذه الفتنة، وتعقبوها من شبه القارة الهندية إلى أوربا وأمريكا، ولا يزالون يبذلون الجهود في ذلك، لولم ينهض العلماء لمقاومة هذه الفتنة لا يدري كم من المسلمين راح ضحيتها ووقع فريستها.

٥- كما نشأت في الهند حركة هندوسية حاولت إقناع المسلمين الجهال والسذج بأن آباءهم كانوا في الأصل هنادك، وقد أكرهوا على قبول هذا الدين، فينبغي أن تعودا في ملتكم وتقبلوا الدين الهندوسي، وقد طبعت في هذا الصدد كتابات ونشرات، وألقيت كلمات، وعقدت اجتماعات للمناظرة والنقاش، والذين ازاد الطين بلة تخلف المسلمين في الاقتصاد والتعليم، ولكن لم يتخلف العلماء وخريجوا المدارس، ولا نامت أعينهم عن مقاومة هذه الفتنة واجتثاثها من جذورها، وقد خاطروا بأنفسهم وألقوها في المغامرات وواجهوا الأوضاع القاسية في سبيل مقاومة هذه الردة،

يديه سنة ١٩٠٠م بتخطيط من الاستعمار الإنجليزي في شبه القارة الهندية، وكان القادياني وفياً للاستعمار مطيعًا له، عليه شب وشاب، وهرم ومات، وخلف وراءه أتباعه الذين يسمون أنفسهم بالأحمدية ويرددون كلمة"لا إله إلا الله محمد رسول الله".

وهكذا نجحوا في وقاية ٪٩٠ من المسلمين من التورط في هذا المستنقع الآسن.

٦- ثارت فتنة إنكار تحت سيادة المستشرقين بقوة وصرامة، ومعلوم أن إنكار الحديث إنكار ثوابت إسلامية أساسية، تركت هذه الفتنة أثراً كبيراً في مصر من العالم العربي، والهند من البلدان الشرقية، وفتحت باباً من الانحراف الفكري والزيغ العقدي على مصراعيه، ولم يرتفع صوت من جانب -كالعادة- إلا ممن تربوا في أحضان هذه المدارس وارتشفوا من مناهلها، فاضطلعوا بأعباء الرد على هذه الفتنة، وألفوا كتباً وألقوا كلمات حول هذه الفتنة التي كادت تعم العالم، حتى قضى عليها إلى حد كبير، وماتت حتف أنفسها في قعر دارها.

٧- نشأ من حركة المدارس حركات دينية ودعوية، وتعليمية وسياسية، وفي مقدمتها "جماعة التبليغ"[1] والتي أسسها

(١) جماعة التبليغ إحدى الجماعات الإسلامية في الهند تعمل بين أوساط المسلمين، أسسها الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي، وبدأ أعمالها من قرية"ميوات" من جنوب دهلي، إن هذه الجماعة تعمل على ستة مباديء بوجه خاص، وذلك كالتالي(١) الكلمة الطيبة (لاإله إلا الله محمد رسول الله" (٢) إقامة الصلوات ذات الخشوع(٣) العلم والذكر(٤) إكرام المسلمين (٥)الإخلاص (٦) تفريغ الوقت للدعوة من الشواغل المادية، تعتمد هذه الجماعة في إنجاز أعمالها الدعوية على الخروج الدعوي، والجولة الدعوية، ودروس مؤقتة، من أبرز شخصياتها الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي، والشيخ محمد يوسف الكاندهلوي، صاحب "حياة الصحابة" والشيخ محمد زكريا

الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي[1] وقد أصبحت اليوم جماعة دولية شاملة، يلمس تأثيراتها الواسعة أولوا الأبصار فضلاً عن ذوي البصيرة في كل بقعة من بقاع العالم، فإن هذه الجماعة تمثل دوراً هاماً في ربط المسلمين بدينهم، وإبقاء هويتهم الإسلامية، وإبلاغ نور الإسلام إلى

الكاندهلوي، والشيخ احتشام الحسن الكاندهلوي، والشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي، والشيخ محمد منظور النعماني، والشيخ إنعام الحسن، والشيخ محمد عمر البالنبوري، وغيرهم، هذا، وقد أثرت هذه الدعوة في قلوب مئات وألوف، فتغيرت أخلاقهم وتحسنت أحوالهم من غير نفقات باهظة، ولا مساعدات مالية، أو نظم إدارية، بل بطريقة بسيطة تشبه طريقة الدعوة في صدر الإسلام.

(١) هو الشيخ محمد إلياس بن محمد إسماعيل الكاندهلوي ١٣٠٣ـ ١٣٦٤هـ، ولد في بلدة "كاندهلة" بمديرية "سهارنبور" الهند، وتخرج في دبوبند، كما تلقى تعليمه الأولى على أخيه الشيخ محمد يحيى الكاندهلوي، الذي كان مدرساً في مدرسة مظاهرعلوم بسهارنبور، والشيخ رشيد أحمد الكنكوهي، واتصل بالشيخ عبد الرحيم الرائي فوري، واستفاد من علمه وتربيته، أخذ بعض علومه على الشيخ أشرف علي التهانوي والشيخ محمود حسن الديوبندي، كان لسلف الشيخ محمد إلياس مساهمة فعالة في حركة الجهاد التي قادها الإمامان السيد أحمد الشهيد والشيخ محمد إسماعيل الشهيد، كان كثير العبادة، مشغولاً بخاصة نفسه، وكان موضع احترام بين المشايخ والعلماء، واشتغل مدرساً في "مدرسة" مظاهر علوم" أياماً، يقول الإمام أبو الحسن الندوي عنه:"رجل نحيف تشف عيناه عن ذكاء مفرط وهمة عالية،.... ليس بمفوه ولا خطيب، بل يتلعثم في بعض الأحيان ... ولكنه كله روح ونشاط، وحماس ويقين،... رأيته في حالة عجيبة من التألم التوجيه، والقلق الدائم.

الأرياف والقرى، ومن أهم حركات تعليمية "ندوة العلماء"[١] التي أسهم في تأسيسها شيخ الهند محمود حسن الديوبندي وحكيم الأمة الشيخ أشرف علي التهانوي[٢]

(١) أنشئت حركة ندوة العلماء ودارالعلوم التابعة لها في نهاية القرن التاسع عشر، وتعد هذه الدار الآن من كبرى الجامعات الإسلامية في العالم الإسلامي، أسسها الشيخ محمد علي المونكيري (ت/ ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧م) وكان من أشهر العلماء والدعاة، وصاحب تأليف وجهود عملية ضد المسيحية والقاديانية، مع ندوة كبيرة من العلماء عام ١٣١٠هـ/ ١٨٩٤مـ عينت هذه الجامعة منذ تأسيسها بالقرآن الكريم بصفة خاصة وتدريسه ككتاب كل عصروجيل،كما عينت باللغة العربية التي هي مفتاح فهمه، واجتهدت أن تخرج رجالاً مبشرين بالذين الإسلامي الخالد شارحين للشريعة بلغة بفهمها أنل العصر، أما مطالب الندوة فتحصر مهماتها في أربعة أمور (١) ترقية المدارس العربية وإصلاح مناهجها الدراسية حسب الضرورة (٢) إصلاح أمورالمعاشرة والأخلاق (٣) رفع المخاصمات الدينية (٤) نشر الإسلام وكل ما يتعلق بالمنافع العام، تأسست هذه الدار على مبدأ التوسط والاعتدال، والجمع بين القديم الصالح والجديد النافع.

(٢) هو العلامة أشرف علي بن عبد الحق بن فيض علي التهانوي الفاروقي (١٢٨٠-١٣٦٢هـ/ ١٨٦١-١٩٤٣م) شيخ المشايخ في البلاد الهندية، حكيم الأمة، مجدد الملة في الهند، صاحب التصانيف النافعة تخرج في دار العلوم ديوبند ١٣٠٩هـ، ومن كبار شيوخ التهانوي الشيخ محمد يعقوب بن مملوك العلي التهانوي، رئيس هيئة التدريس الأول بجامعى الإسلامية دار العلوم ديوبند، (ت/ ١٣٠٢هـ/ ١٨٨٤م) والشيخ محمود حسن الديوبندي والشيخ الملا محمود وغيرهم كان الشيخ التهانوي من أعظم من انتفعت بهم الهند في إصلاح العقيدة والعمل، والرجوع إلى الله وإصلاح النفس، وانتفع الناس بكتبه انتفاعاً لم يعرف لعالم آخر في هذا الزمان، كتب في كل فن من الفنون الإسلامية تقريباً.

وكان من أغراض هذه الحركة إيجاد التضامن بين علماء المسلمين وتوحيد صفوفهم، وتحريض المعاهد الدينية على الأخذ بمبدأ الجمع بين "القديم الصالح والجديد النافع".

٨- كما مثل رجال هذه الحركة دوراً رائعاً في مجال السياسة، وقاموا بأعمال جليلة خدمت مصالح المسلمين والمثل العليا للإسلام، فأنشئت جمعية العلماء[1] في الهند خلال كفاح التحرير، التي قدمت في تحرير هذه البلاد نماذج عالية تتباهى بها الأجيال، ولا تُنسى أبد الدهر، وكان روّاد هذه الجمعية طليعة المناضلين لتحرير البلاد وإجلاء المستعمرين من مركز القيادة، وكذلك لم ترحب بحركة قيام باكستان إلا بعد تأييد من مشايخ أجلاء لهذه الحركة،

(١) جمعية العلماء: في مطلع القرن العشرين كانت الحاجة ماسة إلى تأسيس جمعية خاصة بالمسلمين تقوم برعاية مصالحهم وتحاول بشتى الوسائل معالجة مشاكلهم الاجتماعية والاقتصادية، وتهتم بأمورهم، حتى لا يقعوا فريسة للحركات التبشيرية التي تقوم بها الحكومة البريطانية، وانطلاقاً من هذا المبدأ أسست جمعية العلماء في ٢٢/ نوفمبر عام ١٩١٩م بين كوكبة من العلماء. كانت هذه الجمعية منذ أول يوم من تأسيسها تهتم بالأمور السياسية بجانب الأمور الدينية المحضة، وكانت مرتبطة بمعظم الأمور المتعلقة بالدولة والديانة، وبالفعل لعبت جمعية العلماء دوراً هاماً في الكفاح ضد الاستعمار البريطاني، واستطاعت أن تدون اسمها في التاريخ بحروف ذهبية، وتعمل جمعية العلماء بعد وفاة رئيسها الأخير الشيخ أسعد المدني بعام تقريباً تحت جناحين، يرأس أحدهما الشيخ محمد أرشد المدني بينما يرأس الثاني الشيخ المقري عثمان المنصورفوري.

كما استمرت جمعية (الباكستانية) بعد تشكيل باكستان في أعمالها، ولعبت دوراً هاماً في السياسة الباكستانية، وليس بخاف على أحد ما قامت به حركة "طالبان" في أفغانستان من دور فعال في ترشيد الصحوة الإسلامية، والتمكن من الزعامة السياسية على البلاد، وفي بعض البلدان الإفريقية أصبحت للمسلمين جولة وصولة على الجبهة السياسية بفضل عمل دؤب من هؤلاء العلماء، ولا تزال، فحق لنا أن نقول: إن لهذه الحركة بصمات في مجال السياسية أيضاً، وبالأخص في سياسة شبه القارة الهندية.

٩- إن كثيراً من الفقهاء القدامى يورن أن الإمارة الشرعية ونظام القضاء لا بد منه في البلدان ذات الأقلية المسلمة، لكي يجتمع شملهم وتتوحد كلمتهم، وتنحل القضايا التي تتعلق بتصرف القاضي المسلم، ولذلك أفتى العلماء في الهند بعد سيطرة الإنجليز عليها بوجوب نصب الأمير والقاضي، وأول من قام بالعمل به هو الشيخ أبو المحاسن محمد سجاد[1] فإنه أنشأ الإمارة الشرعية[1] في ولاية بيهار

(١) أبوالمحاسن محمد سجاد بن المولوي حسن بخش (١٨٨١ــ١٩٤٠م) كان ينتمي إلى موضع "بهنسه" بمديرية بتنه من ولاية بيهار، من مشايخه والده حسن بخش، والشيخ حسن الكانفوري، والشيخ عبد الكافي الإله آبادي ، تخرج في المدرسة السبحانية إله آباد عام

إحدى الولايات القديمة لهذه البلاد، وأنشئت تحتها أقسام دار القضاء وبيت المال، والدعوة الإسلامية، والحفاظ على

١٣٢٧هـ، ودرّس في مدرسة أنوار العلوم، (غيا) وهو الذي قام بتجديد هذه المدرسة، وألحقها بندوة العلماء عام ١٣٣٢هـ ثم انقطعت صلتها منها بعد قليل، وساهم في الحركات الوطنية، كان أميناً عاماً لجمعية العلماء الهند، وله دور رئيسي في تشكيل هذه الجمعية، ومن جلائل أعماله تأسيس منظمة "الإمارة الشرعية" لولايات بيهار وأريسة" كان راسخاً في العلم، حسن التخطيط للبرامج العلمية والدعوية والسياسية نشيطاً متيقظاً ذا حماس وجدية، لم يوجد له نظير في العلماء في التضلع من علوم السياسة.

(١) إن منظمة الإشراف الإسلامي الأهلية في ولاية بيهار المدعوة بالإمارة الشرعية (بيهار وأريسه وجهاركهند) قد أسست عام ١٩٢١م على يد الشيخ أبي المحاسن محمد سجاد في بتنه عاصمة ولاية بيهار، وهي من أهم المنظمات الإسلامية الأهلية، وأوسعها رعاية وعناية بشؤون مسلمي ثلاث ولايات شمالية في الهند، لقد أدت المنظمة أعمالاً جسيمة في إطارة أهدافها، واهتمت بجانب الإشراف الديني ومعالجة القضايا الفقهية والقضاء الشرعي الإسلامي بتحسين الحالة المادية والمهنية للمسلمين، فقد أنشأت معهدين: أحدهما للتدريب على الكمبيوتر، وآخرهما للتكنولوجية والكهرباء، ويكون للمنظمة رئيس يسمى "أميراً" اتباعاً للمصطلح الإسلامي، ولها خدمات جليلة أسدت بها إلى الأمة في صورة بيت المال، ودار القضاء المركزية وفروعها البالغة إلى ثلاثين، والمعهد التقني مع معاهد تقنية أخرى، ومستشفيات عديدة في مديريات ومناطق مختلفة، وأما الأقسام التابعة لها فهي دار القضاء، ودار الإفتاء، وقسم الدعوة والإرشاد، وقسم تنظيم المسلمين، وقسم التعليم، وقسم التدريب على الإفتاء والقضاء، ومعاهد التدريب المهني ورابطة المدارس. وقسم شؤون المساجد وما إلى ذلك ، وتعمل الآن تحت إمارة الشيخ سيد نظام الدين القاسمي وهو الأمين العام لهيئة قانون الأحوال الشخصية لعموم الهند كذلك.

هوية المسلمين وشعارهم، ويعمل بهذا النظام الآن في عدة ولايات الهند، وكذلك في البلدان ذات الأقلية المسلمة من بريطانيا، وأمريكا، وموريشس، وإفريقيا الجنوبية وغيرها من البلدان، ولا ريب أن هذه الخدمات قد تمت على أيدي رجال كانت لهم صلة مباشرة وطيدة بهذه الحركة.

١٠- لقد تم تقنين بند من بنود قوانين الهند، وذلك أن الشريعة هي الحاكمة في محاكمات يكون كلا الخصمين فيها مسلماً في قضايا تتعلق بالأحوال الشخصية خاصة، ويعرف هذا القانون في الهند بـ"قانون التماس الشريعة"[1] ١٩٣٧م ومع الأسف أن الحكومة الديمقراطية بذلت جهوداً بعد استقلال البلاد في قطع صلة المسلمين عن أحوالهم الشخصية التي تتصل بها هوية الأمة الإسلامية، حضارة وديانة، فنظراً إلى خطورة هذه الحال المتوهوره للبرلمان والمحاكم بادرت دار العلوم ديوبند إلى جمع العلماء على

(١) تم تصنيف قانون التماس الشريعة، سنة ١٩٣٧م في عهد الاستعمار الإنجليزي بفضل جهود الأعضاء المسلمين للمجلس التشريعي المركزي، وخلاصة ما يهدف إليه هذا القانون أن المسلمين يتبعون لزاماً قانون الأحوال الشخصية الإسلامية في خصوماتهم المتعلقة بالإرث، والنكاح وفسخه، والطلاق والإيلاء، والظهار، واللعان، والخلع، والمهر، والنفقة، وثبوت النسب، والأمانات، وحق الشفعة، والهبة، والوقت ولهم خيار في الأخذ به في معاملات الوصية والتبني، وقد تمكن المسلمون من صيانة قانون الأحوال الشخصية الإسلامية بعد هذا التقنين إلى حد كبير.

رصيف واحد، ووجهت الدعوة إلى ممثلي مدارس فكرية مختلفة متواجدة في الهند للمشاركة في ندوة عقدت بمدينة ساحلية تاريخية "مومباءي" للتفكير في هذه القضية، وقد شهدت هذه الندوة اجتماعاً كبيراً من المسلمين لا يوجد له مثل في تاريخ البلاد، وقد تمّ في هذا الاجتماع وبين ظهراني كبار العلماء تشكيل هيئة قانون الأحوال الشخصية الإسلامية لعموم الهند[1] التي تعتبر رصيداً موحداً مؤثراً

(١) أسست هيئة قانون الأحوال الشخصية الإسلامية لعموم الهند سنة ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م بين عدد لفيف من العلماء والمثقفين المسلمين، وكانوا يمثلون المدارس الفكرية والعقلية المنوعة، تحت رئاسة الشيخ المقريء حكيم الإسلام محمد طيب حفيد الإمام النانوي (ت/ ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م) رئيس دار العلوم / ديوبند وهو الذي اختير أول رئيس للهيئة بينما عين الشيخ منة الله الرحماني (ت/ ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م) أول أمين عام للهيئة، عند ما تجاوزت المحكمة العليا إلى الاقتراح بتعديل الأحوال الشخصية الإسلا مية استناداً إلى بند ٤٤ في الدستور الهندي يقتضي فرض قانون مدني موحد ينطبق على جميع طبقات الشعب كلياً، كان من أهم أهداف هذه الهيئة المحاولة ضد إدخال أي تعديل في الدستور الهندي، يضر بالقانون الإسلامي الحفاظ على قانون الأحوال الشخصية الإسلامية والدفاع عن حياض الشريعة الغراء، وتطهير المجتمع المسلم الهندي من صراعات عائلية، وتقاليد وطقوس غير إسلامية وما إلى ذلك، يرأسها الآن فضيلة الشيخ سيد محمد الرابع الحسني الندوي رئيس ندوة العلماء الذي خلف الشيخ القاضي مجاهد الإسلام القاسمي الرئيس الثالث للهيئة، وكان هو خليفة الإمام أبي الحسن علي الحسني الندوي في هذا المنصب، ولاتزال الهيئة تمثل دوراً مرموقاً في ترشيد الصحوة الإسلامية، توجيه المجتمع وتكوين مناخ الأمن والسلام، وتمضي قدماً إلى الأمام.

يمثل المسلمين الهنود، حتى لا تجد الحكومة الهندية محيداً عن إصغاء السمع إلى صوتها، وقد أصبحت الآن مسموعة الكلمة وموضع ثقة للجماهير، ولا تجحد مضاعفاتها على البلدان ذات الأقلية المسلمة الأخرى؛ كما ترى في موريشس حيث اعترف بقانون الأحوال الشخصية الإسلامية، وأصبح لدار القضاء ثمة سلطان على قلوب المسلمين، تملي إرادتها على المحاكمات والقضايا، ومنحت نوعاً من سلطة قضائية، كما برزت هذه المجهودات في إفريقيا الجنوبية على الساحة ولا تزال تتقدم نحو الأمام.

وبالأسف الشديد أن الحفاظ على الإسلام لم يعد بالإمكان حتى في البلدان المسلمة، فقد بدأت حركة "نظام المصطفى" في عهد ذي الفقار على بوتو[1] لتنفيذ الشريعة

(١) ذو الفقار على بوتو ١٩٢٨ـ ١٩٧٩م رئيس وزراء باكستان في الفترة ما بين عامي ١٩٧١ـ١٩٧٧م، ولد بمقاطعة لاركانا بمحافظة السند، درس بوتو بجامعة كاليفورنيا بالولايات المتحدة، وجامعة آكسفورد بالمملكة المتحدة، شغل منصب وزير بالحكومة الباكستانية في الفترة ما بين ١٩٥٨ـ ١٩٦٦م واستقال عام ١٩٦٦م، من منصبه لبؤس حزب الشعب الباكستاني، وفي عام ١٩٧١م انفصلت باكستان الشرقية عن باكستان لتكون دولة بنغلاديس المستقلة ورقي بوتو سريعاً خلال فترة هذه الأزمة نائباً لرئيس الوزراء فوزيراً للخارجية، ثم رئيساً للجمهورية، وفي عام ١٩٧٣م اتخذ لقب الرئيس بدلاً من رئيس الوزراء، وفاز بوتو في انتخابات عام ١٩٧٧م إلا أن الاتهامات بالتلاعب في الأصوات، وانتشار أحداث الشغب أدت إلى الإطاحة به في انقلاب عسكري، وأدانته الحكومة العسكرية بعدة جرائم خطيرة فأعدم عام (١٩٧٩م).

الإسلامية في باكستان، وكانت وراء هذه الحركة قوة حركة المدارس ورجالها الأفذاذ.

١١- إن الغرب قد أثار فتنة القومية على الصعيد العالمي، لكي يوزع الناس على أساس العرق والجنس، والخرائط الجغرافية، والعالم الإسلامي والمسلمون هم العرضة الخاصة لمخططات الغرب، وقد ذاب كبار الزعماء في تيار الزيغ والضلال الذي يجرف كل غال ورخيص، وغث وثمين، وذهبوا جفاءاً، لم تمزق هذه الفتنة شمل العالم الإسلامي فحسب، بل فرق بين المرء المسلم وأخيه في البلدان ذات الأقلية المسلمة، والعلماء هم الذين يتفرسون لهذه الفتن ويبادورن إلى التخلص منها والقضاء عليها ويصمدون صمود الجبال الراسيات، والحق أنهم جميعاً ينتمون إلى هذه المعاهد الدينية، فهم يعملون في مجالين أو على جبهتين، يعيشون أنفسهم بالصمود والمثابرة، ويوثقون صلة عاملة المسلمين بالإسلام رغم نزعات نفسية وإغراءات مادية.

١٢- ومن ثمار حركة المدارس أنها أنجبت رجالاً قاموا بمهمتهم في مجالات منوعة، وأنشأوا مؤسسات وهيئات مختلفة لخدمة الأمة الإسلامية ـ تتضمن المدارس الإسلامية والمؤسسات التعليمية العصرية، ومراكز التذكير بين المسلمين والدعوة بين أوساط غير المسلمين، وشؤون

خدمة خلق الله، والمنظمات السياسية والحركات الاجتماعية والإصلاحية وما إلى ذلك، ويبلغ عدد هذه المؤسسات إلى آلاف في شبه القارة الهندية فحسب، فضلاً عن المجهودات التي تبذل في البلدان الأخرى.

١٣- ومن فوائد إنشاء هذه الحركة أنها توفر الموارد البشرية لهذه المؤسسات والجمعيات المختلفة، ومما يجدر بالذكر في هذا الصدد أنه لما أن شبه القارة الهندية منبع هذه الحركة، وهذه أكبر خطة من ناحية كثرة الرجال الأكفاء ذوي القدرات والمؤهلات، فلا ترى قطراً من أقطار الشرق والغرب إلا ويوجد فيه خبراء من هذه المنطقة، وبهم يبلغ نظام المدارس الحرة إلى تلك الأقطار، وتؤسس المدارس والجامعات الدينية هناك بالنسبة إلى حاجيات التعليم، والمجتمع والدين، ويمكن أن يشاهد نموذج عملي لهذه الحقيقة في أمريكا وبريطانيا، وإفريقيا الجنوبية واليابان ونحوها من البلدان.

١٤- تحدث كل يوم قضايا فكرية حديثة جرّاء اختراع الوسائل المستجدة، وتقلبات في الأنظمة الاقتصادية والسياسة وتفاوت كبير بين القيم والمثل الخلقية للأديان المخلتفة؛ كما تستجد قضايا فقهية حديثة من أجلها، وتبذل جهود طيبة في العالم الإسلامي لحل هذه القضايا على المستوى الرسمي، كما يتم ذلك في البلدان ذات الأقلية المسلمة على أيدي العلماء وخريجي المدارس، وقد كان لعلماء الهند في

ذلك أسبقية، وخير نموذج لذلك في الوقت الراهن "مجمع الفقه الإسلامي"[١] بالهند الذي قام بتأسيسها سماحة القاضي الشيخ مجاهد الإسلام القاسمي[٢]، ولا شك أن

(١) أنشيء مجمع الفقه الإسلامي في نهاية سنة ١٩٨٨م بجهود الشيخ القاضي مجاهد الإسلام القاسمي لتحقيق أهداف اجتماعية سامية، من أهمها (١) التوصل إلى حلول للمشكلات الناجمة عن التغيرات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والصناعية (٢) والبحث عن الحلول لمستجدات العصر الحديث (٣) وإجراء الدراسة لمصادر الفقه الإسلامي (٤) ونشر فتاوى وآراء العلماء المحققين المعاصرين والمؤسسات الدينية الموثوق بها في القضايا المستجدة (٥) واستعراض ما يثار من الشبهات، ويورد من الإشكالات حول قوانين الإسلام من قبل المستشرقين والآخرين، وتقديم الرأي الصحيح عنها(٦) وتشجيع العلماء الشبان المتفوقين ليكونوا باحثين(٧) وإعداد الفهارس في شتى الموضوعات الفقهية، أما مقر الرئيسي فبدهلي عاصمة الهند، يرأسه الآن الشيخ المفتي محمد ظفر الدين المفتاحي، وخلف القاضي في أمانته العامة الشيخ خالد سيف الله الرحماني رئيس المعهد العالي الإسلا مي بحيدرآباد، وستكمل المجمع حتى الآن عقد تسع عشرة ندوة في مختلف أماكن البلاد.

(٢) هو الشيخ القاضي مجاهد الإسلام بن عبد الأحد بن إرادة الله(١٩٣٦ـ ٢٠٠٢م) قائد جريء وخطيب مصقع مثالي، ورجل حركي وإداري، فقيه الواقع والعصر، قاضي القضاء ونائب الأمير في منظمة الإمارة الشرعية بولاية بيهار ومؤسس "مجمع الفقه الإسلامي" بالهند، تخرج في دار العلوم / ديوبند بعد استفادة علمية طويلة من الشيخ حسين أحمد المدني، والشيخ إعزاز علي الديوبندي، والشيخ إبراهيم البلياوي وغيرهم، ثم عمل مدرساً في الجامعة الرحمانية مونكير فترة من الزمن، ثم اختير أميناً عاماً وقاضياً للإمارة الشرعية، كما وقع عليه الاختيار كرئيس هيئة قانون الأحوال الشخصية الإسلامية لعموم الهند عام ٢٠٠٢م إثروفاة الإمام أبي الحسن علي الحسني الندوي، وكان من أعضاء التأسيس للهيئة، وكان من أعضاء مجمع الفقه الإسلامي الدولي (جدة) ودار العلوم لندوة العلماء، والمجمع العلمي العالي بدمشق، وغيرها من المؤسسات والمنظمات.

هذا المجمع يعادل المجامع الفقهية للعالم الإسلامي من ناحية خدماته الجليلة.

١٥- ومن الحقائق التي لا تجحد إن الكتابات والمؤلفات بما فيها الموسوعات والأسفار العلمية والمقالات التحقيقة حول مواضيع التفسير والحديث، والفقه، والأصول، وعلم الكلام الحديث وغيرها من معطيات هؤلاء العلماء الذين يتخرجون في المعاهد الدينية بوجه عام، وخاصة في بلدان الأقليات المسلمة، فعليهم مدار هذه الخدمات، والأهم من ذلك أن هذه الكتابات قلما تنحرف من الجادة السليمة، فلم ينحتوا ديناً يُرضى الغرب، ولم يصدروا فتاوى تتأثر بها روح الشريعة تحت ضغط من الحكومة حتى لا يقطب جبينها، ولا يتكدر صفوها.

والخلاصة أن حملة العودة إلى الإسلام والصحوة الإسلامية التي اشتدت في هذا الحين على الصعيد العالمي من الشرق إلى الغرب، يرجع فضلها إلى"حركة المدارس الإسلامية" أكثر منها إلى غيرها، فيمكن القول بأدنى تأمل أنه لو يستعرض أحد هذه الحركات التي نشأت خلال القرنين التاسع عشر والعشرين على المستوى الدولي، يجد أن حركة المدارس الإسلامية -التي أسسها الإمام محمد قاسم النانوتوي- في مقدمتها، ويعترف أعداء الإسلام اليوم أيضاً بأهمية هذه الحركة وتأثيرها، ويعتبرونها سداً منيعاً في نشر أفكارهم اللادينية العلمانية.[1]

(١) الرحماني، **الإمام محمد قاسم النانوتوي**، ص ٣٦ـ٤٦.

آراء علماء العرب في الجامعة الإسلامية ديوبند

نقدم فيما يلي آراء بعض علماء العرب الذين زاروا الجامعة الإسلامية في أوقات مختلفة، لكي تتجلى أهمية هذه الجامعة ومكانتها في قلوب علماء العرب المشهورين الذين استنار العرب بفكرهم عبر العصور، يقول سماحة الشيخ محمد بن عبد الله السبيل رئيس شؤون الحرمين الشريفين وإمام وخطيب المسجد الحرام السابق:

(١) "لقد من الله علي بزيارة الجامعة المباركة، الجامعة الإسلامية دار العلوم ديوبند وحظيت بملاقاة علمائها ومشايخها والقائمين عليها، وعلى رأسهم سماحة العالم العلامة الشيخ مرغوب الرحمن، وقد تجولت بأرجائها وأقسامها وسررت كثيراً بما شاهدته من عناية فائقة وتنظيم جميل، وأعجبني ما شاهدته من طلابها من حرصهم على العلم ومثابرتهم عليه، ولقد سرني كثيراً ما شاهدته من هذه المكتبة النادرة التي تفخر بأنواع الكتب وبكثرة المخطوطات والمطبوعات النادرة.

وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على نشاط القائمين عليها،

وتفانيهم في خدمة العلم وأهله، فأسأل الله لهم التوفيق والسداد، وأن ينفع بهذه الجامعة الإسلام والمسلمين، وأن يجعلها منبراً عالياً ومشعلاً يضيء على البلاد الإسلامية بالعلم النافع، وأن يوفقها لنشر الإسلام في ربوع شبه القارة الهندية والله الموفق. وصلى الله سيدنا محمد وعلى أهله وصحبه وسلم.

(٢) وقد عبر عن مشاعره معالي الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية لدى زيارته الجامعة:

"شاءت إرادة الله سبحانه وتعالى أن يكرمني بزيارة هذه الجامعة العريقة التي أسست على التقوى لتحافظ على حفظ القرآن وفقه السنة والتخاطب والكتابة باللسان العربي، وذلك في مواجهة ما خطط له الإنجليز من تغريب المسلمين وعلمنتهم في شبه القارة الهندية، وقد قامت الجامعة بدور رائد منذ أسست قبل أكبر من قرن وربع قرن من الزمان، وخرجت للمسلمين علماء أجلاء، وفقهاء ودعاة، ومفتين لا يحصون عدداً، وأسهمت أيما إسهام في الحفاظ على الشخصية الإسلامية لمسلمي الهند، ووثقت علاقتهم بإخوانهم المسلمين ونشرت بينهم الثقافة الإسلامية، وإني أسأل الله سبحانه

وتعالى أن يحفظ هذه الجامعة، وأن يوجد الجامعات الإسلامية لخدمة دينه، وأن يحقق لجامعة دار العلوم خطوات أخرى من التقدم والتطور، وتوثيق العلاقات مع المسلمين، والله المأمول بحسن القبول، وإنه سميع الدعاء".

(٣) وقد عبر العلامة الشيخ رشيد رضا صاحب مجلة "المنار" عن انطباعاته بهذه الكلمات الصادقة المؤثرة:

"على أنني رأيت في مدرسة ديوبند التي تلقب بـ"أزهر الهند" نهضة علمية جديدة أرجو أن يكون لها نفع عظيم، وهذه المدرسة لخلفاء الشيخ ولي الله الدهلوي، وإنني بعد مذاكرة بعض أعلامهم في حال التعليم عندهم، خطبت فيهم خطبة طويلة في احتفال عام اجتمع فيه المدرسون والطلبة، أودعتها هذه الاقتراحات وغيرها من النصائح التي خطرت على بالي في ذلك الموقف، فرأيتهم قد وافقوني في جميع ما قلته، بل كانوا قد سبقوا إلى الفكر والعلم ببعضه من قبل، وأسسوا جمعية دينية للمدرسة سواها"جمعية الأنصار".

وما قرت عيني بشيء في الهند كما قرت برؤية مدرسة "ديوبند"ولا سررت بشيء هناك كسروري لها، وبما لاح لها من الغيرة والإخلاص في علماء هذه المدرسة، وكان كثير من إخواني المسلمين في بلاد مختلفة يذكرون لي هذا المدرسة، ويصف رجال الدنيا منهم علماءها

بالجمود والتعصب، ويظهرون رغبتهم في إصلاح وتعميم نفعها، وقد رأيتهم ـ والله الحمد ـ فوق جميع ما سمعت عنهم من ثناء وانتقادا، وأرجو أن يصدق ظني فيهم بأنهم أبعد من جميع من عرفت من علماء الإسلام الدينيين عن الجمود والغرور وستكون الصلة بين مدرستهم ومدرسة دار الدعوة والإرشاد وجماعتها دائمة إن شاء الله تعالى.

هذا وإن للعلم الديني بقية في معاهد ومدارس أخرى من المدن الآهلة بالمسلمين كدهلي ولكناؤ ولاهور.

وجملة القول إن التعليم الديني كان قد ضعف في سائر الأقطار، وقد طفق يجدد قوته ويعيد ما فقد من استقلاله ويصلح ما فسد من طرقه وأساليبه، ويوشك أن يظهر أثر الإصلاح ونتيجه في "ديوبند" قبل ظهورهما في الأزهر".[1]

---

(١) الإمام الأكبر محمد قاسم النانوتوي وجهوده في إعلاء كلمة الله، ص١٩٤-٢٠٦.

جاسوس إنكليزي يبدي إعجابه بالجامعة

أسست الجامعة في حين لم يكن مضى على ثورة عام ١٨٥٧م إلا تسع سنوات، وبما أن المسلمين عامة، وعظماء الجامعة خاصة قاموا صفاً صفاً في مواجهة الإنكليز في حرب تحرير عام ١٨٥٧م وقفت الحكومة الإنكليزية منهم موقفاً عدائياً عنيفاً وساءت بهم ظنونها كل الإساءة، وشددت الرقابة على ما يقومون به ووقفت لهم بالمرصاد، فكانت سلسلة من التفتيش والتحقيق مستمرة عن الجامعة ونشاطاتها عن جهر وعن علن، فبعث "سرجان استريجي(JOHN STRACHEY)[1] حاكم ولاية أترابراديش الاتحادية أمينه الخاص المدعو جان بامر (JOHNPOMER) إلى الجامعة في عام ١٢٩١هـ/ ١٨٧٥م ليجري تحقيقات سرية عن الجامعة وأهدافها ونشاطات علماء الإسلام ومتسترين بستار"دار العلوم/ ديوبند" ويقدم تقريره إليه، فزار "جان

(١) هو السير جون ستريجي (٥ يونيو ١٨٢٣-١٩ كانون الأول ديسمير ١٩٠٧م) ولد في لندن، ودخل كلية الخدمة المدنية في"بنغال" الهندية عبر شركة الهند الشرقية، وعمل في المقاطعات الشمالية الغربية واحتل مناصب هامة كثيرة، وفي عام ١٨٦٢م أصبح المفوض الفضائي في المقاطعات الوسطى. http;/en.wikipedia org/wiki/main

بامر" الجامعة، واطلع على نشاطاتها، وكتب انطباعاته عنها إلى أحد أصدقائه، وتوسع في تفاصيله، وقارن الوضع التعليمي في الجامعة بالجامعات البريطانية، وعبر عن انطباعاته ومشاهداته تعبيراً علمياً دقيقاً، يبعث على العجب، ويعين على معرفة مواقف الجامعة العلمية إلى حد لا بأس به، وهذه القصة تعود إلى أوائل عهد نشأة الجامعة، وفيما يلي ترجمة رسالته هذه:

"نزلنا في ٣٠/ من يناير عام ١٨٧٥م خلال جولتنا برفقة الحاكم النائب (LIEUTENANT GOVERNOR) للبلاد الشرقية في "ديوبند" فقال سعادة النائب :" إن المسلمين قد اتخذوا مدرسة مناوئة للحكومة، فادخل هذه المدرسة كأنك غريب، وانظر ماذا يعلمون فيها؟ وما همومهم وأهدافهم؟ فدخلت المدينة يوم الأحد ٣١/ من يناير والمدينة نظيفة أنيقة، وأهلها في ذروة الأخلاق الفاضلة والصلاح، مع بؤس وفقر يرتسمان في وجوههم. فسألت عن المدرسة فدلوني عليها حتى انتهيت إليها، فإذا أنا بقاعة واسعة الأطراف، بها أولاد يفترشون الحصر، وبين أيديهم الكتب على الطاولات، وبينهم طالب كبير. فسألت الطلاب عن معملهم: من هو؟ فأشار واحد منهم إلى طالب كبير يتوسطهم وقال:هو ذا؟ فعجبت من أمره وقلت:

أهو ذا يكون مدرساً[1] فقلت له: ماذا يدرس طلابك؟ فأجاب"ندرسهم اللغة الفارسية، ثم تجاوته، فإذا أنا برجل ربعة من القوم ليس بالطويل ولا بالقصير، أزهر اللون، جيمل المنظر، بين يديه صف من طلاب متقدمي السن، فدنوت منه، واستمعت له فإذا هو يشرح بحثاً من بحوث المثلث. وقلت في نفسي: إنهم يدهشون حين يرون غريباً قادماً إليهم، ولكن لم يول أحد منهم إلي اهتماماً، فجلست إليهم، أصغي أذني إلى ما يقول الأستاذ، وقضيت عجبي إذ طرق أذني من قواعد علم المثلث الغريبة المستعصية ما لم أسمعه حتى من الدكتور "اسبرنغر"[2] قط، ثم نهضت عنهم إلى رواق آخر من أروقة

(١) هو مولانا منفعت علي بن بلند بخش الديوبندي (ت١٣٢٧هـ/ ١٩١٨م) مدرس اللغة الفارسية، وكان حديث العهد بالتعيين مدرساً في العام نفسه (١٢٩١هـ) بعد ما أنهى دراسته، بدأ بشغل منصب مدرس فارسي، ثم عين مدرساً عربياً بعد سنوات، واستمر في التدريس بالجامعة حتى عام ١٣١٨هـ/ ١٩٠٠م(الرضوي) و كان عالماً كبيراً بارعاً في الهيئة والهندسة والحساب والفقه والفرائض له رسالة بسيطة بالأردو في المواريث، وأحد الفقهاء المشهروين، ممن قرأ العلم على مولانا يعقوب بن مملوك العلي النانوتوي وغيره، بدأ دراسته بالجامعة عام ١٢٨٤هـ واعتزل عنها عام ١٣١٨هـ، ودرس مدة في مدرسة "فتحبوري" ثم انتقل إلى"جامعة العلوم" بـ"كانبور" ودرس بها زماناً، توفي في كانبور، ودفن بها، "نزهة الخواطر ٨/ ١٣٨٥، وتذكرة مشاهير هند للأدوري ص: ٣٤٧.

(٢) هو لويس شبرنجر (LOUIS SPRINGER) مستشرق نمساوي (١٨١٣-١٨٩٣م) اشتغل في مدرسة دهلي ومطبعة كالكوتا في الهند عام ١٨٤٢م وعلم العربية في جامعة برلين، وترجم

المدرسة، فإذا أنا بشيخ بين يدين طلاب في ثيباب رثة تافهة، بيشرح لهم الأستاذ الخلافات في الشكل الثاني من المقالة السادسة من الأقليدس، والشيخ متمكن من هذا العلم، ومرتجل في عرضه وشرحه ارتجالاً يوجي إلى أن علم الأقليدس كأن روحه قد حلت(١) فيه فتحيرت ودهشت، وطرح الشيخ على تلاميذه خلال ذلك سؤالاً عويصاً من أسئلة الجبر والمقابلة اتهمت علمي بالحساب، وتغلب علي الحيرة والدهشة، فاستخرج بعض التلاميذ جواباً صائباً، وقمت عنهم لأتوجه إلى رواق ثالث من أروقة المدرسة، فإذا أنا بشيخ بين يدين كتاب من كتب الحديث ضخم يلقي درسه على الطلاب، والبسمات

ونشر العديد من الكتب العربية منها: كاتب(كشاف اصلاحات الفنون) للتهانوي، و(الإتقان في علوم القرآن) للسيوطي، ونقل إلى الإنجليزية جزءاً من كتاب(مروج الذهب) للمسعودي، ألف أيضاً كتباً في سيرة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم. يراجع: http;/en.wikipedia. org/wiki/main

(١) وهو الشيخ سيد أحمد الدهلوي: عين مدرساً بدرجة"معلم شان" عام ١٢٨٥هـ، وخلف الشيخ محمد يعقوب النانوتوي رحمه الله في منصب رياسة هيئة التدريس عام ١٣٠٢هـ حين توفي النانوتوي، واستمر في منصب التدريس حتى عام ١٣٠٧هـ، كان أوحد زمانه في علوم الرياضي، وكان الإمام محمد قاسم النانوتوي يقوله فيه:"قد رزق الله تعالى المولوي سيد محمد أحمد في فنون الرياضي الكفاءة والمناسبة بالقدر الذي لا يقل عما كان يتمتع به مخترعو هذه الفنون" تقارير دورية لعام ١٢٩٣هـ، ص:١٣(الرضوي).

العريضة ترفض على شفتيه(١) ثم ارتقيت بعض السلالم لأنتهي إلى لدور الثاني من الرواق، فإذا أنا ببيوت مستقفة في ثلاثة من جوانبها، يتوسطها فناء صغير، به أعميان يزمجران، فكنت أسمع جعجعة ولا أرى طِحناً فاسترقت الخطى إليها لعلي أدرك شيئاً مما يقولون، فإذا بهما يذكران درس كتاب من كتب الهيئة، إذ قال أحدهما لصاحبه، أخي، لم أستوعب الشكل العروسي استيعاباً كاملاً في محاضرة أمس، فاشرحه لي إذا كنت استوعبته. فعرض الأعمى الآخر الدعوي، وخط خطوطاً في راحته، وبدأ يثبته، ثم تبادلا نقاشاً حاداً حوله، بغتني وحيزني، وخيل إلى محاضرات "السير بريغر"مدير المدرسة التي تتلقيت الدراسة فيها ـ وقمت عنهما، وانتهيت إلى بيت ذي خمسة أبواب، فإذا أنا بصغار الأطفال قد جلسوا يعلوهم أدب ووقار إلى أستاذهم، يقرأون الكتب النحوية والصرفية. والفصل الثالث عامر بدروس العلم المنقول.

وتوجهت إلى السلم الآخر، فنزل بي إلى الدور الأرضي، وأنا أظن أن المدرسة تنحصر في هذه الأبنية التي تجولت فيها، إذ لقيت

(١) لعله يشير إلى الشيخ المحدث محمد يعقوب النانوتوي ـ رحمه الله ـ رئيس هيئة التدريس بالجامعة، فقد كان فضيلته يتولى منصب رياستها من أوائل نشأتها (الرضوي).

رجلاً، فتفشتُ إليه ما كان يخطر ببالي، لأستوثق منه، فرفض وقال: إن لتدريس القرآن الكريم قسماً آخر، فسألته عن مكانة، فأخذني إلى المسجد، فوجدت أطفالاً صغاراً جداً يقرأون القرآن الكريم على حافظ للقرآن كفيف يعلمهم[1] فوجدت المدرس قد أخذ طفلاً صغيراً وضربه ضرباً مبرحاً، فصرح الطفل، فقلت لدليلي: ما أظلم أن يحمل الصغار على مثل هذه الجهود الشاقة، فضحك الرجل وقال: إنه النصح والخير لهم وإن كان يبدوا ظلماً. وإن تعويد الطلاب ـ من اليوم الأول ـ على تحمل المشاق هي المصلحة والحكمة بعينها، كما أنه يستوجبه مواجهة المعاناة التي يلقونها في حياتهم في المستقبل، وهل بقي في المسلمين اليوم شيء من عزائم الأمور والجهود المضنية غير هذه؟ وإليه يرجع الفضل في الحفاظ على ما تبقى من معالم الدين.

وتساءلته عما قرأت في الصحف في العام الماضي من إناطة عمائم التخرج بأربعة من متخريجها، هل ثمة أحد منهم؟ فقال:نعم،

(١) يعني به الحافظ نامدار خان، وهو من مواليد قرية"بيي" من مديرية"مظفر نجر" تم تعيينه مدرساً ومحققاً للطلاب في العام التالي من نشأة الجامعة وهو عام ١٢٨٤هـ/ ١٨٦٧م، حين أنشيء قسم تحفيظ القرآن الكريم واستمر في خدمة القرآن الكريم وتحفيظ الطلاب نحو خمسة وخمسين عاماً حتى عام ١٣٣٩هـ/ ١٩٢٠م وخلّف تلاميذ كثيرين. وقرأ عليه القرآن الكريم عدد هائل بجانب مئات ممن حفظ عليه القرآن الكريم. وكثير منهم من أساتذة الدار نفسها. (الرضوي)

واحد منهم[١] -هيا نزوره- فاستصحبني حتى دخل بيتاً من البيوت، فإذا نحن بشاب قاعد فيه، بين يديه كتبا ضخم يحيط به بضعة عشر طالباً يقرأون عليه، وفي جانب من البيت بندوقيتان، فسلمت عليه، فرد عليه رداً أحسن في سمو خلق، فسألته عما إذا كان ممن تمت إناطة العمائم بمناسبة التخرج في العام الماضي؟ فقال" هذا من كرم الأساتذة. فسألته عن الكتاب الذي بين يديه ما هو؟ فقال: كتاب علمي عربي، بعُث به ناظر مكتبة إلى لترجمته. وقد اتفقنا على ألف روبية مقابل هذه الترجمة، وأتيت على نحو ثلاثة أرباع الكتاب، وسأنهي ما تبقي خلال شهر واحد بإذن الله تعالى. فسألته عن البندوقيتين؟ فقال: أنا مولع بالصيد، فأقوم بالتدريس من الساعة السابعة حتى الساعة العاشرة، ثم أخرج للصيد وأصيدج إلى الساعة الواحدة، وأنصرف إلى الترجمة من الساعة الثانية حتى الساعة الرابعة.

فقلت له: هلا تتوظف في الحكومة، فقال: إن الله تعالى يسوق إلى مأتين وخمسين روبية كل شهر، وأنا قاعد في بيتي، فما لي أرغب في التوظف؟[٢] ثم قمت عنهم، ودخلت المكتبة فرحب بي ناظر المكتبة

(١) هذه االأيام من الأيام المبكرة جداً من حياة "دار العلوم" ولكن ما قاله "جان بامر" يوحي إلى أن الصحف والمجلات كانت تتحدث عن أوضاع الجامعة وشؤونها، وأنها كانت توليها العناية والاهتمام، وهذا يعني أن دار العلوم كان يعترفها الناس مركزاً له مكانة وأهمية القصوى(الرضوي).

(٢) ولعل المشار إليه هو شيخ الهند محمود حسن الديوبندي رحمه الله الذي تخرج عام

ترحيباً حاراً، وعرض على فهارس الكتب التي يعثتني على العجب والحيرة، لم تدع هذه المكتبة فناً من الفنون وعلماً من العلوم إلا حوى من مصادره وكتبه. ثم عرض علي سجلاً غيره، وهو سجل حضور الطلاب، مكتوب بخط جيمل رائع. ووجدت حضوراً مكثفاً من الطلاب فقد بلغ عدد الحاضرين منهم مأتين وثمانية طلاب من إجمالي عددهم البالغ مأتين وعشرة طلاب.

وكدت أقوم عنه حتى دخل علينا رجل يعلوه الخضرة، وسلم علينا وجلس، فقلت: من أنت؟ فقال: أنا مدير المدرسة. وعرض علي ثلاثة سجلات وأشار إلى أنها كشوفات سنوية للموارد والنفقات فانظر فيها.

فنظرت فهيا، فوجدتها مكتوبة حساباتها بخط واضح موثقة بتواريخها، وتشير الكشوفات المالية إلى توفير بعض المال في نهاية العام الماضي.

ودعتني نفسي إلى أن أمضي أوقاتاً زائدة بين الكتب، إلى أن

١٢٩٠هـ/ ١٨٧٤م، وعين مدرساً بلا مقابل عام ١٢٩١هـ ولم يخرج من أهل ديوبند عام ١٢٩٠ هـ غيره ، وكان مولعاً بالصيد ولعاً شديدا، ومن المؤسف أني لم أشعر على الكتب الذي أشار "جان بامر" إلى أن شيخ الهند كان بصدد ترجمته . (الرضوي)

أي الشيخ رفيع الدين رحمه الله الذي تولى إمارة الجامعة اعتباراً من عام ١٢٨٤هـ/ ١٨٦٧م إلى عام ١٢٨٦هـ/ ١٨٦٩م، ثم عاد إلى إدارة الجامعة اعتباراً من ١٢٨٨هـ/ ١٨٧١م حتى عام ١٣٠٦هـ/ ١٨٨٨م (الرضوي).

الوقت ضاق علي، وكدت أمسي، فاضطررت إلى القفول.

وتوصلت تحقيقاتي إلى أن أهل المدرسة مثقفون، في غاية من حسن السريرة، ونقاء الطوية، ولم أجد فناً من الفنون اللازمة إلا تقوم المدرسة بتدريسها، ويقوم شيخ واحد منهم –هنا– بمقابل أربعين روبية بالأعمال التي تستنفد آلاف الروبيات في الكليات الكبيرة. ولا أرى مكاناً للدراسة والتعليم للمسلمين خيراً منها، بل أقول: لو درس فيها غير المسلم لم يعدم فائدتها ونفعها، وكنت سمعتُ في الإنكلترا مدرسة للعميان، ولكن رأيت هنا بأم عيني كفيفين يثبتون أشكال الأقليدس في المدرسة برسمها في أكفهم إثباتاً يعز نظيره.

ويا ليت كان السير وليم[1] حياً، فيزور هذه المدرسة بشوق

(١) لعله: السير وليام أوسلر (بالإنجليزية SIR WILLIAM OSLER (مواليد ١٢ يوليو ١٨٤٩ – ٢٩ ديسمبر ١٩١٩م) طبيب كندي، ويعتبر واحداً من أعظم رموز الطب في العصر الحديث ووصف بأنه أبو الطب الحديث، وكان أوسلر ـ بجانب كونه طبيباً ـ إخصائي علم أمراض ومعلماً ومشخص أمراض ومثقفاً ومؤرخاً وكاتباً ومحاوراً ومنظماً، وقد عمل لفترات متقطعة في تدريس الطب في مختلف الجامعات منها جامعة "ماك غيل" و"ترنتو" و"بنسلفينيا" وكأستاذ بـ"أكسفورد"ولد أوسلر في "بوندهيد" بـأونتاريو" في ""كندا" وتخرج في جامعة"مكحيل" في"مونتريال" عام ١٨٧٢م. عمل في جامعة"مكجيل" من عام ١٨٧٥م حتى عام ١٨٨٤م، محاضراً في علم وظائف الأعضاء وأستاذاً للطب. وفي عام ١٨٨٤م عمل أستاذاً في جامعة "بنسلفانيا" الأمريكية، وبعد أربع سنوات عُين أستاذاً للطب في جامعة "جونز هو يكنز" الجديدة

ولهف، ويمنح طلابها الجوائز.(١)

الخاتمة

هذه جهود متواشعة قمت بها في شخصية الإمام محمد قاسم النانوتوي رحمه الله وإبراز جوانب خدماته البارزة، ومنته العظيمة على الأمة الإسلامية الهندية، ما قمت بها إلا لكي أعرف على ما كيف حاول، وقاوم الإمام النانوتوي رحمه الله وحده، التحديات التي وجهت إلى الأمة الإسلامية الهندية، في صورة الإلحاد والزندقة، والتي كانت أكبر تحديات لمسلمي الهند من الاستعمار.

والواقع أن الأمة الإسلامية عادت اليوم إلى وضع الذي كانت واجهتها في عصر الإمام غير أن هذا الإلحاد في صورة الموضات، بينما نشطت تلك القرى الضالة والحركات الفاسدة مرة ثانية بعدة كاملة،

في الولايات المتحدة. وشغل في الوقت نفسه منصب كبير الأطباء في المستشفى الجديد هناك. ذهب أوسلز إلى جامعة "أكسفورد" في إنجلترا عام ١٩٠٥م بصفته أستاذاً ملكياً في الطب، وهو مركز من أرفع المناسب الطبية مكانة في بريطانيا.

(١) جاسوي انكليزي يبدي إعجابه بالجامعة، للشيخ السيد محبوب الرضوي الديوبندي رحمه الله، ترجمة وتعليق: الأستاذ محمد عارف جميل القاسمي المباركفوري، الداعي، جمادى الأولى ١٤٣٥هـ ص:١٤ـ١٦. عدد :٥

وأهبة كأنه نبت ريشها وقويت، وبجانب آخر، ابتعدت غالبية المسلمين الجدد عن المنهج الديني الصحيح والفكر المستقيم.

فالحاجة مسيسة إلى أن نختار طريقة الإمام في إعادة ثقة إيمان الجيل المسلم بالديني الإسلامي، ونقنعة بأن الإسلام له جدارة كاملة لحل قضايا المعاصرة.

فأرجو من الله تعالى أن يحالفنا التوفيق في ذلك وبالله التوفيق، عليه توكلت وإليه أنيب، والسلام.

******

المصادروالمراجع

١	الإمام محمد قاسم النانوتوي حياته ومآثره	الشيخ أسيرادروي	أكاديمية شيخ الهند، ديوبند	٢٠١٢م
٢	الإمام الأكبر محمد قاسم النانوتوي وجهوده في إعلاء كلمة الله	الشيخ أويس الصديقي النانوتوي حفظه الله	أكاديمية الإمام محمد قاسم النانوتوي سهارنبور	٢٠١١م
٣	الإمام محمد قاسم النانوتوي رائد النهضة الإسلامية	الشيخ خالد سيف الله الرحماني	www.khalidrahmani.com	
٤	الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام	الشيخ العلامة السيد عبد الحي الحسني	لكناؤ	١٩٩٣م
٥	الإمام محمد قاسم النانوتوي كما رأيته	الشيخ محمد يعقوب النانوتوي	أكاديمية شيخ الهند، ديوبند	
٦	ترجمة الإمام محمد قاسم النانوتوي	الشيخ مناظر أحسن الكيلاني	أكاديمية شيخ الهند، ديوبند	١٣٧٣هـ

٧	تاريخ دارالعلوم ديوبند	الشيخ السيد محبوب الرضوي	أكاديمية شيخ الهند، ديوبند	١٩٧٧م
٨	الثقافة الإسلامية في الهند	الشيخ العلامة السيد عبد الحي الحسني	مجمع اللغة العربية بدمشق	
٩	حركة التعليم الإسلامي في الهند وتطور المنهج	الشيخ السيد محمد واضح رشيد الحسني الندوي	المجمع العلمي الإسلامي، لكناؤ الهند	١٤٢٧هـ
١٠	حيات جاويد	الشيخ ألطاف حسين حالي	دهلي	١٩٧٩م
١١	دارالعلوم ديوبند مدرسة فكرية...	الشيخ عبيد الله الأسعد القاسمي	أكاديمية شيخ الهند، ديوبند	٢٠٠٠م
١٢	الداعي مجلة إسلامية شهرية		جمادى الأولى عدد:٥	١٤٣٥هـ
١٣	الصراع بين الفكرة الإسلامية....	السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي رحمه الله	المجمع العلمي الإسلامي، لكناؤ الهند	
١٤	الهند في العهد الإسلامي	الشيخ العلامة السيد عبد الحي الحسني	مجمع الإمام أحمد بن عرفان الشهيد رائي بريلي (الهند)	

الإمام محمد قاسم النانوتوي

وجهودُه في تحرِير الهند

(١٢٤٨ - ١٢٩٧هـ/ ١٨٣٣ - ١٨٨٠م)

تحت رعاية:

مجمع حجة الإسلام بالجامعة الإسلامية دارالعلوم وقف ديوبند

الإعداد:

ثاقب قمر

الطالب بالجامعة الإسلامية دارالعلوم ديوبند

١٤٣٦هـ = ٢٠١٥م

كلمة لا بد منها

الحمد لله حمدًا كثيرا على أنه منحني هذه الأوقات الثمينة للبحث والتّحقيق، ودلّني على صراط مستقيم، لإكمال البحث، والصلاة والسلام على نبيّنا محمّد سيّد المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. وبعد:

فإن من دواعي الغبطة والسُّرور أن ''مجمع حجّة الإسلام دارالعلوم وقف ديوبند'' أعلنت عن تنظيم مسابقة علميّة على مستوي الهند لتقديم البحث في أحد الموضوعات بما يلى:

(١)الإمام محمّد قاسم النانوتوي وإسهاماتها في علم الحديث.

(٢)الإمام محمّد قاسم النانوتوي وجهوده في تحرير الهند.

(٣)الإمام محمّد قاسم النانوتوي وتأسيسه لجامعة دار العلوم ديوبند.

وإني أرى أنّ هذا العمل له قيّمة كبيرة، ربَّما لا يحيط بوصفه البيان، فإن الإمام محمّد قاسم النانوتوي -تعمَّده الله بواسع مغفرته

وأنزل عليه شآبيب رحمته- إذا لاحظناه بعين الدقَّة والاعتبار، فعلمنا أنَّه هو فجَّر ينابع العلم والمعرفة في كلّ منطقة من مناطق شبه القارَّة الهنديَّة.

وإنّ من سعادتي وحسن ظنّي أقدّم بحثًا أسهم به في تلك المسابقة حول الموضوع ''الإمام محمّد قاسم النانوتوي وجهوده في تحرير الهند''؛ ولكن كيف يمكن لي أن أسلِّط ضوء على مجهوداته الراعية وخدماته العظيمة في تحرير الهند واستقلالها، كماهو حقّه، رغم قلّة علمي.

وعلى كلٍّ، فقد حاولتُ أن أقدّم أمام الكتّاب والنوابغ حياة حجّة الإسلام السياسيّة وخدماته الجسيمة،حتّى تتجلّى عظمته ومكانته المرموقة في تحرير الوطن؛ ورأيت أن أرتِّب هذه الرسالة على توطئة وثلاثة أبواب وخاتمة ونتائج البحث.

أما التوطئة، فقد ذكرت فيها الأوضاع السياسيَّة السّائدة في الهند منذ سيطرة المستعمرين إلى استخلاص الوطن من براثنهم ببعض من التفصيل.

أما الباب الأول، فقد قسَّمته إلى فصلين، ففى الفصل الأول ألقيت نظرة عابرة، على الظروف الاجتماعيّة والسياسيّة السّائدة في الهند، منذ دخول الإسلام إلى عهد حجَّة الإسلام، مشيرًا إلى

البواعث والعوامل التي جعلته بطلاً حرًا وقائدًا سياسيًّا ومجاهدًاباسلاً في ميدان الكفاح.

والفصل الثاني يحتوي على حياته الغريبة وشخصيته العبقريّة ومكانته العلميّة.

أمّا الباب الثالث، ففيه فصلان.

الأوّل في بيان دور العلماء في كفاح الاستعمار البريطانّي ومساهمتهم في تحرير البلاد.

والفصل الثاني تحدَّثت في المجهودات الحريّة للإمام النّانوتوي بمافيها: الثورة الهنديّة: أسبابها، حوادثها، نتائجها؛ وروح النضال للنانوتوي،وشجاعته،وبسالته،وجهوده،ونضاله،وحثُّه على الجهاد، ولعبه دوراً كفاحيًا ؛وكثير من مثل هذه الأمور المهمّة التي تدلَّ على فكره وذكائه وتوكُّله على الله وقلقه على حالة المسلمين.

كما أنَّ الباب الثالث يشتمل على فصلين، أمَّا الفصل الأوّل، فقد ناقشت مجهوداته الجبابرة الساكتة القياديَّة لتحرير البلاد بعد الثورة فى صورة تأسيس''دار العلوم ديوبند''.

وفي الفصل الثاني ذكرت فيه جهوده المثمرة لإعداد الرجال وإنشاء الأجيال الذين حرَّروا الهند من الاستعمار الغاشم حتى أصبحوا تعبيرًا صادقًا لأحلامه.

ولاشک أنّ الموضوع الذی تناولته للبحث، هو موضوع طويل ويحتاج إلى دراسة عميقة ومعلومات غزيرة، ولايمكن لي أن أودِّي حقَّه في هذه المقالة الوجيزة،رغم ذلک أردت أن أشتغل بهذاالمجال العلميّ -معتصمًا بحبل التوفيق-.

وحاولت -بقدر ما أستطيع- أن يكون هذا العمل أقرب إلى الكمال، وليس الكمال إلا لله العزيز الغفّار.

وبعد ذلک، أقدّم إلى القائمين بتأسيس ''مجمع حجّة الإسلام للبحث والتحقيق الجامعة الإسلاميّة دار العلوم وقف/ ديوبند، الهند،'' شكرًا جزيلاً من سويداء قلبي، حيث أن أتاحوا لنا فرصة غالية قيِّمة للإنشاء والكتابة والبحث والتحقيق، فجزاهم الله خيرًا وأكرمهم بثوابه الموفور في الدنيا والآخرة.

وأخيرًا، أحمد الله -تعالىٰ- وأشكره على توفيقه لهذا العمل، وتيسيره لي وأدعوه -سبحانه وتعالىٰ- أن يتقبَّل منّي هذه العجالة، ويجعلها خيراً وذخراً في الدنيا والآخرة.

التوطئة

الحمدلله الذي خلق الإنسان، وشرع لهم دينا يسوق بهم إلى دار الأمان، فبعث النبيّين والمرسلين لتبشيرهم بالنعيم وإنذارهم من يوم الفرقان، والصّلاة والسّلام على نبيّنا محمَّد الذي بُعث إلى كافَّة الناس من ربِّه المنَّان، فدعا الناس إلى الدّين المحكم بالأدلّة والبرهان، فظهر دينه على الدّين كلّه بالسُّلطان، وعلى آله وأصحابه، ومن أتوا بعد من علماء الدّين، الذين ضحُّوا بانفسهم في سبيل الدّين، وإنقاذ المسلمين من المستعمرين الغاصبين.

من الحقائق التاريخيّة أن شخصا واحدًا يستطيع أن يغيّر مجرى التاريخ، ويأتي بالأعاجيب التي تأخد بالألباب، وكم حدث ذلك في التاريخ: فها هوالشاه ولي الله الدهلوي يأتي في زمن عصيب، فيدرس القرآن والسنّة ويأتي بفكر جديد ويحوّل مجرى التاريخ بعلمله وفكره، وها هو السيّد أحمد بن عرفان الشهيد يفتح عينيه في ظروف، يشاهد فيها الإسلام وتعاليمه وشريعته الغرَّاء في خطر؛ فيفعل وحده بعزمه القويِّ وهمَّته العالية ما لايستطيع أن يفعله الآخرون، فهو يقيم الحكومة الإسلاميّة على منهاج الكتاب والسنَّة على أرض الله،

كذلك قيّض الله -سبحانه وتعالىٰ- حجّة الإسلام الإمام الأكبر محمَّد قاسم النانوتوي، أن يكون علمًا من أعلام الفكر والجهاد، وبطلاً حرًا من أبطال تحرير الهند.

كانت الظروف في الهند تتغير عقب دخول القوّة الاستعماريّة، والإمبراطورِيّة المغوليّة تتهاوى من القمّة، حيث فقدت الحكومة المغوليّة حيويّيتها وتدهورت قُوَّتها السياسيّة، وبدأت رقعة الدولة تتفتَّت شيئا فشيئا، وتتاح الفرصة لبعض الأمراء «الهندوس» و«السيخ» ليجمعوا الجيوش ويشنَّوا حربًا على الدولة الإسلاميّة ويقتطعوا من جسمها الكبير ولا يأت لهم يحكمونها، والملوك المسلمون يضعفون رويدًا رويداً وينحصر نفوذهم وينمكش سلطانهم، حتى أصبحوا صورة لا نفوذلها ولا سلطان، وانقسمت الدّولة المغوليّة العظيمة إلى دُويلات عديدة في مختلف المناطق والأقلام، ولم تكن في الهند حينذاك أيّة سُلطة متّحدة متماسكة قادرة على صيانة البلاد من المستعمرين الأوروبيّين.(١)

وكانت السُّلطة السبع المئويّة للسملمين تلفظ أنفاسها الأخيرة حين ولادة الإمام الأكبر محمَّد قاسم النانوتوي، وكانت الحكومة المغوليّة في عالم النزع، وتختنق اختناقا نهائياً، وتميل شمسها البازغة إلى

(١) الداعي، السنة ٣١، العدد ٥-٦، جمادي الأولي-جمادي الأولي- جمادي الثانيّة، ١٤٢٨هـ مايو- يوليو ٢٠٠٠م ص: ٨٧.

الغروب، ومن حُفنة الجيوش للشركة الهنديّة الشرقيّة، انقادلها الأمراء والحكماء والرؤساء والأقيال لأكثر من ستّ مائة من الإمارة الصغيرة والكبيرة في الهند، وعند ما كان حضرة الشيخ يبلغ خمسة وعشرين عاماً من عمره، انقرضت دولة المسلمين في الهند، ورسخت قدم الإنجليزفي أرضها سنة ١٨٥٧م، وسطقت الهند رأسا في يده، وأصبح أمر المسلمين في الهند في هـرْج ومـرْجٍ شـديد وكانت عاصمة الهند «دهلي» تدمّرت، والبلاد والأخري تخرّبت، وكانت الهند في براثن الإنجليز، وكانت سيطرتهم قائمة في سائر أنحاء البلاد،ولم تبق من دولة الإسلام والمسلمين سوى الآثار الدالّة على مجدهم السالف، وكانت الحكومة المغوليّة قد لفظت أنفاسها الأخيرة.[1]

ولن ينس التاريخ ذلك العصر القاسي، إن ملك الحكومة المغوليّة الأخير في الهند ''بهادر شاه ظفر'' لما ألقي عليه القبض وذهب به أسيرًا إلى رنكون (*Rangoon*)وسادت سلطة الإنجليز في جميع بلاد الهند.

وقامت سوق القتل والنهب في ''دلهي ''على قدم وساق، والدِّماءتُسفك، والرّقاب تُضرب، والرّصاص يطلق من غير تميز

(١) الجريدة، مائة وسبعة عشر عاما للجامعة الإسلاميّة دار العلوم بديوبند في ضوء خدماتها العلميّة والدعويّة والاجتماعيّة، مكتبة الاحتفال المئويّ، ١٤٠٠هـ، ص ٥؛ والشيخ أبو الحسن علي الندوي، **المسلمون في الهند**، المجمع الإسلامي العلمي، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١١م، ص١٥١- ١٥٢.

والبيـوت تُنهـب، حتـى أصـبحت الخاويـة ، والأنقـاض المتراكمـة، والجثث والمتعفنة، والجنود المفترسة؛ وكانت ''دهـلي'' فـى الحقيقـة، مدينة الأ موات ليس بها داعٍ ولا مجيب، فلا صوت إلا صوت سنابک الخيل، علـى مـا يقـول الغالـب: ''والله لا أجدمسـلمًا علـى البحـث والتحقيق''.[1]

لم تكن هنالك إلا جثث هامـدة مبعثـرة هنـا وهنـاك، والعلـماء الواعون كانوا يُستشهدون ظلما؛ وأما من بقي مـن العلـماء الناهضـين الثائرين، فوُجَّهت إليهم تُهمة الثورة ضدّ حكومة الإنجليز، وأرسِـلوا إلى جزيرة «اندومان» فذاقوا هناك مَرارة الحبس والاعتقال، وقضـوا حياتهم في عسر شديد، حتى تُـوفّي كثـير مـنهم هنـاك، والأمـر الـذي يلفت الانتباه أنه شارك في هذه الثورة، كلّ من الهنـدوس والمسـلمين؛ ولكــن نصـيب المسـلمين في الشـقاء والبـؤس، كـان كبـيرًا بالنسـبة للهنـدوس، فقامـت الحكومـة الإنجليزيّـة بـإحراق بيـوتهم وتـدمير ممتلكاتهم وإراقة دمائهم، واغلاق مدارسهم ومراكزعلومهم، وإذلال

(١) الشيخ أسير الأدروي، ***مولانا قاسم نانوتوی حيات اور كارنامے*** [الإمام النانوتوي: **حياته ومآثره**]، الهند أكاديميّة شيخ الهند دار العلوم ديوبند شعبان ١٤١٧هـ يناير ١٩٩٧، ص:١٩-١٨؛ **الجريدة**، مائة وسبعة عشر عاما للجامعة الإسلاميّة دار العلوم بديوبند في ضوء خدماتها العلميّة والدعويّة والاجتماعيّة، مكتبة الاحتفال المئويّ، ١٤٠٠هـ، ص٤.

شرفائهم وهتك مساجد هم، وانتهاك محارمهم والقيام بعرضهم.[١]

لقد فقد الإنجليز بعد انتصارهم كلّ إحساس بمعاني الإنسانيّة، وتجاوزوا في انتقامهم كلّ ما يتصوّره الإنسان، رأو أن القتل بالرّصاص سهل على المقتولين، فاستعملوا إلمشنقة، يضحكون ويصفقون، وكانوا يشدّون ضحايا هم على فم المدافع، ثم يطلقونها، فتتناثر أشلائهم في كلّ مكان، وكانوا يلقون أجساد الضحايا المسلمين بجلود الخنازير، ويخبطونها عليهم أو يدهنونهم بشحومها ، ثم يحرقونهم، وكانوا يجبرونهم على فعل الفاحشة بعضهم ببعض، وكانو يحشرون الناس في البيوت، ثم يشعلون النار فيها، فيتحول المساكين إلى رما د رجالاً، وأطفالاً!! وكانوا-وكانوا- لم يتحركو وسيلة للتنكيل والتعذيب يتفنن العقل في اخرجاها، إلا فعلوها بضحايا هم، ولم يفرقوا بين ثائرو مهادن؛ فالكلّ عندهم ثائر.[٢]

نحن نذكر بين يديكم شيئا من الفادحات والاعتداءات

---

(١) الجريدة، مائة وسبعة عشر عاما للجامعة الإسلاميّة دار العلوم بديوبند في ضوء خدماتها العلميّة والدعويّة والاجتماعيّة، مكتبة الاحتفال المئويّ، ١٤٠٠ه، ص- ٥؛ الشيخ أبو الحسن علي الندوي، **المسلمون في الهند**، المجمع الإسلامي العلمي، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١١م، ص١٥١ـ ١٥٢.

(٢) الدكتور عبد المنعم النمر، تاريخ الإسلام في الهند، ط دار الجديدمصر، ١٣٧٨ه، ص: ٤٥٦؛ العلامة فضل حق خير آبادي، الثورة الهنديّة، ط مولوي، محمّد مجيد حسن (رئيس علي صحف مدينة بجنور) ١٩٤٧م، ص: ٣٦٠.

للإنجليز التي لاحدّ لها ولاغاية نقلاً عن الشيخ زين الدّين المخدوم الذي رآها بعينه.

«إن إحراق القرآن والصّحف، وإهانة المساجد والأماكن المقدّسة ورشق السهام من السّباب والشتم إلى رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- واستهزاء المسلمين وشعائرهم، ونهب أموالهم وممتلكاتهم، وجعل الأغلال والسلال في أعناقهم، وإكراهاً على المسيحيّة وسجود الصليب، واغتصاب فتياتهم، وإرغامهن على تربية الأجنة الناشئة عن نطف المسيحيّين الخبثاء ضدّ الإسلام والمسلمين، ومثلها من الاعتداءات والإيذاءات، لقد حلّت في مسلمي الهند في تلك الأيّام».[1]

والحقيقة أن تلك اللحظات القاسيّة التي كان يمرّ بها المسلمون والعلماء، كانت لحظات خطرة أوقعتهم في صِراع الموت والحياة، وأضعفت هممهم، وخمدت نيران شجاعتهم، فقبضت على الأوقاف التي تُدار عليهاشؤن المدارس الإسلاميّة المختلفة في أنحاء البلاد، فتوقّفت جميع نشاطاتها، وأغلقت أبوابها،[2]وأوشكت شعائر الإسلام

(١) الندوي، فيصل أحمد بهتكلي، تحريك آزادي ميں علماء كا كردار، (دور العلماء في حركه التحرير)، مجلس تحقيقات ونشريات اسلام، لكناوٴ رمضان المبارك ١٤٢٧هـ/ اكتوبر ٢٠٠٦، ص: ١١٥-١١٦.

(٢) الجريدة، مائة وسبعة عشر عاما للجامعة -ص ٥.

على المحو والدّثور، وصارت المدارس الدّينيّة والمراكز الإسلاميّة العامرة خرابًا خالية عن طلاب علوم الدّين، ولم يبق الوعي الإسلاميّ في نفوس المسلمين، وغشيتهم الظلمة والجهالة، وتسرَّبت في المجتمع البدع والخرافات التي قامت باسم الإسلام وتُركت سنن الأنبياء والرسل عليهم السلام وتسمّم الجوّ بالإلحاد والوثنيّة، وأصيب المسلمون بالقنوط والاضطراب، وكان اليأس أن يستولى عليهم، وكادوا أن ينجرفوا لمخطّطاتها الهدامة ومؤامراتها الخبيثة التي نسجتها بحيطة بالغة وفي غاية من السرّ والخفاء ومن أخطر هذه المخطّطات ما قد خطته للقضاء على أمجاد الإسلام في الهند ومحو الثقافة الإسلاميّة وتبعيد الجيل الناشي المسلم عن معتقدات أسلافه وديانتهم وتقاليدهم، وصوغ الذّهن الجديد بصبغة الأفكار الغربيّة الملحدة المخرفة عن جادة الدّين الحنيف[1]

هذا، وقد أعلن بكلّ صراحة أحد النواب البريطانيّين في البريطانيِّ عام ١٨٥٧م، بعد استيلائهم على البلاد كلّها:

«إن الرّب أكرمنا بهذه السعادة باستعمار الهند، حتى نجعل رأية سيدنا «المسيح» خفاقة في الهند من أقصاها إلى أقصاها، ويجب على

---

(١) الجريدة، مائة وسبعة عشرا عاماً للجامعة-ص ٣٧؛ الشيخ أبوبكر الغازي فوري، دور العلماء في نشر الثقافه الإسلاميّة (الجريدة، جامعة ديوبند، رسالتها وانجازاتها) ط مكتب الحفل المئويّ، ص ٧٣؛ جمادي الأولي- جمادي الثانيّة ١٤٠٠ه الداعي، العدد الخاص، السنة ٤، العدد ١، ٢، ٣، ٤، مارس وابريل ١٩٨٠م، ص ٨٢.

كلّ مسيحيٍّ أن يجنّد كلّ طاقته على إتمام العمليّة الجليلة المتمّثلة في تنصير الهند، ولا يجوز التقصير في ذلك»[١]

وتحقيقا لهٰذه الخطّه الخبيثة جنَّدوا كلّ إمكانيّات الدّولة، واستقدموا نحو تسع مائة قسّيس وراهب من «أوربَّا» إلى الهند، بالإضافة إلى القساوسة والرّهبان في البلاد من ذي قبل، فقد جاء القسّيسون المسيحيون والأحبار والرهبان من «أوربّا»، وانبثُّوا في القرىٰ والمدن وأخذوا يبلّغون معتقداتهم ونظرياتهم، ويدعون الناس إلى النصرانيّة، ويناظرون علماء المسلمين بسلطان دولتهم، ويغرسون في قلوب العامة الشك والزيغ؛ ولأن حكومة الإنكليز الجديدة أيّدتهم وعاضدتهم، فهم بدأوا يهجمون على عقائد الإسلام علانية، ويطعنون تعاليمه صراحة، فإن الحكومة كانت ترغب وتسعى في أن تعتنق الشعوب الهنديّة، المسيحيّة، وتكون الحكومة راسخة الدعائم في الهند.[٢]

اختار الاستعمار الإْنجليزي طرقًا عديدة لإقناع الجماهير في شبه

---

(١) الصديقي، أويس أحمد الصديقي، الإمام الأكبر وجهوده في إعلاء كلمة الله، أكاديميّة الإمام النانوتوي، رمضان ١٤٣٢ه، ص ٦٦؛ الشيخ خالد سيف الله رحماني، *وہ جو بیچتے تھے دوائے دل* (هذا الكتاب يشمل شتي المقالات للشيخ خالد سيف الله رحماني، (**حول سير العلماء المختلفين**)، إيفاء ببلكشنز، دهلي، ص ٣٤ـ ٣٥.

(٢) الصديقي، أويس الصديقي، **الإمام الأكبر وجهوده في أعلاء كلمة الله**، ص ٢٣٤ـ ٢٣٥؛ و**الجريدة**، مائة وسبعة عشر عام للجامعة، ص ٥.

القارّة الهنديّة، بأن النظام الذي جاء به الاستعمار ينجوهم ويقودهم إلى برِّ الأمان؛ ومن أبرزها إرسال بَعثات التبشيريّين، وفتح المدارس التبشيريّة في البلاد، وإدخال الشكوك في قلوب الناس حول العقائد الإسلاميّة.[١]

وقد نُتج من ذلك أن كثيراً من القلوب قد انحرفت عن الدّين المحمَّديِّ، وكثير من الشبان قد صيدوا بمصائد أساتذتهم المسيحِيين، وأكثر منهم بدأوا يشكّون في تعاليم دينهم، وخلت قلوبهم عن احترامهه. [٢] هنالك ساد الظلام، واكفهرّ الجوّ، ودبَّ اليأس إلى قلوب المسلمين عن بقائهم وبقاء كيان الإسلام في هذه البلاد، وكانت الظروف تشير أنها تعاد قصة «إسبانيا» على أرض الهند. [٣]

ففي هذه الظروف الهالكة والأوضاع المدهِشة، وُلد الإمام محمَّد قاسم النانوتوي ونشأ وترعرع، وتلمَّذ على مجموعة من أفاضل عصره، والجدير بالذكر منهم الشيخ مملوك على الديوبندي الذي كان من أجل علماء عصره، وقرأ الحديث النبويّ على المحدِّث الهندي الشهير عبدالغني المجدّدي،الذي كان من سُلالة الإمام الرّباني الشيخ

(١) الصديقي، **الإمام الاكبر وجهوده في إعلاء**، ص ٦٧.

(٢) الشيخ أبوبكر غازي فوري، **دور العلماء في نشر الثقافة الإسلاميّة**، (الجريده، جامعة ديوبند رسالتها وانجازاتها)، ص٤٠؛ و**الداعي**، العدد الخاص المئوي، ص ٨٢.

(٣) الشيخ الصديقي، **الإمام الاكبر وجهوده**، ص ٦٦.

«أحمد بن عبد الأحد» السرهنديّ؛ وثم كـرَّس حياتـه كلّهـافي خدمـة الدّين والدفاع عن الإْسلام، وضـحّي بانفسـه وممتلكاتـه وكـلّ مـافي طاقاته في استخلاص الوطن من براثن المسـتعمرين وإنقـاذ المسـلمين من استعبادهم.(١)

وكان الإمام محمَّد قاسم النانوتوي يرى ماكان يجـري في الهنـد بقلقٍ بالغٍ، لا يهدأ له بال، ولايقرّ له قرار، ولايصبر على غواية الأمّة، وكان يخاف على الناشئات المسلمة الآتية، قـد أدرك نوايـا الاسـتعمار الخبيثة وشعر بعناصرهم التخريبيّة؛ وخاف «حضــرة الشـيخ» علـى الدّين، وعلى علوم الدّين، كما خاف على مستقبل الإسلام في الهنـد، بأن المسلمين بين ثلاث خطرات: خطـر للارتـداد، وخطـر للإلحـاد، وخطر لاستعباد المسلمين.(٢)

فالإمام النـانوتوي يسـبق إلـى الميـدان، ولم يـزل يكـافح ضـدّ الإنجليز في «بستان شير على» (٣)، و «تهانه بهون»، و«شاملي» وماعـدا إلى ذلك بكلّ حماسة وشجاعة، ويحـقّ الحـقّ بسـيفه وقلمـه ولسـانه؛ ولكن بعد عـام ١٨٥٧م لـيس يـتمكّن مـن السـبيل إلـى الجهـاد بـا

(١) الأدروي، **الإْمام النانوتوي، حياته ومآثره**، ص ٣١.

(٢) الشيخ أبو الحسن علي الندوي، **مركز العلم والثقافة الإسلاميّة في الهند**، دار العلوم ديوبند، مكتب الاحتفال المئويّ ١٤٠٠ه، ص ١.

(٣) أحقق مساهمته في الهجمة بستان «شير علي» خلال المقالة بإذن الله.

السّيوف والبنادق، والأسلحة الحربّية الأخرى، فقلق واضطرب، وأناب إلى الله، وتضرَّع؛ ولم يكن عنده من قوّة السّلاح، ومن المال الوافر، كما لم يكن على رأسه قوّة عاضدة، إلا أنه كان يملك قوّة ايمانيّة راسخة وقوه الثقة بذات الله وغيرة دينيّة تنفخ في قلوبه الحرارة والحماس، فرأى أن واجبه الدّينيّ يفرض عليه، أن ينهض للعمل، وصيانة للدّين وأبناء المسلمين، وأمجاد الأسلاف في الهند، فلم يقعد عن العمل، بل قام بتحرير البلاد من براثن المستعمرين، وحفظِ كيان الأمة المسلمة المضطهدة من الإنجليز، وإنقاذ المجتمع الإسلامي من التبشير والتنصير، وإنشاء الوعي الدّينيّ والفكرة السياسيّة الصحيحة في نفوس المسلمين فاهتدي، وسار في نور الله القويِّ الذي سايره ورافقه في هذه إليقظة الدّينيّة الجديدة والشعور باالمسؤليّة، فرأى أنه لا يمكن الكفاحُ ضدّ الإنجليز وإبطال نشاطاتهم إلا بإقامة المدارس الدّينيّة والمراكز الشرعيّة والمعاهد الدّينيّة، فقام بإعداد وحِصن مشيد للحفاظ على أنفس المسلمين وأموالهم ودينهم في صورة إدارة تعليميّة بمقام «ديوبند» لإخراج جيل قويّ وبطل عظيم ومجاهد جريئي وفدائيّ باسل، يدافع عن الإسلام والمسلمين، ويستمرُّ في النضال والكفاح ضدّ الإنجليز الغاصب إلى استقلال الهند، [1] فقبل

(١) الداعي العدد الخاص المئويّ، ص ١٤؛ والشيخ أبو بكر غازي فوري، **دور دار العلوم في نشر الثقافة الإسلاميّة**، (الجريدة جامعة ديوبند، رسالتها وانجازاتها)، ص ٤٠؛ و الشيخ خالد سيف الله الرحماني، وہ جو بیچتے تھے دوائے دل، ص ٣٥-٣٦.

الله –عزوجل– أمانيه وتمنِّياته ومطالبه؛ لأن تلامذته وأصحابه وأولاده روحيًّا وفدائياًلم يزالوا يساهمون في حركة التحرير لمطاردة الإنجليز الغاصبين، وأجبروهم على أن يتولّوا مدبرين من الهند، حتى تحرّرت بلاد الهند، وأدَّوا الأمانة التي حملها من شيخهم «محمود الحسن» وشيخ شيخهم «الإمام محمَّد قاسم النانوتوي» وقاموا بالتعبير الصادق للأحلام التي رأها حجّة الإسلام الإمام الأكبر محمَّد قاسم النانوتوي.

الفصل الأول:

الأوضاع السياسيّة والإجتماعيّة في عهد حجّة الإسلام

قبل أن نتحدَّث عن الأوضاع السياسيّة والاجتماعيّة في عهد حجّة الإسلام محمَّد قاسم النانوتوي الذي نتكلّم عنه، يجب أن نحدِّدُ ما هو العصر الذي عاش فيه الإمام الأكبر ونشأ وترعرع، وكيف كانت الأحوال والظروف السياسيّة والاجتماعيّة والثقافيّة والاقتصاديّة قبل مولده، لأنّ روح العصر لها تأثير كبير في تكوين شخصيّة الإنسان؛ فإن الإنسان يتأثّر كثيرًا بالأحوال والظروف التي يعيش فيها، ولها أهميّة كبيرة في تكوين شخصيته ونفسيته، فهذه هي الأحوال والظروف لا تنتهي إلى الحي أو الحارَّة فحسب، بل هي

تتّسع إلى الوقائع الأسريّة التي يعيش فيها شخص أو يسمع عنها فهو يسمع عن الأحداث والأمور التي مر بها أفراد الأسرة، ويتأثر بها خاصّة، إذا كان آباؤه وأجداده قاموا بدور كبير في قلب تيّار التاريخ، أو تغيير مجرى البلاد السياسي والدّيني.

فنظرًا إلى ذلك- أذكر بشيئ من التفصيل الأوضاع الاجتماعيّة والسياسيّة والاقتصاديّة قبل مولده، حتى عصره، كذلك أوضّح تلك العوامل والبواعث التي جعلته قائدا سياسيا وبطلا حرا في سبيل تحرير البلاد.

ومن الواجب علينا أن نلقي أضواءً على الهند وتاريخ حضارتها وثقافتها من الناحيّة العامة مع إلقاء الضوء على حالتها الاجتماعيّة والسياسيّة من الناحيّة الخاصّة.

نظرة عابرة على الهند منذ دخلها اَلإسلام، حتى عصر الإمام الأكبر:

إن الهند هي بلاد قديمة، لها حضارة وثقافة يرجع تاريخها إلى عدَّة آلاف مضت من السِّنين، والهند ليست مجرَّد دولة، بل هي شبه قارَّة، وربَّما يطلق عليها قارَّة، أي بلاد عديدة في وطن واحد، وتبلغ مساحتها ٢٦٣،٢٦،٣٢ كيلو مترًا مربعًا.[1]

(١) معراج أحمد، شيخ الهند محمود حسن الديوبندي وكفاحه في تحرير الهند دار المعارف، ١٤٢٩ه/ ٢٠٠٨، ص ١٨.

ومن السمات الرئيسة في الهند المجتمع المتنوّع، ربَّما تكون الهند هي الدّولة التي تضمُّ العديد من الأجناس المتنوِّعة في العالم، فهي تشتمل على الأجناس الرئيسة في العالم، فمثلا: الأسترالى، والمغوليِّ والأروبيّ، والقوقازي، والزنجيّ، وهم يتمثّلون في الشعب الهندي الذي تعد أساسًا جنسياً مختلطًا، كما تتعدّد فيهاالدِّيانات مثل الهندوسيّة، والمسيحيّة، والإسلام، وجماعات من السيخ، والبوذيّة، والجيتر، وإليهوديّة، والزرادشتيّة، ومجموعات دينيّة أخري، وتتمتّع بالحريّة الكاملة في أعمالها الدّينيّة مع حضارتها وثقافتها؛ لأن الهند هي دولة ديموقراطيّة، والهدف الرئيس لها هي العلمانيّة، ومن خصائصها الهامَّة التي تميزها عن غيرها من البُلدان هي الوحدة في التنوُّع وبالعكس.(١)

الهند ما قبل الإسلام:

إن الهند كانت قبل دخول الإسلام متخلّفه ومنقطعة عن العالم كلّه؛ وإن كان بعض الهنود عرفوا شيئا من العلوم، كالهندسة والنُّجوم والطبّ، ولكن أكثر هم كانوا متخلِّفين من حيث الثقافة والحضارة، كما كانوا متخلّفين في كلّ مجال من مجالات الحياة عامّة، وفي مجالات الاقتصاد والسياسة والاجتماع خاصّة. (٢)

---

(١) المرجع السابق، ص ١٩.

(٢) المرجع السابق.

وظلّت الهند وجاراتها وشقيقاتها في التدهور الخلقيِّ والاجتماعيِّ، لم يوجد في المجتمع الهندي، العدل والمساواة، وكان الناس يعانون الشقاء والبؤس من أجل تفاوت الطبقات، ومن جور الأديان وانتشار الفساد، وكان المجتمع الهنديّ كبحرٍ يأكل السمك الكبير فيه السمك الصغير، حتى دخل المسلمون، فتغير مجرى التاريخ، وانقلب تيّار المجتمع الهنديِّ. فكان دخول المسلمين في هذه البلاد نقطة إطلاق من التخلُّف إلى التقدّم، ومن الجمود إلى الحركة، ومن الجور إلى العدل والمساواة، ومن العبوديّة إلى الحرّية الكاملة، فظهرت جماعة من المسلمين الذين حملوارسالة الإسلام إلى الناس في أرض الهند، ونشروا تعاليم الإسلام السمحة في جميع أرجاء الهند، والمسلمون هم الذين أخرجوا أهلها من الظلمات إلى النّور، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن التقاليد القديمة إلى التطوُّر الحديث، فبدأت الهند تتقدّم وتزدهر، حتى طار صيتها في كلّ ناحيّة من أنحاء العالم.[1]

قال الأستاذ أبوالحسن على الندوي -أدخله الله فسيح جناته- في هذا الصدد:

«فمن أراد أن يعرف ما نقله المسلمون إلى هذه البلاد من ثمرات الحضارة ونتاج العقول، وما أضافوا عليها من الجمال والكمال، فلينظر إلى ماكانت الهند قبل دخول المسلمين، ثم يقارن بين

(١) المرجع السابق، ص ٢٢- ٢٣.

ذلک وبين ما تجمَّلت به بعد ما استمرَّ الحكم الإسلامي مدة من الزمن وما هي عليه الآن». [١]

لمحة خاطفة على انتشار الإسلام في الهند:

وصل الإسلام إلى الهند أوشبه القارّة الهنديّة من ثلاثة طرق:

الطريق الأول: أول ما دخل الإسلام في جنوب الهند على أيدي التجار والرِّحالة العرب، والجدير بالذكر أنَّ العلاقة التجاريّة بين الهند والعرب، ترجع إلى عهد عتيق، وبحييث أن التّجار العرب كانوا يصدرون خيرات الهند إلى اليمن، ومنها إلى بلاد الشام، وكانت هذه الأموال الهنديّة تُباع في أسواق «مصر» و «أروبّا» [٢]، فحينما حمل هؤلاء التجّار المسلمون العرب أموال التجارة إلى الهند، حملوا معهم دعوة الإسلام، وكذلك قامت العلاقات بين الهندو وهؤلاء التُّجار المسلمين على أساس المودَّة والصَّداقة، وأثرت أخلاقهم الفاضلة ومعاملاتهم العادلة في حياة القاطنين في هذه المنطقة، حتى أسلم عددٌ غير قليل من الهنود، وهذه كانت بداية دخول الإسلام والمسلمين في الهند.

والطريق الثاني الذي دخل منه الإسلام في هذه القارّة هو

(١) الندوي، **المسلمون في الهند**، ص ٢٠٧.

(٢) الشيخ محمّد اكرام ، **آب كوثر، (ماء الكوثر)**، تاج پرنترز، ١٩٩١م، ص٢٠.

الغزو، دخل المسلمون بلاد السند وما جاورها من البلدان حينما غزاها محمَّد بن القاسم الثقفيِّ في عام ٧١١م في عهد خليفة الأمويِّ «الوليد بن عبد الملك»، فوصل محمَّد قاسم إلى «ديبل» وجاء بالأسلحة بما فيها الشهير بالعروس عن طريق البحر وانتصر هذا الشاب الفاتح على عدوّه «راجه داهر» وفتح قلعة «ديبل».[1]

وأما الطريق الثالث الذي دخل عنه الإسلام أو المسلمون في أصح التعبير، فهو طريق ممرّ خبير،[2] فأول من دخل من هذا الممرّ هو الملك الفاتح «محمود الغزنوي» في عام ١٠٣٠م وهاجم الهند بقوّاته مرّة بعد مرّة، حتى بلغ عدد حملاته إلى سبع عشرة أو أكثر منها، وأخيرا انتصر على عدوّه وضمّ بعض المناطق الهنديّة إلى مملكته[3]، وخلفه ملوك ضعاف، حتى انتزع الغوريّون الحكومة من أسرته، وجاء «شهاب الدّين محمَّد الغوري» وتقدّم إلى «دهلي» عن طريق «لاهور» ، ولكن ملك دهلوي «برتوي راج شوهان» لاقه وهزمه، فرجع على دَراجه إلى «أفغانستان» ثم هاجم في السنة القادمة وانتصر

(١) المؤرّخ اكبر شاه خان نجيب آبادي، **آئينة حقيقت نما، (الحكماء المسلمون في المرآة للحقيقة)**، الديوبند: (أكاديميّة شيخ الهند دار العلوم ديوبند، محرم الحرام ١٤٣٨هـ/ يونيو ١٩٩٧م) ص ١١٣-١١٤-١١٥ ملخصاً.

(٢) الممر المشهور بين الجبال التي تحيط بالهند من جهة الشمال.

(٣) المؤرّخ محمّد قاسم فرشته، **تاريخ فرشته**، المكتبة للملة ديو بند، ١٩٨٣م، ج ١، ص ١٠٤ - ١٤٤، بالتلخيص ما ذكره فرشته في سيرة محمود.

على عدوّه وفتح بابا جديدا للحكم الإسلاميّ في الهند.[١]

ثم بدأت سلسلة الحكومات الإسلاميّة بالتوالى، كالدولة الغوريّة التي قامت على يد «شهاب الدّين الغوري» على أنقاض الدّولة الغزنويّة، وسارت على خطَّتها في فتح الهند، حتى جاء «قطب الدّين أيبك»[٢]، ثمّ تعاقبت الدُّول الإسلاميّة في الهند، التي أنشأهاالتُّرك والأفغان والتغلقيون والسّادات والتيموريون، وأخيراً جاءت الدّولة المغوليّة العظيمة. ظلت هذه البقعة من الأرض تنمو وتزدهر، حتى بلغ ازدهارها إلى ذُروة الكمال في عهد الإمبراطوريّة المغوليّة العظيمة، وفي هذه الزمن دوّي صيتها في العالم كلّه، حتى اعتبرها عديد من المؤرِّخين والباحثين من أغني البلدان على وجه المعمورة.وفي الحقيقة أنه لم يكن لبعض المدن مثيل في العالم كلّه، في وفرة الموارد الماليّة، وفي أصالة العناصر الثقافيّة، كما يذكر الحاكم الإنجليزي «اللورد كلائف» (Lord Clive) أن «مر شد آباد» من ولاية «بنغال» كانت تضاهي مدنيّة «لندن» في السّعة والنظام، فهي عامرة بالسُّكان وزاخرة بالموارد والخيرات والثروة الطائلة، إلا أن الأولي تمتاز عن الأخري بكثرة الأغنياء وأصحاب الأموال، وتمتّعت

(١) المصدر السابق، ص ٢١٩- ٢٢٤، وكذالك المؤرّخ أكبر شاه خاں نجيب آبادي، *آئينہ حقيقت نما*، (الحكماء المسلمون في المرآة للحقيقة)، ص ٣٠٧- ٣٢ ملخصًا.

(٢) المرجع السابق.

الهند بالأمن والرفاهيّة والرقيّ في العهد الإسلاميِّ «فنعمت الهند في ظلّ الحكومات الإسلاميّة باستتباب الأمن والرفاهيّة قروناً طويلة، فازدهرت الزّراعة والتجارة وارتقي العمران والمدن، وتقدّمت الصناعة، لاسيّما صناعة النسيج والغزل فتوفّرت الخيرات وتدَّفقت الخزائن وطار صيتها في أرجاء المعمورة، حتى سُمّيت بـ «الطير الذهبي».[1]

العناصر التخريبيّة وتأثيرها على المجتمع الهندي:

بدأت الظروف في الهند تتغير عقب دخول القوّة الاستعماريّة إلى شبه القارّة الهنديّة؛ لأن النظام الاستعماري الأروبي قد فتح بابا حديدا في تاريخ الهند، وجعل الإنجليز من إحكام السيطرة السياسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة مع الاستيلاء في أرجاء الهند المختلفة.

والجدير بالذكر هنا أن الأوروبيّين قد عثروا على طرقٍ بحريّة جديدة في نهاية القرن الخامس عشر، فدخلوا الهند متنكّرين بزيّ التجارة، وانتهزوا فرصة عطف حكّام المسلمين عليهم وتوفير التسهيلات لهم كإعفاء الضّرائب والسّماح بإنشاء مراكز التجارة في المناطق الواقعة على سواحل الهند، فاستغلَّوا حقّا هذه التسهيلاتِ والمراعاة التي أتيحت لهم من قِبَل الحكّام الإمبراطوريين وجعلوا ينقلون ثروة البلاد وخيراتها إلى بلادهم بعد استيلائهم على مقاليد

(١) الدكتور، عبد المنعم النمر، **تاريخ الإسلام في الهند**، ص ٣٢٨.

السّلطه في البلاد بمؤامرتهم البشِعة وسياستهم السيّئة، علماً بأنّ الحكم الإسلامي في الهند قد بلغ ذُروه القوّة والاتساع في عهد أحد ملوكه الامبراطور «أورنغ زيب عالمكير» الذي ضمّ الهند كلّها على وجه التقريب تحت سلطانه مما لم يسبق له مثيل من قبلُ، وحكم البلاد حكماً اسلامياً حازماً، وبعد وفاة الإمبراطور «أورنغ زيب عالمكير» عام ١٧٠٧م، بدأت الإمبراطوريّة المغوليّة تتهاوي من القمّة حيث فقدت الحكومة المغوليّة حيويّتها وتدهورت قوّتها السياسيّة، وبدأت رقعة الدُّولة تتفتَّت شيئاً فشيئاً، وتتاح الفرصةُ لبعض الأمراء «الهندوس» و«السيخ» ليجمعوا الجيوش ويشنّوا حرباً على الدّولة الإسلاميّة، ويقتطعوا من جسمها الكبير ولايات لهم يحكمونه، والملوك المسلمون يضعون شيئاً فشيئاً، وينحسر نفوذهم، وينمكش سلطانهم، حتى أصبحوا صورة لانفوذ لها ولا سلطان.[1]

فأخذت البلاد تنقسم إلى دويلاتٍ عديدة في مختلف المناطق والأقاليم ولم تكن في الهند حينذاك أيّة سُلطة متحدة متها سكة قادرة على صيانة البلاد من المستعمرين الأوروبيين.[2]

فلا ندخل في العقد السادس من القرن الثامن عشر، إلا ونرى أن شركة الهند الشرقيّة البريطانيّة (East India company) قد

(١) **ثقافة الهند**، المجلد رقم ٤١، العدد ٢، عام ١٩٩٠م، ص ٣٧.

(٢) الداعي، السنة، ٣١، العدد ٥-٦، جمادي الأولي- جمادي الثانيّة ١٤٢٨ه/ ما يو- يوليو ٢٠٠٧م، ص ٨٦.

رسخت أقدامها في الهند وماجاورها من البلـدان، وبـدأت العنـاصر التخريبيّة تنتهز هـذه الفرصـة لتبـدأ نشـاطاتها وتلعـب دورًا هامًّـا في تفاقم أوضاع الإمبراطوريّة، وبالطبع انتهز الأوروبيّون هذه الفرصـة أيضا ليبدؤوا بممارسة أعلامهم التجاريّـة في أرجـاء الدولـة المغوليّـة بكلّ حُريّة ونشاط، وبدأوا يراقبون الظروف السياسيّة الهنديّـة آنـذاك بكـلّ دقّـة واهـتمام، وبـدأو يدرسـون أوضـاعهاالاجتماعيّة بـالتعمُّق والإمعان ووصلوا إلى النتيجة أن أوضاع البلاد الراهنة هـي ملائمـة للسيطرة عليها. (١)

ففي ظلّ هذه الأوضاع السيّئة للبلاد بدأت العناصر التخريبيّـة تضرب الأمراء ببعضهم، وتؤيّـد بعضـهم بـالأموال والرجـال ضـدّ البعض الآخر، وتداخلت في تفاقم أوضـاع الإمبراطـور، وممـا يجـدر بالذكر أن الظروف في «الدكن» كانت موافقة للإنجليز أكثر مما كانـت في المدن الهنديّة الأخري؛ لأن هناك لم تكن حكومة تصـادمهم، فأقـام الإنجليز مصنعهم الأوّل في منطقة «الدكن» وبنـوا فيهاقلعـة صـغيرة وسمُّوها «قلعة سينت جارج» (Fort saint George) (٢)

الصراعات بين الأمراء الهنود وأعضاء الشركة:

ثم ما وقع مـن الخلافـات والصــراعات بـين الأمـراء الهنـود

---

(١) المصدر السابق.

(٢) الأخ معراج أحمد، **شيخ الهند وكفاحه في تحرير الهند**، ص ٣٢.

وأعضاء الشركة، وحينما أدرك بعض الأمراء الخطرَ من هذه الشركة السيطرةَ على الهند، فاضطرَّت الظروف إلى الحرب ضدّ الإنجليز، فقام الأمير «سراج الدولة» بالهجوم المُباغت على حصون الإنجليز ليقضي علهم ويريح البلاد من شرورهم وكيدهم عام ١٧٥٧م، وبما أن الشركة كانت يمتلك الأسلحة والفتاكة والأدوات الحربّية المتقدّمة، انتصرت على جيش الأمير «سراج الدولة» في معركة «بلاسي» عام ١٧٥٧م [١].

والجدير بذكر الدور الذي قام به «فتح علي خان» المشهور بـ«تيبو سلطان» الذي أدرك وانتبه لخطر القوّة الاستعماريّة. فعرف تيبو سلطان ببعد نظره ودقة فكره أن الإنجليز سيزدردُون هذه البلاد كلقمة سائغة، إذا لم تقم في وجوههم قوّة منظّمة، فحارب الإنجليز بكلّ ماكان يملله من قوّة حربّية وعُدّة عتادٍ، وحرّض أمراء الهند على القضاء على الجرثومة الإنجليزيّة السامة.[٢]

وظلّ يحاربهم وكاد ينهار كلّ مابناه الإنجليز وأملوه في الهند، لولا أنهم نجحوا في ضمٍّ أمراء الهند في جنوب الهند إلى معسكرهم فخرّ القائد الشجاع، وخرّ شهيداً في المعركة عام ١٧٩٩م، وفضّل

---

(١) السيّد طفيل احمد، ***مسلمانوں كا روشن مستقبل***، (**المستقبل الزاهر للمسلمين**)، مكتبة الحق مادرن ديري جوغيشوري، ممبئي، رمضان ١٤٢٢ه/ نوفمبر ٢٠٠١ م ص ٧١.

(٢) الشيخ ابو الحسن الندوي، **المسلمون في الهند**، ص ١٤٦.

الموت على الأسر في يد الإْنجليز والحياة في ظلمهم وتحت رحمتهم. ولم تعرف الهند في تاريخها الطويل، قائدًا عالي الهمة، ثاقب النظر، وأشد غيرة على الدّين والوطن، وأعظم عداءً وبغضًا للمستعمر الأجنبي منه- وقاله كلمته الخالدة الماثورة في التاريخ «يوم من حياة الأسد خير من مائة سنة من حياة ابن آوي» وتنفّس الإْنجليز الصّعداء واسترحوا من أقوى خصم لهم في الهند، ولما بلغ القائد الإنجليزي «هورس» (Horse) نبأ شهادة السلطان حضر ووقف على جثّته وقال «اليوم الهند لنا»،[1] وكان من الممكن أن ينتصروا على هؤلاء الأعداء، لولاء خيانة بعض قواده وقواد «سراج الدولة» فبأت هذه المحاولات بالفشل والانهزام.

الفتاوى للشاه عبد العزيز الدهلوي ضد الإنجليز:

وفي ظل هذه الظروف السيّئة والأحوال الحالكة للبلاد وانتشار الفوضى والفساد وتفشّي جميع أنواع الخرافات وسوء أوضاع المسلمين، بدأت الشركة الهنديّة الشرقيّة في تغيير نهجها وأسلوبها تدريجيا حيث أصبحت تتأثر بالتقلّبات السياسيّة في البلاد فأوّل من قام لحماية الملك ضدّ الحكومة الإنجليزيّة، هو الشاه عبد العزيز الدهلوي الذي كان خليفة للشاه ولي الله الدهولوي في الدّين

(١) المرجع السابق، ص ١٤٧.

والسياسيّة عند ما شاهد هذة النكبات والاضطهاد الذي حلّ بالمسلمين وتطلّع إلى أسباب ذلك، فأعلن وجوب الجهاد ضدَّه وأصدر الفتوىٰ «بأن الهند الآن أصبحت دارَ حرب، وقد وجب علينا وعلى المسلمين أن يهبوا للجهاد ضدّ الإنجليز الغاصبين؛ لأن الحلَّ والعقد صار بيد المسيحيّين الإنجليز، فهم يديرون الأمور ويعيّنون الموظّفين، ويلغون القضاء والأمن، ولا يحترمون الأمور السياسيّة للإسلام ويهدمون المساجد بغير اكتراثٍ من أجل ذلك تحوّلت بلادنا الهند من دار الإسلام إلى دار الحرب، فانتشرت فتوىٰ الإمام في سائر البلاد، وكان لهذا الفتوىٰ، صديٌ كبير وتاثيرٌ بالغ في المسلمين، وأحدثت ضجَّة، في صرْح الاستعمار البريطاني.[1]

الإجراءات العلميّة ضدّهم:

إن هذا العصر الذي كان يعتبر عصرًا حسَّاساً للغاية وخاصّة بالنسبة للمسلمين فإنّ «شاه عبد العزيز» لم يظلّ ساكتاً وواضعاً يديه على كفيه بدون أي عمل، بل استطاع أن يلحق أحد تلامذته في الجيش، ووضع الأساس الذي يستطيع اتباعها المسلمون في مواصلة عمليّاتهم الحربّية؛ حيث أن السيّد أحمد الشهيد الذي تولّى مسؤليّة هذه

(١) الشيخ السيّد محمّد مياں، **علماء هند كا شاندار ماضي، (الماضي المجيد للعلماء في الهند)**، فيصل ديوبند، رمضان المبارك ١٤٢٧ه، ج٢، ص: ٤٤٨. كذالك الشيخ أبو الحسن علي لندوي، **تاريخ دعوت وعزيمت، (رجال الفكر والدعوة)**، مجلس تحقيقات ونشريات اسلام كاكوري آفسيت، لكناؤ، ١٤٣٣ه/ ٢٠١٢، ج ٥، ص ٣٦٨.

الحركة بعد وفاة شاه عبد العزيز [١]، فضل أن يكون جنديا ماهراً بـدلاً من أن يكون شيخاً راسخاً في العلـوم والمعـارف. وعقـب نهايـة عـام ١٨١٨م خضَعَت معظم السّلطات الهنديّة أمام الإنجليز؛ ولم تظلّ إلا هذه الحركة تسير طبقًا للإرشادات والتعاليم التي وضعها شاه ولي الله الدهلوي، وكانت تقف بالمرصـد أمـام العـداء الإنجليـزيِّ، فحـاول السيّد أحمد الشهيد أن ينظّم جماعة ليعطي هذه الحركة أساسًـا يسـاهم فيه الشعب بأكمله، وتـمَّ تسـليم القيـادة لـه، رغـم أنّ مولانـا محمَّـد إسماعيل كان أكبر منه سنًّا؛[٢] لأنه كان يدرك أسس السياسيّة وأساليب مكافحة الإنجليز وكان يتفوّق عليه في هـذالمجال فأعـدّ السـيّد أحمـد الشهيد العُدّة وقام بترتيب جميع الخطوات الحربّية ضدّ جماعة السيخ، فلم تكن هذه الحرب ضـدّ هـذه الجماعـة؛ بـل كانـت ضـدّ الحكومـة الإنجليزيّة؛ لأن هذه الجماعـة كانـت متوإليـة للحكومـة الإنجليزيّـة وذات سيادة وطيدة في المنطقة الواقعة بين «أفغانستان» و«الهند» والتي كانت مبنيّة على أساس سفك دماء أبناء البلاد بوجه عـام والمسـلمين بوجه خاص. [٣]

---

(١) الشيخ ابو الحسن علي الندوي، **تاريخ دعوت وعزيمـت، (رجـال الفكـر والـدعوة)**، ج٥، ص ٣٧١- ٣٧٣- ٣٧٤.

(٢) المرجع السابق، ص ٣٧٧- ٣٧٨.

(٣) الداعي، السنة، ٣١، العدد، ٥-٦، ص ٨٧.

الحركة للسيد أحمد الشهيد:

ودعا السيّد أحمد الشهيد–المسلمين جميعا إلـى الـدّين الخـالص النقيّ، وأوقد في قلوبهم شـعلة الإيـمان والحماسـة الدّينيّـة الإسـلاميّة وحرّضهم علـى الجهـاد في سـبيل الله، وبـدأت هـذه الحركـة بتنفيـذ الأعمال الإصلاحيّة والاجتماعيّة الشاملة، وساهمت في تعزيـز أواصرا الصداقة والمحبّة، وقامت بتلقينهم دروس الاتحاد، كما أنّ هذه الجماعة مهما كانت تصل إلى أيّة منطقة حتى كان ينضم إليها آلاف من الشـباب ويقوم الكبار والنساء بتقديم ما يمكن لهم من مساعداتٍ بشتّى الطـرق والوسائل. واستطاعت هذه الجماعة أن تتلقّي ترحيبًا واسـعًا مـن قبـل جميع طبقات الشعب. وفي هذه الأثناء خرج السـيّد أحمـد الشـهيد مـع جماعته إلى «مكة» المكرمة، لأداء فريضة الحج، وبعد أن قدِم مـن هنـاك ظهر في عقله نور ساطع، فأصبحت مقاصد هذه الحركة متغيّرة للغايـة، حيث أصبحت ترتكـز علـى محاربـة الإنجليـز بشـتّي الوسـائل، فقـام بتدريب جماعته للبـداء بالجهـاد ضـدّ الإنجليـز ووصـلت الجماعـةإلى منطقـة «شـكار فـور» وذلـك بعـد عبـور «بنجـاب»،و«راجسـتان»، و«حيدرآباد»، حيث كانت أعداد هذه الجماعة تتضاعف مرارًا وتكرارًا، والمعدَّات الحربّية كانت تزداد أيضا؛ إلا أن خصوم السيّد أحمد الشـهيد كانوا يتضاعون أيضًا، حيث كانت جماعة «السيخ» (Sikh) تحت قيـادة «رنجيت سينغ» تحاول القضاء عليهم من جهة، والبريطانيون يحـاولون

الانقضاض عليهم من جهة أخري.[١]

كما لعب المجاهدون دورًا بارزًا في مواصلة الجهاد، حيث بذلوا قصارىٰ جهودهم لإقلاع جذوة القوّة الاستعماريّة من أرض الهند، فنجح هؤلاء الرجال في تأسيس دولة شرعيّة في حدود الهند الشماليّة الغربّية تشتمل على «بشاور» وما جاورها من المدن والقرىٰ، ونفَّذوا الحدود الشرعيّة، وطبّقوا النظام الإسلامي الماليّ والإرادي تطبيقًا دقيقًا، [٢]، واتّجهوا نحو الجهة الأماميّة إلا أنّ حاكم «بشاور» قد خانهم فانهزم المجاهدون وحاولوا أن يجعلوا «بالاكوت» مركزًا لهم فقاموا بترتيب جنودهم مرّة أخري، وكافحوا أعداءهم حيث واجهوا جنود السيخ هذه المرة، فاصطدم المجاهدون بجيش الشيخ بقيادة «شير سينغ» في وادي « بالاكوت» فاستُشهد الإمام أحمد وصاحبه الشيخ اسماعيل، وكبار أصحابهما سنه ١٨٣١م. [٣]

وقد لعبت هذه الحركة دورًا هامًّا في عمليّة نهوض المسلمين، حيث يقول «هنتر» الذي عُرف بتعصّبه وحقّده للمسلمين:

«انتشرت هذه الأعمال الشرسة في كلّ بِقاع الدّولة، فكان من الصَّعب علينا أن نُّدرك من أيّ جهة، نبدأ عمليّاتنا الإصلاحيّة حيث

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق.

(٣) غلام رسول مهر، **سيرت سيد احمد الشهيد**، كتاب منزل، كشميري بازار، **(السوق الكشميري)**، لاهور، ١٩٥٢، ج ٢، ص٤١٤.

أنه لم يكن أي أحد من أعضاء هذه الحركة مستعدًّا للخيانة بل كانوا يفضّلون الموت على هذا العمل».[١]

واعتري اليأس بعد استشهاد هؤلاء المجاهدين جمهرة سكان البلاد الذين كانوا يتذمرون من قسوة عُمّال الشركة وسوء ضيعهم، وتصاعدت مضايقات الحكام الإنجليز واعتداءاتهم السافرة على المسلمين، فبدأو يسُدُّون في وجوهم أبواب الوظائف الحكوميّة، ويجفّفون ينابيع الحياة الكريمة التي كانت تدور على المدارس الدّينيّة والمؤسسات الخيريّة، ويحاولون الاستيلاء على الأملاك والعقارات.[٢]

تشتعل الثورة من ثُكنة «ميروت»:

وفي صباح يوم ١١ / مايو ١٨٥٧م، بدأت النار تشتعل من مدينة«ميروت»لتعلن عن بدأثورةجماهيريّةضدّهذه الشركة الإنجليزيّة، فأوّدت بحياة بعض المسؤلين البريطانيّين، فكانت حقّاً ثورة جامحة لإنقاذ البلاد من عار الاستعمار الأجنبيّ وشملت أكثر نواحي الهند[٣]؛ ولكنها أخفقت لأسباب بما يلي.

(١) الدكتور، هنتر، ايل، ايل، دي، آئي، سي، ايس (بنجال)، *ہمارے ہندوستانی مسلمان*، **(مسلمو الهند لنا)**، ترجمة الدكتور صادق حسين، اكاديميّة دفتر اقبال، لاهور ١١٠ ابريل ١٩٤٤م ص ١٥٨.

(٢) **ثقافة الهند**، المجلد رقم ٤١، العدد ٢، ص ٤٠ – ٤١ عام- ١٩٩٠م.

(٣) الداعي ، السنة، ٣١، العدد ٥ – ٦، جمادي الأولي–جمادي الثانيّة ١٤٢٨ه/ مايو– يوليو ٢٠٠٧م، ص ٨٨.

عوامل ثورة الهند:

١- إنّ ثورة عام ١٨٥٧م تُعتبر من أهمّ الأحداث التاريخيّة في شبه القارّة الهنديّة، التي كانت حقّاً بدايةً عظيمة للكفاح ضدَّ الاستعمار البريطانيِّ، وقد ذُكِرت أحداث هذه الثورة في معظم الروايات التاريخيّة المشتملة على تاريخ الهند، إلا أنّه لم يتمّ التركيز على الدّور البارز الذي قام به المسلمون في هذه الثورة، التي كانت تستوجب بأن تعتبر هذه الثورة كفاحًا عظيمًا، قاده المسلمون للحصول على الاستقلال، من براثن الاستعمار البريطاني، علماً بأنّ معظم المصادرة الموجودة عن هذه الأحداث لا تحتوي إلا على ما قد ذكره أو ألّفه المؤلّفون أو الباحثون البريطانيّون، فاعتبروها بأنها عبارة عن تمرّد الجنود الهنود على شركة الهند الشرقيّة البريطانيّة فقط؛ لذا أطلقوا عليها اسم (Mutny)، حيث أن هذا الاسم لا يمكن إطلاقه على هذه الثورة إطلاقًا؛ لأن هذه الثورة قد بدأها الجنود المتمّردون حقّا، إلا أنها أصبحت ثورة شعبيّة رهيبة لمشاركة المدنيّين فيها بكلّ فعاليّة، فلم تكن هذه الثورة إلا نتيجة لقسوة موظّفي الشركة الإنجليزيّة وسوء صنيعهم مع المواطنين الهنود، فشارك فيها المسلمون والهندوس معًا، وامتد لهيبُها إلى جميع أنحاء البلاد ضدّ الاستعمار الإنجليزيّ؛ ولكن عثر حظُّ الهنود وباءت الثورة بالفشل.[1]

(١) **الداعي**، السنة، ٣١، العدد، ٥-٦، جمادي الأولي- جمادي الثانيّة، ١٤٢٨هـ/ مايو- يوليو ٢٠٠٧م، ص٨٥.

٢- وبعد حرب «بلاسي» عام ١٧٥٧م تغيّرت العلاقات التجاريّة مع الهند تغيراً أساسياً، واستطاعت الشركة بعد هذه أن تستخدم سيادتها السياسيّة في «بنغال» من أجل الحصول على السيطرة الاحتكاريّة للتجارة الهنديّة والمنتوجات البلديّة، فبدأت تنفق الأموال والعوائد التي حصلت عليها من الملوك والتُّجار في تصدير المنتوجات الهنديّة، وبدأت تنقل ثروتها الهائلة إلى «بريطانيا» ولأجل هذا أجبرت الشركة حائكي «بنغال» على أن يبيعوا منتوجاتهم بأسعار منخفضة، وكان العُمّال مجبرين أن يعملوا للشركة مقابل أجور قليلة.

٣- وعلى صعيد آخر إن الضُّباط الصّغار كانوا ينهبون الإقطاعيّين والرعيّة، ويجمعون الأموال لأنفسهم، وكان هذا الأمر عاديّاً أن يؤذي الفلاّح أو يُدخل في السجن إذا مَطَل في أداء ضرائب الأرض، وانتشر الفساد في كلّ مجالٍ من المجالات للحياة لم تشاهد لبلاد من قبل، ومن الجدير بالذكر أن الإنجليز ظلُّوا كالاجانب في بلادنا وماكانوا كالشعوب التي فتحت الهند من قبلهم كالمسلمين، فإنهم لم يرتبطوا اجتماعيّا حتى بالطبقة العلياء للهند.[1]

(١) الأخ معراج أحمد، شيخ الهند محمود الحسن الديوبند، وكفاحه في تحرير الهند، ص ٣٤-٣٥.

وفي هـذه الظـروف كـان المسـلمون والهنـدوس والعُـمّال والفلاحـون ورجـال الجـيش والإقطـاعيّون وأفـراد العائلـة الملكيّـة بائسـين، وتـدهورت الأوضـاع الاقتصـاديّة تـدهورًا، إذا رفـع هـذا الوضع الفلاّحين والصُّـنّاع إلـى وهـاد الفقـر، حتـى كـان كثـير مـن الإقطاعيين، وضبّاطُ الحكومة يواجهون الأزِمّة الماليّة، وهكذا أصـبح الميدان مهيّأ للثورة ضدَّ المستعمرين، وفي غضون هذه الأيّام قد صـدر الأمر من قِبَـل الحـاكم الإنجليـزيّ باسـتخدام الخرطوشـات بـالنزع بالأسنان، وكانت هذه الخرطوشات تشرَّب بشـحم البقـرة والخنزيـر للدَّسْم، هذا مـا أغضـب رجـال الجـيش الهنـود، فـإنهم اعتقـدوا أنّ الإنجليز هجموا على ديانتهم وأصبحت مشاعرهم مجروحـة جرحًـا شديدًا، وجعلوا يظنُّون أنَّ جميع هذه القوانين توضع من أجل إذلالهم وسلب دينهم منهم ومن مواطينهم الهنود.[١]

ومن اللافت النظر أنّ ظهور هذه الثورة الشعبيّة ضدَّ الاستعمار البريطانيِّ كانت طبعيّة، نظرا إلى النظام الحكم البريطانيِّ السيِّ الـذي أثّر سلبيّاً على مصالح جميع طبقات المجتمع الهنديِّ، كما أنّ الضرائب الكبيرة التي فرضها نظام الحكم البريطانيَّ على الفلاحين، قـد أثّـرت على أوضاعهم بشكل سيّئ للغاية، حيث أنّ الشركة الهنديّة الشرقيّة البريطانيّة لم تكن ترغب إلافي الحصول على دخل كبير جداً من البلاد

(١) الشيخ سر سيّد أحمد خـان، **اسـباب بغـاوة الهنـد، (عوامـل تـورة الهنـد)**، پبلشرز – مسلم يونيور ستي، ص٣٦.

بغض النظر عن تفاقم أوضاع هؤلاء الفلاّحين وإصابتهم بالفقر والمشاكل العديدة، كما يكتب الضابط البريطانيّ «وليم أيدوار» (William Adwar) في سنة ١٨٥٩م عن عوامل ثورة عام ١٨٥٧م.

«وكان البوليس عذّابًا للناس، وأصبحت أعمال النهب والقتل والاستغلال التي ارتكبها رجال البوليس من أكبر أسباب السخط الذي ثار تجاه الحكم الإنجليزيّ» (١)

ولاريب أن قسوة عُمّال الشركة الهنديّة الشرقيّة وسوءَ معاملتهم مع المواطنين الهنود والفقرَ المتزائد والعسرَ المتضاعف كان من أهم أسباب الاضطراب الذي أدى إلى الثورة الهنديّة، وكذلك العوامل المختلفة من الخصومة الذاتيّة والعصبيّة الدّينيّة والعاطفة الوطنيّة والدوافع الاقتصاديّة كلّها ساهمت في إثارة الثورة.

المسلمون وأوضاعهم السياسيّة والاجتماعيّة بعد الثورة

ومن الملاحظ أن الهندوس والمسلمين جميعًا قد شاركوا في ثوره عام ١٨٥٧م، وحاربوا ضدّ الإنجليز جنبًا إلى جنب، إلا أنّ الإنجليز ظنّوا أن المسلمين هم الذين حرَّضوا الهندوس على شنّ الحرب ضدّهم لأجل تحرير البلاد من براثن الأجانب، ولأن عَجَلة القيادة في

(١) الأخ معراج أحمد، **شيخ الهند محمود حسن الديوبند، وكفاحه في تحرير الهند**، ص ٣٨-٣٩.

هذه الثورة كانت تحت أيدي المسلمين الهنود، ولاشك في أنهم قد حرّضوا المواطنين الهنود على شنِّ الحرب ضدَّ الاستعمار البريطانيِّ، فلما فشلت هذه الثورة، أصبح المسلمون أبغض الناس في أعين الحكومة الإنجليزيّة، وأشدّهم على الاستعمار البريطانيّ، فقتل الإنجليز آلافًا من المسلمين، ونصبوا المشانق في الشوارع، وصلبوا عددًا كبيرا منهم على الأشجار، وعقد الإنجليز العزم على استئصال شأفة المسلمين من رُبوع الهند، فحقّاً ضاقت الأرض عليهم بما رحبت، فكذا دفع المسلمون ثمناً باهظاً لنضالهم وجهادهم ضدّهم[1] يقول الأستاذ أبو الحسن على الندوي في هذا الصدد:

«ولما أخفقت هذه الثورة، صبَّ الإنجليز على أهل الهند سوط غضبهم، وانتقموا منهم انتقاما شديدًا، وبطشوا بالهنود شعبًا وأمة، لايعرفون رحمة ولا يعرفون عدلاً ولا يعرفون حدودًا، وكانت مجزرة هائلة، جدَّدت ذكري «جنكيز» و «هولاكو» وقد قتلوا ثلاثة أبناء الملك الشبّان المأسورين-بعد ما أعطوهم الأمان والعهد والميثاق-بهمجيّة وقساوة امتعض منها كثير من الإنجليز، وشنقوا ثلاثة وعشرين من أبناء الأسرة الملكيّة، فيهم مرضي وزمني وشيوخ وعجائز، وأهانوا الملك وحاكموه محاكمة مهينة ذليلة، وكانوا

(١) السيّد معراج احمد ، **شيخ الهند-وكفاحه في تحرير الهند**، ص ٤٠.

حريصين على قتله أشنع قتلة، إلا أن ضابطًامنهم كان قد وعد أن يحافظ على حياته، ليسلّم نفسه إليه، فحكموا عليه بالنفي المؤبّد إلى «رنكون» (Rangoon) حيث مات طريدا شريدًا مقترا عليه في الرزق مضيقا عليه ودخلت الجيوش الإنجليزيّة في مدينة «دهلي» فكان تفسيرًا لقوله- تعالى «إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزّة أهلها أذلّة»-[١]

وقد كانت هذه السياسيّة متبعة في الحكومة الإنجليزيّة القائمة ضدّ المسلمين، وكان الهدف من هذه السياسة، تقليم أظفار المسلمين والقضاء على معنوياتهم، وقتل كلّ أمل يراود نفوسهم، فاتّجه الإنجليز إلى إصغاف المسلمين من الناحيّة الاقتصاديّة، وسدّوا في وجوههم كلّ الوظائف الكبيرة والصغيرة التي كانوا سابقا يفوزون بأكثرها، ووضعوا العراقيل في طريق تجارتهم-[٢]

قد بدأ الحكّام الإنجليز ينظرون إلى المسلمين نظرة الشّكّ والأحقاد، وحرموهم من الوظائف الحكوميّة في جانب، وفي جانب آخر استغلّ مواطنوا الهند غير المسلمين، تباغَض الإنجليز ضدَّ المسلمين، ونجحوا في الحصول على الوظائف والمناصب الحكوميّة،

---

(١) أبو الحسن علي الندوي، **المسلمون في الهند**، ص١٤٩- ١٥٠.

(٢) الدكتور، هنتر، ايل، ايل، دي، آئى، سي، ايس، (بنجال)، *همارے هندوستانى مسلمان*، **(مسلمو الهند لنا)**، ص ٢٤٢- ٢٤٣.

وبذلك وصل المسلمون إلى الدرك الأسفل من الانحطاط السياسيّ والاجتماعيّ.

وقال المستر «هنتر» وهو يصوّر أحوال المسلمين بعد الثورة:

«إنّ المسلمين وإن كانوا يملكون المؤهّلات والكفاءة المطلوبة لوظيفة، فانهم يمنعون عن ذلك ببلاغٍ رسميّ»-(١)

وبهذا الخصوص قال الأستاذ مسعود عالم الندوي: «من شرّ ما فعلت بهم الحكومة البريطانيّة أنها سدّت في وجوههم أبواب الرزق في دواوينها، وصادرَت أملاكهم وتركتَهم حيارىٰ، لا يدري ماذا يفعلون؟ وكيف يعيشون؟ وكادوا يصبحون عالَة على غيرهم يتكّففون ولايجدون ما يسُدُّون به رمق حياتهم-(٢)

إن الفترة التي أعقبت الثورة الهنديّة كانت فترة يأس وضيق للشعب الهنديّ بوجه عام، وللمسلمين بوجه خاص، ومن الملاحظ أنّ نصيب الشعب المسلم الهنديّ في الشقاء والبؤس كان أكثر بالنسة للشعوب الهنديّة الأخري، فقامت الحكومة الإنجليزيّة بإحراق بيوتهم وإضاعة أموالهم، وإراقة دمائهم، وإغلاق مدارسهم ومراكز علومهم،

(١) المرجع السابق، ص ٢٤٣.

(٢) الداعي، السنة، ٣١، العدد ٥- جمادي الأولي- جمادي الأخري ١٤٢٨ه/ مايو- يوليو ٢٠٠٧، ص ٩٣، نقلاً عن الشيخ مسعود عالم الندوي، **تاريخ الدعوة الإسلاميّة في الهند**، ص ١٨٤.

ففسدت أحوال المسلمين السياسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة والدّينيّة والعلميّة كلّها، فأصيب المسلمون بجمود تعليميّ واجتماعيّ وتسرَّب اليأس إلى نفوسهم وفقدوا الثقة بأنفسهم ومستقبلهم، كأنّ الدنيا أظلمت عليهم وضاقت الأرض عليهم بما رحبت.

ووصل المسلمين الهنود إلى شفاجرف من الهلاك والدَّمار، وهم كانوا سادة البلاد وقادتها أمس، حيث كان المسلمون هم الشعب الذي كان نصيبه أكبر من نصيب كلّ شعب في البؤس والشقاء الحرمان.

ومن المناسب أن أقدّم إليكم في هذاالباب ما كتب الأستاذ «خالد سيف الله الرحماني»، وقد سلّط الضوء على أوضاع الهند السياسيّة والخلقيّة والعمليّة بإيجاز وأسلوب بليغ فهو يقول:

«إن القرنين التاسع عشر والعشرين كانا من أقسى أدوار التاريخ الإسلاميّ باالنسبة للإسلام والمسلمين بعد فتنة التاتار، فقد استولى الغرب خلالهما على أكبر رقعه من رقاع العالم الإسلاميّ بعقليّته والاستعماريّة وسياسته الاستيطانيّة، وترفرت رأيات «أوربّا» على أقطار الشرق والغرب، فكانت الهزائم المتتالية في الحروى الصليبيّة وذكرياتها المؤلمة للغرب، كانت الأيّام والليالى تمر بسرعة، ولكن آلام الجروح المثخنة التي أصيب بها تجعله يضطرب ظهرًا لبطن ويتململ تملل السليم، ولذلك كان أهل الغرب واصلوا الجهود في

غزوهم الفكريّ بجانب فتح الأمصار والبلاد، واستهدفوا كلّا من حياه الرّسول-صلّى الله عليه وسلّم- وكتاب الله الخالد، والشريعة الإسلاميّة السمحة، والتاريخ الإسلاميّ الحافل بالأمجاد والبطولات، والفتوح الإسلاميّة بنقد لاذع وتحليل جائر، وأورثوا التشكيك في كلّ مايمت بصلة إلى الإسلام من علم وأذب وتراث.

وكان عدد كبير من المسلمين ينتظمون في شبه القارّة الهنديّة ولعلهم كانوا يشكلون ٤٠٪ فقريباً من سكّان العالم الإسلاميّ وكانت فيها حكومة مغوليّة ذات قوّة وسيادة، ونطام أرستقراطي، وكان لها أهميّة خاصّة في خريطة العالم الإسلاميّ، من ناحيّة الذكاء والفطنة والغيرة الإسلاميّة، وكان موقع هذه المنطقة وسط العالم الإسلاميّ.

ثم قال: كانت هذه الأوضاع والظروف تتطلّب شخصيّة فذّة عبقريّة تقوم بردّ قويّ على شبهات تثار حول الإسلام بعد وزنها في موازين العقل وتحليلها في ضوء الفطرة الإنسانيّة، ولايكون هذا العبقري ذكيّا صرفًا، وفطنًا خشنًا لا تحضّه العواطف والقيم وإنما يكون بجانب النبوع والعبقريّة ثاقب الفكر، نافذ البصيرة، رابط الجأش، متوجع الفؤاد، لا يهدأ له بال، ولايقر له قرار، لا يصبر على غوايّة الأمة، ولايقعد عن العمل، وقد أعطي جزءً من كرب الرّسول-صلّى الله عليه وسلّم- الذي وصفه القرآن ب«بخع

النفس» في قول الله -عزّوجل- (فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذ الحديث أسفا) (الكهف، الآيّة: ٦). لأن هذا هوا الاضطراب والتملل الذي يحرض الإنسان على الصبر في البلايا، والمشي على القتاد، والجد والاجتهاد، والكفاح والجهاد، وكان من الضروري أن يكون جامعًا بين عاطفة وحنان، وجدية واتزان، متحمسًا سكران في نشوة الغيرة والإباء، والأخذ بالثوابت، صاحياً يقظان في معرفة العصر، محفوظاً بالتدبير والحكمة، والاعتدال والوسطيّة في الفروع والمتغيّرات، يجمع بين الأصالة والمعاصرة والشريعة والواقع.

في هذه المرحلة الحاسمة من التاريخ برزت شخصيّة الإمام محمَّد قاسم النانوتوي الذي تتوفر فيه مواصفات عبقري عصامي، والذي لم يطل عمره، ولكنه كرّس حياته في خدمة الدفاع عن الإسلام ومقاومة الغزو الفكريّ، وأسّس حركة المدارس الإسلاميّة في الهند التي هي أقوي حركاتها وأشدها تأثيراً، وأوسعها فائدة، وأعمقها نتيجة، وأحلاها ثمرة على مدي القرنين النصرمين.[1]

وكانت هذه الأوضاع والظروف التي فيها فتح الإمام الأكبر

(١) خالد سيف الله الرحماني، **الإمام محمّد قاسم النانوتوي**، (الهند: المعهد العالي الإسلامي، حيدر آباد، ط ١، ١٤٣١ه، ٢٠١١م)، ص ٤-٥.

حجّة الإسلام محمَّد قاسم النانوتوي عينيه، وكانت هذه الأوضاع السياسيّة والاجتماعيّة التي فيها نشأ وترعرع صاحبنا هذا، وكانت هذه هي الأسباب والبواعث التي جعلته قائدًا سياسيّاً وبطلًا جريئًا في سبيل تحرير الوطن.

الفصل الثاني:
الإمام محمَّد قاسم النانوتوي: حياته وشخصيّته

من هو الإمام محمَّد قاسم النانوتوي؟

هوعالم ربانيٌّ، عبقريّ من عباقرة الأمّة الإسلاميّة، فيلسوفٌ من فلاسفة الإسلام، بطل جريئ، مجاهد باسل، مؤسس الجامعة الإسلاميّة دار العلوم ديوبند وقائد حركة تأسيس المدارس الإسلاميّة الأهليّة في شبه القارّة الهنديّة.

تاريخ ولادته:

شعبان أو رمضان ١٢٤٨ه (يناير- فبراير ١٨٣٣م) حسب ما كتبه الشيخ «محمَّد يعقوب» النانوتوي-رحمه الله- في الترجمة له، أما حسب ما سُجِّل في «بياضٍ يعقوبي» (مجموع رسائل الشيخ محمَّد

يعقوب) فتاريخ ولادته شوال (١٢٤٨ﻫ (مارس ١٨٣٣م)-[١]

نسبه:

وينتمي الشيخ نسبًا إلى محمَّد هاشم الذي تصل سلسلة نسبه إلى القاسم بن محمَّد أبي بكر الصديق-رضي الله عنه- وقد جاء من العرب إلى الهند في عهد «سكندر لودهي».

وهو الإمام قاسم النانوتوي، بن أسد على بن غلام شاه بن محمَّد نجش بكس بن علاء الدّين بن أبي الفتح بن مفتي بن عبد السميع بن محمَّد هاشم-[٢]

نشأته العلميّة:

تلقّى مبادئ القراءة في وطنه «نانوته» وقرأ بها القرآن الكريم، ثم انتقل إلى «ديوبند» وقرأ بها في كتّاب على الشيخ «نهال أحمد» مبادئ العربيّة، ثمّ انتقل إلى «سهارنفور» وقرأ بها على الشيخ ''محمّد نواز'' السهارنفوري كتب الفارسيّه والعربيّة ثم انتقل مع أستاذ الأساتذه الشيخ «مملوك العلي» النانوتوي إلى «دهلي» وبدأ يقرأ عليه

(١) نور الحسن راشد كاندهلوي، **مولانا محمّد قاسم النانوتوي، احوال آثار، باقيات ومتعلقات، (الإمام النانوتوي، احواله، وآثاره، وباقياته ومتعلقاته)**، مكتبه نور، كاندهله، مظفر نغر، رمضان المبارك ١٤٢١، ديسيمبر ٢٠٠٠م، ص ١٨٠.

(٢) المرجع السابع، ص ١٧٠.

«الكافية» في قواعد النحو وأتمّ قراءة جميع الكتب الدراسيّة عليه، وقرأ كتب الصحاح الأربعة على الشيخ شاه عبد الغني المجددي وقرأ مابقي من الصحاح الستة أي: سنن أبي داؤد والنسائي على الشيخ المحدث «أحمد علي» السهارنفوري، وبايع في التزكيّة والإحسان الشيخ الكبير الحاج «إمداد الله» التهانوي المهاجر المكي.[1]

مواهبه وأخلاقه:

كان غاية في الذكاء فطينًا، عالي الهمة جلدًا شجاعًا، مبرّزاً في أقرانه، حسن الخطّ وكان مثالاً في البساطة، صموتاً من غيرعي، متواضعاً متقشّفًا في المأكل والمشرب، ومتخشناً في الملبس والمسكن، وأحبّ شئ إلى الخمول والعزلة، وأكره شيء إليه الصيت والشهرة، وكان صبورًا على المكروه، كريماً سمح اليد مضيافًا،[2] وكان آية باهرة في علوّ الهمّة، وبعد النظر والأخذ بالعزيمة، وحبّ الجهاد في سبيل الله، شديدالبغض لأعداء الإسلام، كثير التواضع، دائم الابتهال،

(١) تقدمة الكاتب الإسلامي الشيخ نور عالم خليل الأميني، **الإمام محمّد قاسم النانوتوي، كما رأيته**، هذه ترجمة وجيزة جامعة للإمام الاكبر النانوتوي للمؤلّف السيّد يعقوب النانوتوي، وعرَّبها وعلّق عليها الأستاذ عارف جميل القاسمي، (أكاديميّة شيخ الهند دار العلوم ديوبند، محرم الحرام ١٤٣٣ه/ ديسمبر ٢٠١١م) ص ٢٦.

(٢) الشيخ ساجد حسين القاسمي، **محاورات في الدين، (تعريب مباحثة شاه جهان فور)**، (أكاديميّة شيخ الهند، شعبان ١٤٣٢ه/ يوليو ٢٠١١م)، ص ١٦.

ثابت الجأش، جيّد المشاركة في جميع العلـوم العقليّـة والنقيليّـة، كثـير الأدب مع المحدّثين والأئمة المجتهدين.(١)

وكان الحاج « إمداد الله» يقـول عنـه: «إن مثلـه كـان يوجـد في القرون الماضية المباركة»۔(٢)

وقال الشيخ«مملوك على» مرة: «إن أنهار العلوم الدّينيّـة تجـري منه بكثرة۔(٣)

قال الطبيب «منصور على خان» المراد آبادي:

«إن كبائر أرباب العلم والفضل لا يجترؤن على الـدّلائل التـي يقدّمها الإمام النانوتوي»۔(٤)

يقول الشيخ عبد الحيّ الحسني في كتابه: الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام»:

«كان أزهد الناس وأعبدهم، وأكثرهم ذكراً ومراقبة، وأبعدهم من زيّ العلماء ولبس المتفقّهة من العمامة والطيلسان وغيرهما» (٥)

---

(١) الشيخ نور عالم خليل الأميني، **علماء ديوبند اتجاهم الديني ومزاجهم المذهبي**، (مكتبة دار العلوم ديوبند، ١٤٣٣ه/ ٢٠١٢م).

(٢) الدكتور عبد الرحمن البرني، **علماء ديوبند وخدماتهم في علم الحديث**، (ديوبند، أكاديمة شيخ الهند، ط ١٤٣٢، ٢٠١١م، ص ٥٥

(٣) الشيخ أشرف علي التهانوي، **حكايات أولياء، يعني «أرواح ثلاثة»**، (الهند: المكتبة نعيميه، ديوبند، ط ٢١٣م)، ص ٢١٤.

(٤) الطبيب منصور علي خان، **مذهب منصور**، (الهند: المطبع محمود حيدر آباد)، ج٢، ص ١٧٨.

(٥) السيّد عبد الحي الحسني، **الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام**، (الهند: المجمع العلمي الإسلامي لكناؤ) ط ٢، ١٤١٤ه/ ١٩٩٣م، ج٧، ص ٣٢٠- ٣٢٢.

الإمام محمَّد قاسم النانوتوي في نظر من يعاصره:

ويصف السر سيد أحمد خان-وهو أحد أبرز معاصريه- ذكاءه وفضله ونبوغه، وزهده وتقواه وفهمه وفراسته فيقول:

«كان الناس يرون أن الزمان لن يجود بمن يداني الشيخ محمَّد إسحاق فيما كان يحمله من مواصفات وقدرات، إلا أن الشيخ محمَّد قاسم النانوتوي أكّد -بصلاحه الكبير، وتقواه وورعه وهضم ذاته- أن الله تعالىٰ قد جاء بمن يشبه الشيخ محمَّد إسحاق -بفضل دراسته في دهلي وتربيته فيها- وربّما يفوّقه بعض الشيء»-(١)

ويكتب بعد عدّة سطور: وأبغض ناس الشيخ محمد قاسم في المسائل الخلافيّة، وأبغض هو بعضًا منهم إلا أنه لا يسعنا-فيما نرى-أن نحمل تصرّفه - من بغضه لأحد أو رضاه عند أحد- على الهوى أوالشنآن والعداوة ؛ فإن تصرّفاته كلّها في مكرهه ومنشطه، كانت تابعة عن حبّ اللهّ وابتغاءرضوانه، وكان يتّبع من الآراء ما يراه حقًا وصوابًا.

لايبغض أحداً إلا الله تعالىٰ، ولا يحبّ أحداً إلا له، فلم يكن

(١) الشيخ محمّداكرام، موج كوثر [**موجة الكوثر**]، تاج برنترز ١٩٩١م، ص ٣٦٧؛ و السيّد محبوب رضوي، **تاريخ دار العلوم ديوبند**، مكتبة دار العلوم ديوبند، ١٤٣٤ه، ج١، ص ١٠٦؛ والداعي، السنة ٣٧، العدد ١-٢ محرم-صفر ١٤٣٤ه/ نوفمبر-ديسمبر ٢٠١٢، ص ٣٤.

يبغض أحداً أو يحبه لهوى في نفسه، وإنما يبغض من يبغضه، لأنه يرتكب السيئات، أو يقول مالا يرضي الله -تعالىٰ- ورسوله، وإن الحب في الله والبغض في الله مما كان يغلب تصرفاتها كلّها، وخصاله كلّها خصاله الملائكة؛ كنا جميعا نحبه من أعماق القلوب، وإن الذي يعيش حياة الصلح والتقوىٰ مثله أحقّ أن يحبّه المرء حبًّا جمًّا.

وإن الناس كلّه رُبَّما كذلك الذين اختلفوا معه في بعض القضايا يعترفون اليوم بأن الشيخ قاسم النانوتوي، كان وحيدَ دهره على وجه البسيطة، وإنه ربّما يقلّ درجة عن الشاه عبد العزيز في العلم والمعرفة، أما في غيرة من الصفات فكان فوقه ليس دونه، وإنّه إن لم يكن فوق الشاه محمَّد اسحاق الدهلوي في إنكار الذات والصّلاح والسّذاجة، فليس دونه قطعًا. إنّه يشبه الملائكة في سيرته وسريرته وخصاله الحميدة، وإن حرمان الزّمان من أمثاله ليبعث على عميق القلق والألم كلّ من يعيش بعده»۔ (١)

مؤلَّفاته:

له تأليفات كثيرة مابين تصحيح ومراجعة ولتحقيق الكتب وتأليفاته مباشرة. وقد كان له قلم سيّال منذ حداثة سنّه، وتبلغ تأليفاته أكثر من أربعين، ولكنها جميعا غيرمؤفّرة بين الناس؛ حيث ضاعت كتاباته الأوليّة وجميع تأليفاته تؤصِّل العقيدة وتؤكّد دلائل

(١) المرجع السايق.

حقّيّة الإسلام، وصحّة عقائده وانبناء أحكامه على أسس متينة من المصالح العقليّة والحكم الربَّانيّة، بحيث انها -الأحكام الإسلاميّة- تُرضي العقل الإنساني وتقنّع الفكر البشريّ، إلى جانب صدوها عن الله -عزّوجلّ- عن طريق نبيّه الأعظم سيّدنا ونبيّنا عبد الله ورسوله الخاتم محمَّد -صلّى الله عليه وسلّم-.(١)

والجدير بالذكر أنّ بعضها في نهاية من الصعوبات، والعَويصات تجاه الفهم، والإدراك، رغم كونها في اللغة الأرديّة، حتى قال شيخ الهند «محمود الحسن الديوبندي» إنّي قرأت «آب حياة» (ماء الحياة) على أستاذي المكرم «قاسم النانوتوي» درسًا بعد درس.(٢)

إلى رحمة الله:

تُوفّي «شيخ الإمام الأكبر حجّة الإسلام محمَّد قاسم النانوتوي» في يوم الخميس ٤/ جمادي الأولي ١٢٩٧ه الموافق ١٥/ أبريل ١٨٨٠م بمدينة «ديوبند»، وقد كان عمره ٤٩/ سنة ووزّي جثمانه في قطعة أرضيّة من «ديوبند» تعرف اليوم بالمقبرة القاسميّة، ودُفن في أسوارها كثير من كبار العلماء والمشايخ لدار العلوم ديوبند(٣) غفرالله له ولهم جميعا، وجعل الجنة مثواهم. آمين.

---

(١) تقدمة الكاتب الإسلامي الشيخ نور عالم خليل الأميني، **الإمام محمّد قاسم النانوتوي، كما رأيته**، ص ٣٣- ٣٤.

(٢) السيّد محبوب رضوي، **تاريخ دار العلوم ديوبند**، اكاديميّة شي الهند ديوبند، ج١ ص١٢١.

(٣) **الإمام النانوتوي كما رأيته**، ص٣٦.

الفصل الأول:
أدوار العلماء في كفاح الاستعمار البريطانيّ

لقد أدرك علماء المسلمين أن سيطرة الإنجليز على الهند والقضاء على الحكم الإسلاميّ، خطرٌ على دينهم وثقافتهم، وهذه السيطرة تؤدّي المسلمين إلى العبوديّة، وإن العبوديّة سواء كانت للأجانب أو للمستبدّين لا تجمع مع الإسلام، وإن السعي للحرِّيّة والاستقلال وحمل الشدائد والمصائب والاغتباط بالموت في سبيله، كلّ ذلك واجب المسلمين، فلما رأى العلماء سيطرةً كاملة لـ«بريطانيا» على الهند، فلم يطيقوا الصبر أن يبقي وطنهم وأبناءهم تحت الحكومة البريطانيّة الغاشمة، فقاموا برفع صوتهم ضدَّ الاستعمار البريطانيِّ، وهبوا لدفع هذا الخطر وإثارة الناس بمتنوّع المسائل.

وحينما تجرّأ مندوب الشركة الإنجليزيّة عام ١٨٠٣م، على إجبار الملك المغوليِّ «شاه عالم» على توقيع القرارات وأعلن أن الأرض لله، والبلد للملك، والحكم للشركة مشيرًا إلى أن السّلطة تكون في يد الإنجليز، [1] وأما الملك فيبقي رمزيّا بلا نفوذ، فعارض العلماء هذه الفكرة وقاموا في القضاء على سياستها الفاسدة،وبدأوا

(١) المؤرّخ السيّد محمّد ميان، **علماء هند كا شاندار ماضي، (الماضي المجيد للعلماء في الهند)،** ج ٢، ص ٤٤٧.

يوقظون في أهالي الهند الغيرةَ الدّينيّة والحماسة الوطنيّة، ويدعونهم إلى الجهاد والكفاح ضدّ الاستعمار البريطانيّ.

فقام لحماية الملك ضدّ الحكومة الإنجليزيّة «الشاه عبد العزيز الدهلوي» الذي كان خليفةً للشاه «ولي اللهؒ» في الدّين والسياسة، عند ما شاهد هذه النّكباتِ والاضطهادَ الذي حل بالمسلمين وتطلع إلى أسباب ذلك، فأعلن وجوب الجهاد ضدّ الإنجليز وأصدر الفتوىٰ بأنّ الهند بعد تسلُّط الشركة الإنجليزيّة على السّلطة الإسلاميّة، أصبحت دارَ الحرب؛ وانتشرت فتوىٰ الإمام في سائر البلاد [١]، وأخد العلماء يطوفون بالقرىٰ والأرياف لتحريض الناس على الجهاد، ولم تقتصر دورهم على الكلام الفارع؛ بل إنهم كوَّنوا جيشاً وخاضوا الحروب لإنقاذ المسلمين من الإنجليز ومن يحذوا حذوهم في قتل المسلمين ونهب أموالهم وهتك أعراضهم.

وهذه هي الظاهرة التي دفعت «الإمام أحمد بن عرفان» الشهيد إلى أن يقوم بحركته الإسلاميّة المعروفة ويقوم بالجهاد ضدّ الإنجليز والسيخ» معًا، لأن المصائب التي كان المسلمون يعانون منها، بلغت إلى حد، يتندّي له جبين الإنسانيّة وتقشعرّ الجلود.[٢]

(١) المرجع السابق ٤٤٨– ٤٤٩.

(٢) الندوي، فيصل احمد الندوي بتكلي، تحريك آزادي ميں كا كردار (**أدور العلماء في تحرير الهند**)، مجلس تحقيقات ونشريات اسلام، رمضان المبارك ١٤٢٧ه/ اكتوبر ٢٠٠٦م ص: ٣٤٨–٣٤٩؟ السيّد طفيل أحمد، مسلمانوں كاروشن مستقبل، (**المستقبل الزاهر للمسلمين**)، ص ١٣١– ١٣٢.

وكان لجهاده دور كبير في ردّ ثقة المسلمين بأنفسهم وبعث هممهم، وانتشر الدّعاة للثورة والجهاد ضدّ الإنجليز في سائر أقطار الهند لإلهاب الشعور والضرب على الوتر الحسّاس.

يقول مستر «اي، سي، بيلي» سكر تير الحكومة:

«إن الجنون الدّينيَّ المستمدّ من القرآن الكريم قد اشتعل إلى أقصي حدّ، وبدأ الخطر الأكبر من ثورة المسلمين التي ألهبها العلماء المتعصّبون الغاصبون على الإنجليز،بمالهم أثركبيرعلى العوام الجهلاء»- [1]

وعند ما انعلت الثورة فعلاً في عام ١٨٥٧م، فقام الشيخ محمَّد قاسم النانوتوي والشيخ رشيد أحمد الكنكوهي وأصحابهما بدورٍ كفاحيٍّ في ميدان «شاملي» وبعد جهودهم قاموا بإنشاء «جامعة» «ديوبند» والمراكز الأخرى، ليستخدموا أساليب جديد لمطاردة الإنجليز.[2]

قد قيّض اللهّ شيح الهند «محمود حسن» للقيام بخطّة سياسيّة عُرفت بخطّة الرسائل الحريريّة ولم يزل تلاميذه يساهمون في حركة التحرير ومطاردة الإنجليز في حياته وبعد وفاته، وقد اشتهر من بينهم «المفكّر الإسلاميّ عبيد الله السندي» و«الشيخ محمَّد منصور الأنصاري»، وكلاهما قدهاجرا إلى «كابول» لتحقيق خطّة شيخهما

(١) المصدر السابق ، ص ١٤٦.

(٢) البرني، الدكتور عبد الرحمن البرني، **علماء ديوبند، وخدماتهم في علم الحديث**، أكاديميّة شيخ الهند دار العلوم ديوبند، شوال ١٤٣٢ه/ سيتيمبر ٢٠١١م، ص ٥٩- ٦٠

وثالثهما «المجاهد الباسل الشيخ حسن أحمد المدني»، وقد شارك في الحركة أمثال الشيخ أبي الكلام، والشيخ محمَّد على،[1]، والشيخ عبد الباري وغيرهم؛ واستمرُّوا في جهودهم ، حتى استقلت الهند في عام ١٩٤٧م، وأدّوا الأمانة التي حملها من الشيخ محمود حسن الديوبندي الذي حملها من العالم الكبير محمَّد قاسم النانوتوي.

الفصل الثاني:
الجهودالمثمرة للإمام الأكبر محمَّد قاسم النانوتوي في الحرّيّة والاستقلال

أنجبت بلاد الهند علماء أبطالاً، ودعاةً مصلحين، كانوا عباقرة الزَّمان، ونوابغ العصر، وقام هؤلاء العلماء المسلمون بيطولات وخدمات عظيمة، والآثار التي تركها هؤلاء العلماء الأبطال تدلّ على أمجادهم وخَدَماتهم الجليلة ومجهوداتهم الجبابرة في سبيل تحرير البلاد، فإن تاريخهم العِملاق الحافل بالكفاح والجهاد ومواقف البطولة والقيادة، يوفّر لهم من الدلائل والبراهين الساطعة في جميع مضامير الحياة.

وإذا تساء لنا من هو الرجل الذي نهض في القرن التاسع عشر

(١) **الداعي**، العدد الخاص المئوي، ص ١٤.

ببناء تاريخ المسلمين الثقافيَّ في الهند، وأدرك خطر الرَّدَة والإلحاد الذي أحاط بهم من كلّ جانب، ورأى أن الجيش الإسلاميَّ يكاد يقع فريسةً لهٰذا الخطر الداهم فشمّر للهّٰ عن ساق الجدّ؟

وإذا تساء لنا من هو ذلك البطل العظيم الـذي صـمد في وجـه هذا الطوفان، وقام سداً منيعاً أمـام السـيل الجـارف، حتـى الباطـل، وانتصر للحقّ، وصان المجتمع الإسلاميُّ من كـلّ خـط محـدِق بـه في القرن التاسع عشر الميلاديّ؟

وإذا تساء لنا من الذي فتح الله عليه باباً من العلـم واليقـين، وشرح صدره لخدمة العلم والدّين في هذه البلاد التي كان الإنجليـز قـد اسـتولوا عليها وأرادوا أن يحوّلوها من دولة إسلاميّة إلى مراكز مسيحيّة؟

وإذا تساء لنا عن هذا وعن ذلك، لكـان الجـواب أنـه هـو الإمـام الأكبر محمَّد قاسم النانوتوي، ذلك العـالم الجليـل الـذي يُعـدّ في طليعـة رجال التاريخ وبُناة المجد، ودُعاة الحقّ في القرن الثالث عشر الهجريّ.

وقد أكرمه الله بأنواع من الكفـاءات والمواهـب التـي سـاعدته كثيرا في أداء دور الباطل المغامر في معركة الحقّ والباطل. فبرز الإمـام النانوتوي على مسرح التـاريخ الإسـلاميِّ في الهنـد، كعـالم كبـير لـه يدطولي في الدّعوة والجهاد، ونظرة أوسع في دقـائق العلـوم ومعـارف الكتاب والسنّة، وحكمةٌ بالغة في الجمع بـين خـير الـدّين والآخـرة،

عاش حياته كلّها يخدم الدّين ليذكّر المسلمين بمانسوه من رسالتهم ودعوتهم. وخاض سياسة الهند، لتكون كلمة الله هي العلياء يطرد الإنجليز عن ساحة سياسة البلاد فيعود الحقّ إلى صاحبه ويتمكّن الشعب المسلم الهنديّ من بناء وطنه حسب ما يقتضيه دينه- [1]

ولايخفى على الذين لهم إلمام بالثقافة الإسلاميّة الهنديّة، والحركات والثورات الإسلاميّة القائمة في الهند في الأوانة الأخيرة أن العلاّمة محمد قاسم النانوتوي، كان نابغة من نوابغ عصره وعبقرية نادرة من عباقرة زمنه، وبطلاً جليلاً من أبطال الإسلام الذين جا هدو في الله حقّ جهاده وسعو في خدمة الدين والإسلام سعيًا بالغًا مشكورًا، وبذلوا له جهدًا جهيدًا أكيدًا. [2]

نتائج ثورة التحرير الهنديّة عام ١٨٥٧م :

وكان الإمام النانوتوي شابًّا ينا هز عن٢٦ سنة من عمره، وكان يعمل في مطبعة الشّيخ أحمد على السهارن فوري في ''دهلي'' ويذهب إلى وطنه بعد كل ثلاثة شهور لزيارة والديه، يومًا جاء إلى وطنه زيارة لهما. فسمع الثورة في ثكنة مدينة ''ميروت''[3]

(١) البرني، الدكتور عبد الرحمن البرني، **علماء ديوبند وخدماتهم في علم الحديث**، ص ٥٦- ٥٧؛ والداعي العدد الخاص المئويّ، ص ٤٥.

(٢) عبدالمحيط الندوي، **المفسر عبد الماجد الددريابادي**، (الهند مؤسّسة الصدق لكناؤ د. ط، ١٤٣ه/ ٢٠٠٩م)

(٣) الأدروي، **مولانا قاسم النانوتوي، حياته ومآثره**، ص ٧٧.

وثارت الجنود الإنجليزيّة في ما يو سنه ١٨٥٧م بعد ما جـرَّب الهنديّون الحكمَ الإنجليزي وغطرسة الإنجليز وانتهابهم لثروة البلاد، وقلة احتفالهم بالعاطفة الدّينيّة وكرامة أهل البلاد، وانتشرت الثـورة في الهند انتشار النار في الهشيم، فكانت ثورة شعبيّة عامـة ساهم فيهـا المسلمون والهنادك سواءً بسواء وتوجّه الثوار إلـى دهـلي مقـرّ الملـك المغوليّ الأخير «سراج الدّين بهادر شـاه» - [1]وجعلـوه قائـدًا للثـورة، ورمزًا للوطنيّة الموحّدة والكفـاح الشـعبي، ونـادوا بـه ملكـاً للهنـد، وقاتل الثوار في كلّ بُقعة من بِقاع الهند تحت رأيتـه وباسـمه، ينظـرون إليه كزعيم للجهاد الوطنيِّ والدّينيِّ، وينظرون إلى «دهلي» كعاصـمة الحكومة الهنديّة الدائمة إلا جماعة السيخ وبعض الأمراء الـذين قمـع الإنجليز بهم هذه الثورة، رغم أن هذا الإمبراطور لم يكن علـى يقـين تامٍ من نجاح هذه الثورة أو واثقاً من قدرته علـى لعـب دور بـارز في هذه الثورة، فقد استطاعت هذه الثورة أن تسيطر على مدينة «دلهـي» وقُتِـلَ «سـايمون فـراسر» (Simon Faraser) الوكيـل السـياسي الإنجليـزي وبعـضُ الإنجليـز الآخـرين، ودُمِّـرت المكاتـب العامـة والمؤسّسات الحكوميّة، علما بأن ثورة التحرير الهنديّـة عـام ١٨٥٧م، كانت ثـورة غيرناجحـة ، إلا أنهـا كانـت بدايـة جهـد بطـوليٍّ لإزالـة

(١) السيّد ابو الحسن علي الندوي، **المسلمون في الهند**، ص ١٤٧.

الاستعمار البرطانيِّ. كما أن احتلال مدينة «دهلي» وعرض الإمبراطور «بها دور شاه ظفر» كإمبراطور للهند أعطي هذه الثورة دواعيَ سياسيّة إيجابيّة للتمرُّد والعصيان، وأوجد منا خًا جديدًا لتجمع هؤلاء المتمرّدين، وتذكر الأمجاد الماضيّة للإمبراطور المغليّة. (١) ولا تسأل عما حدث فيها حينما وصلوا إليها، قد تحوّلت «دهلي» إلى ساحة الحشر، وضاقت على الإنجليز بما رحبت، وسرعان ما انتشر نبؤها، وهبت عاصفة لثورة هوجاءَ في أرجائها، فلم يكن غنيٌ ولا فقيرٌ، ولا عالم، ولاجاهل، ولارئيس، ولامرؤوس ممن كانت قلوبهم مطويّة على الحقّد والكراهيّة بالنسبة إلى الحكومه الإنجليزيّة، إلا وقد ساهم فيها بنفسه ونفيسه. (٢)

خطط البرلمان البريطاني:

قبل نشوب هذه الثورة، استولى الإنجليز على كرسيّ الحكم في البلاد، رغم أن الملك المغوليَّ الأخير «بهادر شاه ظفر» كان جالساً على كرسيّ الحكم في القلعة الحمراء»؛ ولكنه كان ألعوبة في أيدي قوّة الإستعمار وضبّاط الحكومة البريطانيّة وكان مسلوب الإرادة لا يستطيع أن يتحرّك بدون إذن من هؤلاء الضبّاط، ولا أحد يستطيع أن

(١) الداعي، السنة، ٣١، العدد ٥ - ٦، جمادي الأولي- جمادي الثانيّة ١٤٢٨ه، ص ٨٩.

(٢) الكاتب الإسلامي نور عالم خليل الأميني، **علماء ديوبند اتجاهم الديني ومزاجهم المذهبيّ**، الجامعة الإسلاميّة دار العلوم ديوبند ١٤٣٣/ ٢٠١٢م- ص ٢٧٢.

ينبس ببنت شفة ضدّ القوانين التي تضعها هذه الحكومة الظالمة الطاغية، وكانت حكومة المسلمين في البلاد تلفظ أنفاسها الأخيرة، وقد صادق البرلمان البريطانيُّ على قانون إكراه الهنود بالحكومة؛ بل اختار لذلك طريقة أخرىٰ، وهي إرسال المبشرين المسحيين والمستشرقين إلى الدولة الهنديّة؛ [١] بالإضافة إلىٰ ذلك أنّ الحكومة البريطانيّة قدأسّست مراكزفي«لندن»لتربية وإعدادالمبشّرين المسيحيّين، حيث تهتمُّ الحكومة البريطانيّة بتعليمهم اللّغات الشرقيّة، مثل الأرديّة، والفارسيّة، والعربيّة، كما تهتمُّ بتعليمهم طرق المناظرة مع العلماء المسلمين الذين تخافهم الحكومة، ولا تخاف أحدًا غيرهم، وقد تخرَّج من هذا المركز التربويّ آلاف من الرّهبان كانوا متمكّنين من آداب وعلوم المناظرة مع العلماء المسلمين.[٢]

بعثت الحكومة البريطانيّة إلى الهند كثيرا من المبشّرين لغزو المسلمين الهنود في دارهم، والقضاء على الهويّة الإ سلاميّة. وكانوا لا يخافون أحدا في ذلك، ويقفون كلَّ يوم على سلالم المسجد المشهور في «دهلي» ويعترضون على عقائد الإسلام لإحداث الشكوك في قلوب المسلمين الذين لا يعرفون روح الدين لعدم معرفتهم لغة القرآن والسنّة، ويستعملون في خطبهم الكلماتِ المسيئة إلى رسول الله ﷺ،

(١) الدكتور محمّد أويس الصديقي النانوتوي، **الإمام الاكبر محمّد قاسم النانوتوي وجهوده في إعلاء كلمة الله**، ص ١١٩ – ١٢٠.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٣٤.

الأمر الذي كان يثير غيرة المسلمين حتى الفسَّاق منهم؛ ولكن لا أحد أن يستطيع أن يمنعهم من هذه الإهانة إلى جانب هؤلاء العلماء المبشِّرين المسيحيين.[١]

المناقشة بين «الشيخ رحمت الله» والقيس «فيندر»:

وقبل نشوب هذه الثورة المعروفة بثلاث سنوات، جرت مناظرة مشهورة بين «الشيخ رحمت الله» الكيرانوي (المتوفّى١٣٠٨ه) صاحب كتاب إظهار الحق ومؤسّس «المدرسة الصولتيّة» بمكة المكرمة، وبين الراهب الإنجليزيّ «فيندر» وهذه المناظرة ماكانت مناظرة علميّة فقط؛ بل كانت بمثابة خوضٍ في الجهادمع الإنجليز، لذلك ذهب «الشيخ رحمت الله» إلى مكان المناظرة حاملاً كفنه معه، وذلك لأن المجادلة مع هؤلاء الرهبان والتبشيريّين المسيحيّين والجواب بينهم، كان في الحقيقة تحدّيا سافرًا للحكومة المترامية الأطراف التي لا تغيب الشمس في دولتها آنذاك ولا يمكن تجنّب الإجراءات الثأرية من قبل الحكومة لمن كان يتحدّى هؤلاء الرهبان ويناظرهم؛ ولكنه تصدى لهم وتحدّاهم للغيرة الإيمانيّة، والجذوة الإسلاميّة التي كانت مشتعلة في قلبه، بدون التفكير في العواقب، وطرد ذلك القسِّيس الماكر من البلاد.[٢]

(١) المرجع السابق، ص ١٢٠.

(٢) المرجع السابق، ص ١٢٢.

الحكومة تعضّد القساوسة:

وكان المسلمون يرون رأى العين، بأن البوليس كان يصاحب الرّهبان عند ما كانوا يذهبون إلى الأحياء السكنيّة المسلمة لنشر المسيحيّة ودعوتهم إلى اعتناقها، وأمرت الحكومة كلّ ضابط المفخر أن يزوّد هؤلاء الرّهبان بالشرطيّين عند ما يذهبون إلى الأحياء السكنيّة المسلمة لدعوتهم إلى المسيحيّة؛ لذلك كان هؤلاء الرّهبان يذهبون دون أن يخاف أو يتردّد أو يرتبك إلى المعارض والمهرجانات والاحتفالات التي تُقام من حين لآخر في الميدان الهنديّة، ويلقون خطبهم المسمومة، ويحاولون فيها عامّة إثارة الشّكوك في قلوب المسلمين حول العقائد الإسلاميّة، والنيل من كرامة سيّد البشر.[1]

القرار النهائي:

وإلى جانب هذه المحاولات لنشر الدّيانة المسيحيّة، أعدّ الراهب الكبير «أي أيد ميند» مكتوبًا بعد التّشاور مع القائمين على شرِكة الهند الشرقيّة، وطبع من قِبَل الحكومة، ثم أرسلتها الحكومة إلى جميع العاملين في المكاتب الحكومة الرسميّة، إلى العاملين الهنود في شركة الهند الشرقيّة، وقد نقل «السيّد أحمد خان» (المتوفّى ١٣١٥ه)

(١) المرجع السابق، ص١٢٣.

بعض الجمل من هذا المكتوب في كتابه «أسباب بغاوه هند» (أسباب الثورة الهنديّة): وهو يقول:

«في عام ١٨٥٥م بعث الراهب المشهور «أي أيد ميند» من عاصمة البلاد «كولكتا» رسائل إلى عامة النَّاس وإلى جميع العاملين في المكاتب الرسميّة، وأخبرهم بأن الإنجليز قد استولوا على جميع مناطق البلاد، والحكومة واحدة في جميع أنحائها، واتحدت الأخبار بالنظام اللَّا سلكيِّ الإلكترونيِّ، لذلك يجب أن تكون الدِّيانة واحدة لجميع السُّكان الهنود، وهي الدّيانة المسيحيّة»[1].

رغم أنه لاتوجد شدّة في الأسلوب لهذا المكتوب؛ ولكن العاملين في المكاتب الرسميّة اعتبروها أمرًا إجباريا من قِبل الحكومة ، للظروف المتوتِّرة السّائدة في البلاد، وظنّ جميع العاملين في المكاتب الحكوميّة بأن الحكومة تُجبرهم على اعتناق الدِّيانة المسيحيّة، والحقيقة إن هذا المكتوب كان نقطة انطلاق للجبر والإكراه على الهنود لاعتناق الدِّيانة المسيحيّة.[2]

قلق الإمام النانوتوي لحالة المسلمين في الهند:

وكان الإمام يخاف الارتداد الفكريّ للمسلمين، ولذلك كان حريصاً على إخراجهم من الظلمات إلى النور، وإنقاذهم من الوقوع

(١) المرجع السابق، ص ٢٣٥-٢٣٦.

(٢) المرجع السابق.

في المهالك نتيجة ذلك الإرتداد الذي كان الاستعمار يحاول أن يغرسه في الأذهان، وكان حريصًا أشدّ الحرص على إيمان الناس، بحيث لا يهدأ له بال لا يقرّ به قرار وكان فضيلته حينئذ ساكتًا، صابرًا، مكتوف الأيدي؛ ولكن روحه كانت تزداد تألُّمًا، وكراهيته تتضاعف، ويشعر بضيق وقلق لحالة الإنسانيّة والأمة المسلمة وهذا هو حال المؤمنين المخلصين؛ ولكنه بقي هو وأصحابه يصبرون على ذلك كلّه، لا يتدخّلون في الشؤن السياسيّة في أقوالهم ولا في نشاطاتهم.

الخطر الدّهم للحفاظ على كيان المسلمين:

كانت هذه هي ظروف البلاد التي تُقلق هؤلاء العلماء المخلصين وتقضّ مضاجعهم، وكانوا يحسّون بالخطر الدهم بكيانهم، والهويّة الإسلاميّة في البلاد، ويدركونه أن الخطر البالغ الذي أحاط بالكيان الإسلاميّ في الهند أكبر من الخطر الذي أحاط بأجسامهم فيها، وأن أعداء الإسلام يتربّصون بالأمة الإسلاميّة الدوائر، وهم على وشك الهجوم على الهويّة الإسلاميّة، والثوابت الدّينيّة، فكانوا يفكّرون في الحفاظ على الكيان الإسلامي والهويّة الشرعيّة في البلاد، ولا يهتمّون كثيرًا بالدفاع عن الحكومة المغوليلة المسلمة. [1]

المديريات الغربيّة تُستغرق في الثورة:

ومن المعلوم لديكم أن ثورة ١٨٥٧م هذه اشترك فيها كلّ

(١) المرجع السابق، ص ١٢٤.

هنديّ من الهنديين، بجميع ما كان في وسعه من آلاته ومواهبه؛ لأن كلّ قلب كان مصابًا بجُروح الإجراءات العدوانيّة التي قامت بها حكومة الإنجليزيّة الطاغة؛ لكي تغمُر هذه الديارُ الشقاوة، والتعاسة، والشناعة، وتتخلّف رجالها عن كلّ مجال من المجالات الإنسانيّة، بما فيه من التعليم، والتربية، والتزكية والتصفية، والصّناعة، والحرفة، والتجارة، ومثل ذلک من الشّئون الدينيّة والدنياويّة- فدمَّرت الفصول العلميّة، واحتلت جميع الأرض الموقوفة للتعليم بيدها في سنة ١٨٣٨م[١]؛ ومعمورًا بالحقّد والبغض، والكراهة، والنفور، بالإضافة إليها؛ ولكن تلقَّت المديريات الغربّية لولاية «اترابراديش»- «سهارنفور»، و «مظفر نغر»، و «شاملي»-بأشدّ التأثّر بهذه الثروة من كلّ ولايات ومديرياتٍ. [٢].

حكم البوليس بالشنق على رجل:

والجدير بالذكر أن كانت عائلة إقطاعيّة كبيرة في «تهانه بهون»، تعدّ من أهل الثروة والتموَّل، وفيها أخوان: هما القاضي «عبد الرحيم»، والقاضي «عنايت على» فيومًا ذهب القاضي «عبد الرحيم» إلى «سهارنفور» لشراء الفيل من السُّوق، وكان للبقّال حقدٌ،

(١) الشيخ السيّد حسين المدني، **نقش حياة**، مكتبة شيخ الإسلام ديوبند، ٢٠٠٧، ص ١٨٧- ١٩٠ ملخصًا.

(٢) الأدروي، **الإمام النانوتوي، حياته ومآثره**، ص ٧٨.

وبغضٌ، وعداوة بهذه العائلة، وكان أقام بـ «سـهارنفور» بالمصـادفة، فانتفع بهذه الفرصة الثمينة، وبلغ إلـى حـاكم مديريّـة «سـهارنفور»، اسمه «بنكهي» وكان مأمورًا بتعذيب البغاة- خبر اشتراكه وعائلته في هذه الثورة بالكذب، وأيضا قال: إنه جاء هنا إرسالاً للنَّجْـدات إلـى «دهلي» بشراء الفيل، فداهم البوس السُّوق، وبادر إلى إلقـاء القـبض عليه، وشنقه دون أن يتوجّه إلى تحقيق وتفتيش [١] وعند ما بلـغ أخـاه الكبير القاضي «عنايت» نبأ هذه الحادثة المؤلمة، ثـارت شـعلة الثـأر في قلبه، وحلف بأنـه لا يقعـد مطمئنًـا في البيـت، حتـى يأخـذالثأر مـن الإنجليز الظالمين، وزوّد بعضًا من رجالـه بالأسـلحة، وجعـل ينتهـز فرصة حسنة من الفرص لأخذ ثأر أخيه من الإنجليز. [٢]

مجلس الاستشاريّ لرجال الدّين:

ففي هذه الطروف المقعدة والأوضاع الحرجة المربِكـة، اجتمـع تلاميذة مدرسة «الشاه ولي الله»، وأتبـاع السـيّد أحمـد الشـهيد المسـتر شدين بطريقه يفكّرون في القيـام بعمـل ايجـابيّ، وأتبـاع السـيّد أحمـد الشهيد لم يكفوا عن الحرب والجهـاد منـذ استشـهد، فـلا عجـب أن ينتهزوا هذه الثورة العامة، ويخوضوا أغمارها. [٣]

(١) الشيخ عاشق إلهي، ميروتي، **تذكرة الرشيد**، دار الكتاب ديوبنـد، ٢٠٠٢م، ص ١١١، من الهومش للأستاذ نديم الواجدي؛ الأدروي، **الإمام النانوتوي، حياتـه ومـآثره**، ص ٧٨.

(٢) المرجع السابق.

(٣) الدكتور، عبد المنعم النمر، **تاريخ الإسلام في الهند**، ص ٤٤١؛ **الجريدة**، الداعي، العـدد الخاص المئويّ، ص ١٣؛ والشيخ حسين أحمد المدني، **نقش حياة**، ص ٥٥- ٥٦.

اجتمع من هؤلاء العلماء الربّانيّين الكبار-الحاج امداد الله، والحافظ ضامن، ومولانا محمَّد- وبحثوا في أمر قيامهم بثورة ضدّ الإنجليز؛ ولكن رأى مولانا محمَّد ، كان يقضي بالامتناع عن ذلك، لعدم الاستعداد، وعدم وجود أسلحة توازن مافي الأيدي من الإنجليز وكان غيره من العلماء لايفكّرون في قضيّة الاشتراك في هذه الثورة فقط؛ بل كانوا يفكّرون في قضيّة الاستعمار بجميع جوانبها، ويستعرضون الأوضاع السّائدة في البلاد آنذاك من منظور اسلاميٍّ- [1] .ولإزالة هذا الخلاف استدعوا مولانا محمَّد قاسم النانوتوي، ومولانا رشيد أحمد الكنكوهي، وكانا من تلاميذ مدرسة «الشاه ولي الله» أيضًا، ومن كبار العلماء الربّانيّين كذالك، ولما قال مولانا محمَّد لا توجد لدينا أسلحة توازي مافي أيدي الإنجليز، قال الإمام قاسم النانوتوي: «ألا توجد عندنا أسلحة، مثل ماكانت في أيدي أهل بدر؟» قالوا: «نعم كفي، ولنا في رسول الله -ﷺ- أسوة حسنة، وشمّروا عن سواعدهم». [2]

القرار المحتوم الحاسم عن الجهاد ضدّهم:

وكان العلماء توصّلوا إلى أنه من الأجدر بذل الجهود للقضاء

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق.

على الاستعمار الإفرنجيِّ قدر المستطاع، وإن لم تنجح الجهود في القضاء عليه، فلا تذهب التضحيات سُدًى - إنشاء الله-؛ بل يمكن بهذا الطريق على الأقل، إضعاف هذه الحكومة من الداخل، ومنعها لتحقيق ما أرادته من القضاء على الهويّة الإسلاميّة والمسلمين، فالإشتراك في هذه الثورة كان وفقاً للأحكام الشرعيّة، وكان هذا هو ما توحي به القلوب المضطربة لهؤلاء العلماء المخلصين.[1]

الإمام محمَّد قاسم النانوتوي، استنكاره من الإفرنجيّة:

وكان الإمام النانوتوي يكره الإنجليز الذين تناولوا المسلمين بكلّ نوع من الإيذاء، والعذاب الجسديِّ، والروحيِّ؛ لترسيخ سُلطتهم الغاشمة في هذه البلاد أشدّ الكراهة، كما يدلّ عليه عبارة كتابه «هداية الشيعة» التي رمز بها إلى اتجاهات الناس الطبيعة، وهي أن الإنجليز يتنفّرون عطرًا نفيسًا، ويرغبون في كامُخ السمك الذي فارق بشمه المخ، حتى الروح، وذكر بعدها تفرح حشرات البراز في الأقذار، وتعيش فيها هدوءً وسكونًا ، وتموت إن تشمّ الطيب.[2]

الإمام النانوتوي كيف لايقدِّم قدميه إلى إبطال المساعي

(١) الصديقي، محمّد أويس الصديقي، **الإمام الأكبر وجهوده في إعلاء كلمة الله**، ص ١٢٤.

(٢) الكيلاني، **سوانح قاسمي، (سيرة الامام النانوتوي)**، ج ٢، ص ٨٣.

المخطَّطة الإنجليزيّة التي تهدف إلى إبادة الإسـلام، وإهـلاك الـدّين، واستيصاله، ولا يؤثّر المسـاهمة في الحركـة التـي أسّسـها «سـيّد أحمـد الشهيد» و«اسماعيل الشهيد» لتحرير الهنود واستخلاص الـوطن مـن رِبقة الإنجليز العبوديّة [١] وقد يُعدُّ مـن رسـالات الإسـلام الألوهيّـة تخليص الإنس من العبوديّة الإنسانيّة، والنضالُ للحقّ- [٢]

كما قال «ربعي بن عامر» في حضرة «رستم» قائـد الجيـوش الفارسيّة، وأميرهم، وهو يلقي الضوء إلى هدف حضوره فيها.

«الله ابتعثنا لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبـادة الله، ومـن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام».

ويمنع القرآن من تحمـل هجمـة تهـدف إلـى محـو الإسـلام ، وفرض غيره من النظام على المسلمين؛ بل يأمرهم ببـذل المجهـودات بأسرها في مكافحة الظلم، والاضطهاد، ضدّ كلّ من يسلُب حقّـوقهم الإنسانيّة، ويخلّي أنفسهم عن ملكياتهم الشرعيّة، وينهاهم عن العمـل بالدّين في حياتهم اليوميّـة، ويهـدم أنظمـتهم الاجتماعيّـة، ويتعقّـبهم بمجرد كونهم مطيعين للإسلام أشدّ الأمر.

«وقاتلوا في سبيل الله الذيق يقاتلونكم ولا تعتدوا، إن الله يحبّ

---

(١) الأدروي، **الإمام النانوتوي، حياته ومآثره**، ص ٨١- ٨٢.

(٢) الكاتب الإسلامي أبو الكلام آزاد، تحريك آزادي (**حركةالتحرير**)، زمزم بريس دهلي، يوليو ١٩٨٨، ص ١٤.

المتقين ط إلى واتقوالله مع المتقين ط» [سورة البقره، ١٩٠-١٩٤][١]

فأبرم الشيخ النانوتوي قضاء الجهاد ضدّهم في قلبه.

يختار الشيخ النانوتوي أمير الجيش للجهاد الإسلاميّ:

كما علم أن هؤلاء العلماء المجتمعين لحل هذا اللُّغز الغامض، قد تطرّقوا بعد تفقّدهم جميع الظروف، والأوضاع، إلى قضاء الجهاد، ضدّ الإنجليز، وضدّ الحكومة الطّاغية التي كان عنانها في أيدي الإنجليز مع جلوس ملك مسلمٍ على عرشها، ثم دار الحديث في ما بينهم حول شرائط الجهاد؛ فما أوضح لهم الشيخ محمَّد قاسم النانوتوي شرائط الجهاد الإسلاميّ فقط؛ بل أقنع جميعهم بهذا القضاء بالحجج، والدلائل-[٢]

وفي نهاية هذا المجلس أثار بعض من الناس قضيّة إمارة الجيش الإسلاميِّ في الجهاد؛ ولكن ما كان هذا هراءً، وسُدًي؛ بل موافقًا للشرع الإسلاميِّ؛ لأنه شرط أولي في باب فرض الجهاد، فسكت الناس سكوتا مطبقًا إلى ساعة قليلة، فإذا هو بالذي كان بعيد النظر

(١) السيّد أبو الأعلي المودودي، مركزي مكتبة اسلامي ببلشرز دهلي، اكتوبر ٢٠١٢، ص ٤٩.

(٢) الشيخ الكيلاني، **سوانح قاسمي، (سيرة الإمام النانوتوي)**، ج ٢؛ ص ١٢٢- ١٢٣- ١٢٤؛ و الأدروي، **الإمام النانوتوي: حياته ومآثره**، ص ٨٢؛ والصديقي، **الإمام الأكبر ومجهوده في إعلاء كلمة الله**، ص ١٢٤.

ومتّسع الفكر، حل هذه القضيّة المهمَّة في ساعة، وقال: «كيف التأخير في تقرير الإمام؟!!»(١).

قد وجدنا أميرنا في هذا الجهاد -وهو الشيخ إمداد الله- (المتوفّى ١٣١٧ه) فنجعله أميرًا للجهاد، ونبايعه»، وكان هذا الاختيار على محلّ سدّ في حقّ كلّهم باب الإنكار، والتسويف، والتفكير؛ لأن كلّهم كانوا يحترمونه، ويجلونه(٢) فقالوا: إنّك لسيّدنا الدّيني، فلذا نريد أن تحمّل عبأ أنظمة الحكومة الدنيويّة، وأن تقوم بحلّ قضايانا، ومسائلنا، بعد أن تكون أميرنا(٣) فظلَّ الشيخ المكّي مسئولا شرعيا، وقاضيا اسلاميا، في سائر قضاياهم الجنائيّة والمدنيّة(٤) وبدأالناس يبايعونه بيعة الجهاد، ويعدّون أنفسهم للخوض في المعارك مع الإنجليز الغاشمين-(٥)

قسمة الوظائف النضاليّة بين العلماء الربانيّين:

وبعد اتخاذ القرار في الجهاد الإسلاميّ، أعدّ المسلمون للجهاد، وزوَّد المجاهدون بالأسلحة الواجبة، فشمَّر هؤلاء العلماء الأبطال عن سواعدهم وكوَّنوا الجيش الإسلاميَّ، واختاروا الحاج امداد الله

(١) الشيخ الكيلاني، **سوانح قاسمي**، (**سيرة الإمام النانوتوي**)، ج ٢، ص ١٢٣- ١٢٥.
(٢) الأدروي، **الإمام النانوتوي، حياته ومآثره**، ص ٨٣-
(٣) الشيخ عاشق الهي الميروتي، **تذكرة الرشيد**، ج١، ص ١١٣- ١١٤.
(٤) الشيخ محمّد أكرم، **موج كوثر**، ص ١٩٥.
(٥) الصديقي النانوتوي، **الإمام وجهوده في إعلاء كلمة الله**، ص ١٢٥.

المهاجر المكي إماماً للمسلمين، والشيخ محمَّد قاسم النـانوتوي قائـداً للقوّات المسلَّحة ورئيس أركان الجيش، والشيخ رشيد أحمـد قاضـياً، والشيخ محمَّد منير والحافظ محمَّد ضامن قائدين على الميمنة والميسرة، وكانوا جميعًا محل ثقة من العامّة، فاجتمع المجاهدون حولهم مـن كـلّ ناحيّة من أنحاء البلاد، وأتوا بأسـلحتهم، وكانـت كلّهـا مـن الطّـراز القديم، وكانوا يتدرّبون على الفنون الحربّية من قبل-[1]

العلاقة بين القلم والسيف:

من الممكن أن يظنَّ شخص أو يخطر بباله خيال بعدم تمكّن العلماء من حمل السيف والبنادق، وفقدان القوّة من نضال الأعداء، بـالرغم مـن أنهم كانوا مسلّحين بالسيوف والبنادق والمدافع حديثة الطّراز، وبجميـع ما تحتاج إليه الحرب، أو يهجس في قلبه فكر بـأن العلـماء كيـف يقـابلون المدافع بالسيوف، والخرطوشات بالبنادق القديمـه، أو يجـول في صـدره بأنهم كيف يحملون البنادق في أيديهم في وجه عدوّ قـويّ احتـلّ المنـاطق الهنديّة من عند آخرها، بالرغم عنهم كانوا قبل ذلك، يعلّمـون النـاس في المدارس والمساجد فحسب، وما لقوا مثل هذه التجربة في محياهم؛ ولكن من الواجب علينا أن نعرف أن الزمن الذي يعيشـون فيـه، يختلـف تمامـاً عن زمننا هذا، كان ذلك الزمن الأخير للحكومـة المغوليّـة، التـي كانـت

(١) الشيخ الكيلاني، **ترجمة الإمام النانوتوي**، ج٢، ص ١٢٧؛ الأدروي، **النانوتوي، حياته ومآثره**، ص ١٨٣.

تلفظ أنفاسها الأخيرة، وكلّ واحد من المسلمين يعتقد بأنه جيل من أجيال الأمّة تحكم على البلاد، ويعتبر أن الحفاظ على أرض الوطن مسؤليّة شخصيّة ودينيّة له، والمسلمون هم الذين يقومون بمعظم الوظائف الحكوميّة فلذا كان المسلمون يهتمّون بتعليم أولادهم فنون الحرب في طفولتهم، ويدرِّبونهم على الرمايّة، وركوب الخيل والمصارعة وضرب السيوف وإطلاق البندوقيّة والمناورات الحربيّة الأخري، وكان الأولاد يتفاخرون فيما بينهم، في معرفة فنون الحرب، وكلّ واحد منهم يريد أن يكون قويّاً جسمانياً، ويحاوله؛ لذلك كان هؤلاء العلماء يعرفون الحرب جيداً- [1]

تفوّق الإمام النانوتوي ودربته في العلوم والفنون:

وقد تعلَّم الإمام النانوتوي أيضا في طفولته بعضاً من فنون الحرب، فالإمام النانوتوي رغمًا من نبوغه وتفوُّقه- على الأقران والأتراب في إتمامه القرآن الكريم، وقريض الشعر، وكتابة الكتب المدرسيّة بخطّه الجليّ الواضح، عندما يأتي إلى زملائه ويجتمع بهم، يتخلىّ عن جدّيّته، وتبرَّز عليه مظاهر لطفولة، فيتسارع إلى الاشتراك في كلّ لُعبة يلعبها الأطفال في بلدته، ويفوق أقرانه في هذا الميدان أيضا، ويغلب على جميع زملائه في تلك الألعاب؛ لأن ذكاءه كان

(١) الأدروي، الإمام النانوتوي، حياته ومآثره، ص ٨٤- ٨٥.

يصاحبه ويعاونه في كلّ مكـان يتوجّـه إليـه [١]، يكتـب الشـيخ محمَّـد يعقوب النانوتوي:

«كان الإمام النـانوتوي يفـوق أقرانـه في تلـك الألعـاب التـي تتطلّب الذكاء والحس المرْهَف، والجهد الجسـمانيَّ، كنـا نلعـب سـويا عامّة لعبة ريفيّة، بالأرديّة «جورتور» وكانت هذه اللعبة تتطلّـب مـن اللاعب العملَ الذهنيّ أكثر من الجهد الجسمانيِّ فـما تخلّـف عـن هـذه اللّعبة قط؛ بل فاق زملاءه فيها»- [٢]

وهذا الذكاء والحس المرهف في نُعومة الأطفار وحداثه السّـنّ، ويذكر الشيخ محمَّد يعقوب النانوتوي مما رأى من قصصه بعد صغره:

«وحينئذٍ طالما كان جماعة من إخواننا، وأترابنا يتلّعمون الرَّمايّة، وتسديد البندوقيّة، فرجع «حضرة الشيخ» ذات مـرّة مـن المسـجد، ووجدنا نتعلّم الرَّمايّة، ونسـتهدف ورقَـة مـن أوراق «النـيم» محاطـة بخطّ مدَّور، ونحن نُصوّب من مكان قريب منه، واتخذنا قذائف مـن طين، فقال: أروني كيف تسدّدون البندوقيّة فـأطلق الـبعض إطلاقـه، وأشار إلى شئ من قواعدها، فما نشب أن تنـاول البندوقيّـة، وجعـل هيئة جسمه كالرّماة الماهرين، وسدّدها، وركز على الهدف، فأصـابه؛ بينما طال عجز سائر زملائه الرماة المرسـلين مـن إصـابة الهـدف، ولم

(١) الصديقي، **الإمام الأكبر وجهوده في إعلاء كلمة الله**، ص ٨٤.

(٢) الشيخ نور الحسن راشد الكاندهلوي، **النانوتوي، أحواله وآثاره وباقياته ومتعلقاته**، ص ١٧٧.

يكن إصابة « حضرة الشيخ» لهذه الهدف المحدد صُدفة، وإنما تأتّى ذلك عن تفطّنه للتسديد، وأخد نفسه بحالة من الوقفة تلاشت معه وجوه الخطاء، وطالما رأيت الرّماة يأخذون أنفسهم بوقفة، تبدوا أبدانهم خطوطاً مستقيمة من الرأس إلى أخمص القدمين- [1]

صموده وثباته في تلك الأوضاع:

وفي تلك الأيّام كان كلّ أحد فُزَعَة مزلزلاً زلزالا شديدًا، قد استنفد صبرهم هذه الفتنة العمياء، ولكن «حضرة الشيخ» غير خائف ولاوجل- انتشرت الشائعات والأكاذيب، والغث والثمين من الأخبار مما يجعل الولدان شيبًا، «وحضرة الشيخ» مكبٌّ على أعماله اليوميّة لم يدخلها تقديم أو تأخير- [2]

يستأذن الشيخ أبويه بالجهاد:

إن الشيخ النانوتوي كان من الولدان البارِّين، ويغمِز الرجلين للأم كلّ يوم، فوصل إلى بيته بعد قرار قضاء الجهاد لاستيذان الأبوين في الجهاد، كما يأمر به الشرع، أي لا بدّ للجهاد من الاستيذان إذا كان أحدهما حيا، فقال لأمّه وهو يغمز رجليها: «إن فداء الأرواح،

(١) الأستاذ محمّد عارف جميل القاسمي، **الإمام محمّد قاسم النانوتوي، كما رأيته**، ص ٦٩-٧٠؛ والصديقي، **الإمام الاكبر وجهوده في إعلاء كلمة الله**، ص ٨٥.

(٢) القاسمي،، الأستاذ محمّد عارف جميل، **الإمام محمّد قاسم النانوتوي، كما رأيته**، ص ٧٠.

والممتلكات في سبيل الله كذا، وكـذا، ومـن يفـوِّض إلـى الله روحـه، ونفسه، ينال عنده رتبة عليا»، وذكر بعـد مثـل هـذا التمهيـد فرضـيّة الجهاد،ثمّ قال هو يعرب عن تصميم عزمه في الخـروج في سـبيل الله: «إن تعرقل طاعة الأبوين في طاعة الله، فهي تسقط»، وأضـاف قـائلاً: «إنّي أريد أن تأذن لي بذا بغاية البهجة والسّرور، حصولاً علـى الأجـر والثواب»، فقالت أمّه : «لست أنت إلاّ للهّ، وأنا فوَّضتك إليه بسرور القلب، وقرارة الفؤاد»، ثمّ قالت: «إن رجعتَ من هناك، لقيتك، وإلا لكان اللقاء في الآخرة بأقرب مايمكن»، -إنشاء الله- توجّـه «حضرـة الشيخ» إلى أبيه، واستأذنه، لاريب في أنه في البدايـة ماطـل، وسـوَّف شيئاً، وتردّد في الإذن، فعمل الشيخ بأصل عموميٍّ للشريعة «لاطاعة لمخلوق في معصـيّة الخـالق» وخـرج قـائلاً لـه: «العبـد يسـاهم فيـه، والسلام عليكم» وما ظهر منه هو أنه لم ينجح في الاستيذان والإرضاء به؛ ولكن ما كتبه الشيخ المقري طيّب في المذكّرة - تغمّـده الله بواسـع رحمته- «ثم رضي أبوه أيضا» يشير إلى أن أباه تـردّد وتلكّـأ أوّلاً، ثـم أذن له أيضًا-[1]

توفير الأسلحة للمعارك:

ومـن مهـمّات المعـارك والحـروب، تـوفير الأسـلحة، فـزوَّد

(١) الشيخ مناظر أحسن الكيلاني، **سوانح قاسمي**، ص ١٢٨- ١٣٤ ملخصا.

المجاهدون بالأسلحه اللاّزمة ويُذكر أن القاضي «عنايت علي» قد قام بدورٍ بارزٍ في تزويدهم بالأسلحة بما فيه من البنادق، والرّصاصات، والسّيوف، والمعدِّدادت الحربيّة العسكريّة المعروفة في ذلك الزمن؛ لأن الله -سبحانه وتعالىٰ- وهب له قلبًا فياضًا، ويدًا متسعة في بذل الممتلكات رضًا لله-تعالى- ثم تصدّى جميعهم ملتزمين بمسؤليات إنجاز هذا الهدف الأصيل، وحمل هذه العبء الثقيل بكلّ دقّة، وأمانة، وبكلّ حيطة، وحذر، لمحاربة الإنجليز المضادِّين. [1]

تعيين جبهة النضال:

ومن الواجب تعيين جبهة القتال قبل الخوض في المعركة، فتشاور هؤلاء العلماء المجاهدون فيما بينهم في تعيين جبْهة القتال، وبعد التشاور عينوا جبهة القتال، وقرَّروا الخوض في المعركة مع الإنجليز في بلدة «شاملي» ثم التقدّم إلى العاصمة بعدُ. [2] فبدأوا النضال من «تهانه بهون» قبل التقدُّم إلى بلدة «شاملي» فاستولوا عليها وعلى ماجاورها، وأقاموا فيها الحكم الإسلاميَّ، وأخْرجوا منها الحكّام الإنجليز-

أوّل هجمة من مقر «تهانه بهون» علي بستان «شير علي»:

كما ذكرت من قبل أن القاضي «عنايت علي» حلف بأنه لايقعد

(١) الصديقي، **الإمام الأكبر وجهوده في إعلاء كلمة الله**، ص ١٢٥.

(٢) الدكتور عبد المنعم النمر، **تاريخ الإسلام في الهند**، ص ٢٤٢.

مطمئنًا في البيت، حتى ياخذ الثأر من الإنجليز الظالمين، فاطّلع القاضي والمجاهدون بالعيون على ذهاب بعض من الجيوش الإنجليزيّة، من «سهارنفور» إلى «كيرانه» وقد كانت راحلاتهم محمولة بالخراطيش وغيرها من الأسلحة، فأرسلوا القاضي مع كتيبه مكوَّنة من أربعين فدائياً إلى بُستان «شير على» الواقع خارجا من «تهانه بهون» على مكان يمرُّ به شارع «كيرانه» وكمنوا بين الأشجار في طريق هذه القوّة، حتى اذا مرّت بهم أمطروها برصاص بنادقهم، وهجموا عليهم بَغتة، وقتلوهم وسلبوهم كلّ معهم من الأسلحة والعدَّة والعَتاد-[1]

وهذا هو أوّل نجاح للمجاهدين، ومن المتأسّف أن المصنّفين لم يذكروا من ساهم فيه؛ فلذا ليس يظهر منه أن الإمام النانوتوي كان اشترك فيه بالنفس والنفيس.

هل كان حضرة الشيخ شرك فيها؟

ولكن من المتيقَّن أنه كان ممن ساهم فيه؛ لأنه عندما بدأت الكتيبة تخرج تهدف إلى «شاملي»، أوصى أمير المؤمنين الحاج «امداد الله» المكي، الشيخ محمَّد منير النانوتوي على وجه الخصوص، بأن الشيخ محمَّد قاسم أكثر جريئًا وأكبر باسلًا ومعظم شجاعًا، يلج كلّ صفٍّ من الصّفوف دون أن يخاف ويرهب، فصاحبه دائمًا ولا تتركه

(١) الأدروي، **الإمام النانوتوي، حياته ومآثره**، ص ٧٩؛ والدكتور عبد المنعم النمر، **تاريخ الإسلام في الهند**، ص ٤٤٢، الكيلاني، **سيرة الإمام** ج٢، ص: ١٣٥.

وحيدًا وفريدًابأيّ وقت مَّا وأكبر عامل من عوامل الوصيّة له، أنه لايكون له قرار، ولاسكون دونه بغاية الحبّ والمؤدّة.

ومما تقتضيه الوصيّة المذكورة للحاج أنـه اطّلـع علـى الطبعيّـة والفطرة له في الحرب والضرب والكرّ والفرّ، والهجمة والحملة، قبـل المعركة الحامية في «شاملي»، ولنا أن نجعـل تلـك الوصـيّة الإمداديّـة (وصيّة امير المؤمنين) دليلاً من دلائل على الشركة الذاتيّة في الهجمـة على بسـتان «شـير علـى»، وإلا ليسـت لـدينا فرصـة لمشـاهد تلـك الخصوصيات الوهبيّة سواه- [١]

حـث الشـيخ النـانوتوي، الملـك المغـوليّ الأخيـر علـي الجهاد بالنواب «شبّر علي خان»

وكان النـواب «شـبر علـى خـان» -هـو أب التلميـذ الخـاصّ «النواب محي الدّين» للإمام النانوتوي- يعتقده فوق الغاية، وكان من يصاحبه الملك ويعتمد عليه، فـدعا الإمـام النـانوتوي الملـك المغـوليّ الأخير إلى المساهمة في الجهاد عن السيّد «شبّر علي خان» لاستخلاص الوطن والملّة وتحريرهما».

ومن الأهداف أن يستخدم الملـك والقـوّات والقـدرات ضـدّ الاستعمار البريطانيّ ويبذل السَّعي والجهد أقصي مافي سـعته في

(١) الكيلاني، **سوانح قاسمي**، ج٢، ص ١٤٠- ١٤١.

استخلاص الوطن وإخراج الإنجليز بالخصوص من «دهلي» وبعد ما يفرغون عن الجهاد في «تهانه بهون» و«شاملي» يتقدّم هو وأصحابه نحو العاصمة «دهلي» فمن المؤكّد أن تتحرَّر «دهلي» لو وقعت الهجمة والدفاع على حسب الأصول الصحيحة من الطرفين-[١]

المجابهة بين حزب الله وحزب الشيطان:

وبعد تعين جبهة النضال بالتشاور ارتحلت هذه القافلة المغامِرة التي خرجت من ديارها لتقديم هداياها النفسيّة، والروحيّة إلى صيانة الدّين والوطن من القوّات الطاغية إلى «شاملي» وقد كان من وجهات نظرها أن تتوصّل القائمة إلى «دهلي» بإجبار الجنود المجنّدة الإنجليزيّة التي تحول بينها وبين «دهلي» في تلك المناطق على نكسات، وهزيمات، مرّة بعد مرّة، وأن تقدّم يد المساعدة والعون إلى رئيس «شاملي» «مهارسينغ» الذي رفع رأية كفاح التحرير ضدّ الإنجليز، وقد كان محتاجًا شديدًا إلى نجدة-[٢]

وإذا وصلت هذه القافلة المغامرة التي كان عنان قيادته في يد الشيخ النانوتوي إلى «شاملي» فكانت فيها قلعة قديمة تسكن

(١) المرجع السابق، ص ١٣٦- ١٣٧.

(٢) المؤرّخ السيّد محمّد مياں، علماء هند كا شاندار ماضي، (**الماضي المجيد للعلماء في الهند**)، ج٤، ص٨٥١.

فيهاالقوّات الإنجليزيّة، فهجم هذا الجيش الإسلاميّ والمسلمون الذين قد صبغوا في صِبغة جذوة النَّضال من قُمّة الرأس إلى أخمص القدم، على تلك القوات، فواقع حزبان: حزب الله، وحزب الشيطان، ووقعت بينهما معركة حامية- (١)

ذكاء الشيخ النانوتوي في مجابهة ضابط إنجليزيّ، ونصر الله معه:

ومن المعلوم أن الشيخ النانوتوي كان متمهّراً ومنعَما عليه في كلّ مجال من المجالات، بما فيها التعليم والتربية والتزكية والرّماية، وإطلاق البندوقيّة؛ بعيد النظر، متسع الفكر، مفرط الذكاء، فبرز ذكاءه في تلك المعركة في مواجهة ضابظ إنجليزيٍّ، يستوي ضخامةً وجسامةً لأربعة رجال بالنّسْبة إليه، وعندما بعد عن مكان الكفاح ليروح نفسه وجسمه من صخب قعقعة السيوف، وعناء شغل القتال، نذكر بين يديكم شيئا مما ذكره «محمَّد أويس الصديقي»

«كان الإمام النانوتوي يجاهد ويقاتل بسيفه في هذه المعركة، وبعد القتال ساعات متوالية، تنحّى الإمام عن مكان المعركة لأخد حظّه من الراحة، فبقي وحيدًا في ذلك المكان، فرآه ضابط قويٌّ من قوّاة العدوّ، وزعم أنه وجد فرصةً حسنة لقتل قائدهم، فتقدّم إليه مسلول السيف، فلمّا دنا من الإمام، وقال له: «أأنت الذي تحضّ

(١) الأدروي، **الإمام النانوتوي، حياته ومآثره**، ص ٨٦.

الناس على الثورة وتحثّهم؟ وأنت الـذي تقـودهم في هـذه الحـرب»، ورفع سيفه للهجوم عليه، وقال: هذا موتك، قد جاء، وكان يريـد أن يهجم عليه، إذ قال له الإمام بصـوت الرفيـع، «ياأيهـا الكـافر! انظـر خلفك، إن موتك خزيان ينظر إليك» فتخيّل إليه أنّ باغيا مـن البغـاة يريد الهجوم عليه من خلفه، فرأى خلفه وكان الإمام النانوتوي ينتظر منه هذه الغفلة، فهجم عليه بسيفه بسرعة فائقة، وشقّه باثنين، وقضيـ عليه، ثم كبر، وهلَّل، وشكر الله على حمايتـه مـن العـدُوِّ، [1]يقـول الله عزوجل«و كان حقّاً علينا نصر المؤمنين».[2]

السيطرة على محكة المال في «شاملي»:

وقـد غلـب الشـيخ النـانوتوي وجميـع رفقائـه علـى القـوَّات الإنجليزيّة، وقد استولوا على محكمة المال في بلدة «شـاملي» وخرَّبـوا بنائها تخريبًا، وماجاءت في حمايـة هـذه القـوّات الإنجليزيّـة المنهزمـة نجدة من قِبَل حكومة «بريطانيا» ففازوا في هذه المعركة، واهتزوا لواء فتحهم على أسوار تلك القلعة القديمة [3]؛ ولكن ماحصـل لهـم هـذا الفوز، والنجـاح، بـدون مـواجهتم مشـاكل، ونكبـاتٍ، ومصـائب، وصعوباتٍ؛ بل بعد خسائر جسيمة في صورة تضحيات نفسيّة في عدد

(١) محمّد أويس الصديقي النـانوتوي، **الإمـام الأكـبر، وجهـوده في إعـلاء كلمـة الله**، ص ١٢٧-١٢٨.

(٢) سورة الروم: ٤٧.

(٣) الأدروي، **الإمام النانوتوي، حياته ومآثره**، ص ٨٧- ٨٨.

وفير، فكتب الشيخ «مناظر أحسن الكيلاني» نقلًا عن الشيخ المقري «محمَّد طيّب» -برّد الله مضجعه-: «وقد استُشهد مئات من المجاهدين بإطلاق رصاصات الإنجليز عليهم»-(١) وفي ذلك الفتح والانتصار قام الشيخ النانوتوي بأعظم دورٍ لا ينسٰي.

الشيخ النانوتوي يحرق باب القلعة بالكوخ:

ومن المعلوم أن الجيوش الإسلاميّة إذا وصلت إلى تلك القلعة، واجهت مشاكِل، وصعوبات في البداية؛ لأن هذه القلعة التي اختفي فيها الجيوش الإنجليزيّة، في الميدان ليس لجهاته الأربع مكان، يجعله من كان خارج القلعة ستارًا وحجابًا، سوى المسجد القصير الواقع في الجهة التي كان إليها باب القلعة، فأغلقت باب القلعة، وصارت سليمة من هجوم المجاهدين بالجدار الحائل بينهم وبينها، وبقي هؤلاء كلّهم في رحاب الميدان بدون حجاب، وستار؛ لأن المسجد المذكور كان حجمُه صغيرًا ولا يسع اكتثار الناس، فتهجم تلك الجيوش عليهم وعلى من خرج من المسجد، بإطلاق الرصاصات من وراء الجدار، والحجاب، وتفيدها هذه الهجامات فوائد كبيرة، وتضرُّهم خسائر عظيمة؛ لأن المأوي والملجأ ليس لهم سوى المسجد، والمجاهدون ماكادوا أن يخرجوا، يصابون بإطلاق البندوقيّة؛ فإذا الشيخ النانوتوي ينظر في بئة هذه الاضطرابات الهائلة

(١) الشيخ مناظر أحسن الكيلاني، **سوانح قاسمي**، ج ٢، ص ١٤٦).

إلى كوخ قريب من الباب أعدّ لاستظلال المحاربين المحافظين في الأغلب، ويلقي الله في رُوْعه مكيدة حربيّة— وهي أن يقلع الكوخ من مكانه ويذهب به إلى باب القلعة ويحرق؛ لكي تحترق باب القعلة أيضا بأثر الكوخ المحترق، ويدخل المجاهدون فيها ويبارزون تلك الجيوش الإنجليزيّة وجهاً لوجهٍ، فيصدّي وحيدًا وفريدًا لإنجاز هذا الأمر الخطر، ويقضي في ماأراد في أقلّ ساعة ولمحة خاطفة-(١)

والله عليم جيّداً بأنه كيف نجح في الخروج من بين إطلاق البنادق والوصل إلى الكوخ سليما وصحيحا؛ ولكن مما يشاهد أن الكوخ يحترق، ويهجم هو ورفقاءه عليها بعد الدخول فيها هجمة شعواء، تجبرها على الانكسار، والانهزام-(٢)

استشهد الشيخ الحافظ ضامن:

ومما يعلم أن الحافظ ضامن الشهيد-رحمه الله- كان رئيسا لمركز القيادة في الجهاد فلذا يذهب ويؤوب إلى الداخل والخارج مشرفاً على من يدخل ويخرج من المجاهدين، فبين الذهاب والإياب وقع فريسة لإطلاق الرصاص، وبعد برهة فارقته الروح وكُتِب اسمه بالحروف الذهابيّة في طليعة الشهداء(٣) -رحمه الله تعالى رحمة واسعة-.

(١) الكيلاني، **سوانح قاسمي**، ج٢، ص ١٤٧- ١٤٨-١٤٩.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق، ص ١٥١.

إصابته بالبندوقيّة:

وفي هذا النضال، بينما كان الفريقان يتبادلان الرصاصات، جلس «حضرة الشيخ» آخذاً رأسه بيده، فظنّ من رآه أنه أصابه رصاصة، فكان الإمام العالم الربّانيّ رشيد أحمد الكنكوهي خفَّ وأسرع إليه، واستفسره فقال «أصيب راسي برصاصة، فحلَّ عمامته عن رأسه، فلم يجد به أثر من شجّة، فقضي عجبه مما رآه إذ كان «حضرة الشيخ» مضرجاً بدمائه». (١)

والله يكلؤه:

وفي هذه الأيّام واجه بعض الأعداء ببندوقيّة أدّت إلى إحراق شطر من شاربه ولحيته، وإصابة عينه بجُروح طفيفة، وطلبوا الرصاص، فلم يعلموا مصيره، قد تمّ هذا الهجوم عليه عن مكان أقرب كان كافيا لجُرحه، وشجّه بأنابيب البندوقيّة، ولولم ينفذ منها رصاص، بَيدَ أنّ الله تعالى وقاه شرَّ ذلك، ولو لم يصبه كبير شجة تعرضه لخطر. (٢)

وبعد المعركة الساخنة والهجمة الشديدة غلب الجيش

(١) الاستاذ محمّد عارف جميل القاسمي، **الإمام النانوتوي، كما رأيته**، ص ٧١- ٧٠؛ الشيخ عاشق الهي الميروتي، **تذكرة الرشيد**، ج١، ص ١١٥.

(٢) المرجع السابق، ص ٧١.

الإسلاميّ على قوّات الاستعمار في هذه المعركة، واستولى على محكمة المال في «شاملي» ويتوج هؤلاء أساطين الدّين وأبطال الإسلام بالفوز والنجاح بدوره هذا. [١]

تعنّت الإنجليز الغاصبين وضراوتهم مع المسلمين:

ولكن ماكان يكفي بهذا النجاح في هذه المعركة فقط؛ بل لابدّ منه لجميع الناس الذين يحاربون هذه القوَّات الطاغية في جميع البلاد؛ ولكن ما كان كذالك؛ بل فشلت أقدام الهنديّين، وانهزموا، فحصلت للإنجليز اليد العليا، والكلمة النافذة في البلاد كلّها. [٢]

ولما أخفقت هذه الثورة، صبَّ الإنجليز على أهل الهند جام غضبهم، وانتقموا منهم انتقامًا شديدًا، وقاموا بمذابح عديدة، جدّدت ذكري مذابح «جنكيز» و«هولاكو» ولأنه قد تزعم المسلمون هذه الثورة، لذا فقد اضطُهِد المسلمون عقب فشلها، وصُودِرت أملاكهم، وهدِمت بيوتهم ومساكنهم أو أصبحت ثكنات للجيوش، وشرد المواطنون، ورحَّب الهندوس بالاستعمار، فتسلّموا الوظائف، وقتلوا المسلمين وادّعوا أنه قد آن لهم الأوان للأخد بالثأر والانتقام، وحصلوا على الثروة، واشتروا الأراضيَ، حتى لم يبق للمسلمين سوى ٥٪ من

(١) الشيخ مناظر أحسن الكيلاني، **سوانح قاسمي**، ج ٢، ص ١٤٧ - ١٤٨ - ١٤٩.

(٢) الأدروي، **الإمام النانوتوي: حياته ومآثره**، ص ٨٧.

الأراضي التي كانوا يملكونها من قبل، وظهرت خطّة التفرقة بين المسلمين والهندوس، وقد صرَّح «اللورد نبر» بذلك، حيث قال:

«إنه لايمكن الإغضاء عن حقيقة جليلة، وهي أن الأمة الإسلاميّة معادية لنا بطبعيتها، فالبرنامج الحقيقيّ عندنا أن نبتغي مرضاة الهندوس»-[١]

وأصبح المسلمون أبغض الناس في الهند للحكومة الإنجليزيّة فقتل الإنجليز ألوفا من المسلمين، ونصبوا المشانق في الشوارع، وصلبوا عددًا كبيراً من الناس، وجعلوا يلجمون التاثرين البغاة عما يفعلون ويهجمون على مستوي البلاد لمعاقبتهم. فدفع المسلمون ثمنًا باهظاً لجهادهم، وخصّهم الإنجليز بالقتل والبطش الشديد، وأصبح نصب عينيهم أن يستأصلوا جميع المسلمين ويبيدوهم عن آخرهم، فحقّاً ضاقت الأرض بما رحبت عليهم، ويلقي أبو الحسن على الحسني الندوي-تغمّده الله بواسع رحمته- الضوء على هذه المأساة قائلاً:

«إن سبعة وعشرين ألفاً من المسلمون قُتلوا شنقاً، واستمرت المجزرة سبعة أيّام متواليات، لايحصي من قُتل فيها، أما السّلالة التيموريّة فقد حاول الإنجليز أن يستأصلوا شأفتها، فقتلوا حتى الصّبيان، وعاملوا النساء معاملة همجيّة تقشعر منهاالجلود»-[٢]

(١) الداعي، السنة، ٣١، العدد: ٥- ٦- جمادي الأولي- جمادي الثانيّة ١٤٢٨ه/ مايو- يوليو ٢٠٠٧ م ص ٩٢.

(٢) الشيخ ابو الحسن علي الندوي، **المسلمون في الهند**، ص ١٥٤.

ويقول ميلي سن: «إن ضبّاط جيوشنا كـانوا يقتلـون المجـرمين من كلّ نوع، وكانوا يشنقون من غير رحمة وألم، كأنهم كلاب أوبنـات أوي أوحشرات خسيسة»- [١]

ويقول قائد قواد الجيوش الإنكليزيّة «Lord Rolerts» في رسالة كتبها إلى أمه في ٢١ يونيو ١٨٥٧م:

«إن أهول طريقة لإعدام هو أن يرمي الْمجرم بالمدفعة، إنـه حقّـاً منظر هائل؛ ولكن لا نستطيع في هـذ الوقـت أن نأخـذ بالاحتيـاط، إن هدفنا أن نثبت للمسلمين الأشرار أنّ الإنجليز لايزالون سادة الهند»- [٢]

الدّمار والخَراب في «تهانه بهون»:

وكان اسم بلدة «تهانه بهون» في طليعة الفهـرس الـذي أعدّتـة الحكومة البريطانيّة لكَبح جَماح الثائرين ضـدَّها، فوصـل ضـابط مـن الضُّبَّاط المزاولين لهذا الأمر الوخيم إلى «تهانه بهون» مع جـيش كبـير لاجتثاثها وتدميرها، وقد علم بذلك القاضي «عنايـت علـى» وتـرك وطنه المألوف للأبد للوقاية من معاقبة الإنجليز، وذهب إلى «نجيـب أباد» وآقام بها، فلما ارتاده هذا الضابط الإنجليـزيّ ومـا وجـده، ثـار غضبًا، ودمَّر قلعته الموجودة فيها تدميرًا كأحياء السكنيّة الأخري فيها وتركها خرابًا ودمارًا- [٣]

(١) المصدر السابق، ص ١٥٥.

(٢) المصدر السابق، ص ١٥٥.

(٣) الأدروي، **الإمام النانوتوي، حياته ومآثره**، ص ٨٨.

جهود الحكومة لإلقاء القبض على العلماء والمجاهدين:

وإذا فرغت الحكومة البريطانيّة من القيام بالإجراءات الثأريّـة، بدأت تحاول أن تُلقي القبض على العلماء والمجاهدين الـذين نهضـوا في ساحة القتال ضدَّها، وأصدرت الأمر بالقبض على هؤلاء العلـماء -أمثال الشيخ امـداد الله المكـي، والإمـام محمَّـد قاسـم النـانوتوي، والشيخ محمَّد منـير النـانوتوي، والشـيخ رشـيد أحمـد الجنجـوهي- ولكن الحكومة ما استطاعت النَّجاح في إلقاء القبض عليهم. بـالرغم من انتشار جواسيسها لنيل هذا المرام، وكذلك حاول البوليس مـرارًا للقبض على الإمام النانوتوي، ولكن لم يتمكّن من ذلك؛ لأن الله قـد نصره وحماه من الظالمين-[1]

شجاعة الشيخ النانوتوي في هذه الأيّام البلايا:

إن الذي يخش الله من عباده لايخاف أحـداً ويحـلّي بالشـجاعة، والبسالة، ومثلها من الأوصاف الحميدة، وأما الشيخ النـانوتوي فهـو كان من هؤلاء عباده، فيتحوّل بالشجاعة، والبسالة، والهمّـة، في كـلّ مكان من غير مبالاة بالخوف، والذّعر، بينما يبلغه آلاف مـن الأخبـار الصادقة والكاذبة، في تلك الأيّام البلايـا، ولكـن يقـوم فيهـا بجميـع

(١) الصديقي، الإمام الاكبر، وجهوده في إعلاء كلمـة الله، ص ١٢٩؛ والأدروي، الإمـام النانوتوي: حياته ومآثره، ص ٨٨.

أعماله كقيامه في أيّام أخرى، (١) وإذا اشتدَّ من قبل الإنجليز ارتياده، أجبر إصرار الأقرباء، والرفقاء على الاختفاء والانزواء، ولكن لما مضت ثلاثة أيّام، خرج من مكانه الذي كان مختفيا فيه (٢) وإذا أصر الناس مرة ثانيّة قال لهم: «إن رسول الله -ﷺ- كان اختفي في «غار ثور» إلى مجرّد ثلاثة أيّام، فعملت هذه السنّة، ولا أخالف سنة نبيّي -ﷺ- بزيادة الاختفاء على هذا»-(٣) فيتجوّل في القرىٰ القريبة، أحياناً في «نانوته» وأحياناً في «ديوبند» وأحياناً في قرية « إمليا» وأحياناً في «رامفور» وقد يكون في العمران، كما يكون في الصحراء، وفي كلّ مكان كان الناس من أعدائه، وأصدقائه، فيقومون بكلّ نوع من المحاولات، ولكن خابوا في مايريدون، ولقد نصره الله، ووقاه من كلّ أعداء- (٤)

في مسجد «تشتة»:

وفي أيّام الإختفاء لمّا كان الشيخ النانوتوي في حيٍّ «ديوان» من

(١) الشيخ يعقوب النانوتوي، سوانح عمري، **(سيرة الإمام النانوتوي)**، صادق الأنوار بهادر بور، ٧ شوال ١٢٩٧، ص ١٩.

(٢) الشيخ نديم الواجدي، **مولانا نانوتوي کی فکری بصیرت اور دور حاضر میں اس کی معنویت، (البصيرة الفكريّة للإمام النانوتوي، ومعنويّته في العصر الراهن)، مولانا قاسم نانوتوي، حيات ، افكار، خدمات (الإمام النانوتوي، حياته وأفكاره وخدماته)**، دار الكتاب ديوبند، ص ١٣٦

(٣) الشيخ حسين احمد المدني، **نقش حياة**، ج ٢، ص ٧٥.

(٤) المرجع السابق،ج٢، ص ٧٥-٧٦.

«ديوبند» أخبر البوليسَ جاسوسٌ من جواسيسه بذلك، فحاصر البوليس ذلك المكان للقبض عليه، وشنَّ عليه الغارة، ولكن لم ينجح في إلقاء القبض عليه، فإنه لم يكن فيه في ذِلك الوقت، بل خرج منه قُبيل ساعة فرجع البوليس خائبًا [1] وقد ذهب الشيخ بعد الخروج منه إلى مسجد «تشتة» ثم أخبر الجاسوس بأنه في مسجد «تشتة» فوصل ضابط الشرطة إلى مسجد «تشتة» مع عدّة شرطة، وأقام بعضًا منهم على بابه، لكي لايكون له مجال للفرار منه، ودخل فيه بنفسه، وكان الإمام النانوتوي يمشي على الأقدام في فناء المسجد، ويتجوّل فيه، فرأى هذا الضابط يدخل فيه، ولكنه تمالك نفسه، ولم يخف، ولم يفزع شيئاً، ولم تظهر عليه علامات الخوف، والذّعر، بل استمرَّ في تجوّله في فناء المسجد غير مبال بما يحدث في داخله، أو على بابه، والضابط لا يعرف الإمام النانوتوي بشكله، فجاء الضابط إليه، وسأله، «هل تعرف المولوي محمَّد قاسم النانوتوي»؟ فأجابه مطمناً وقال: «نعم! أعرفه جيّداً»، فقال الضابط له: «هل هو موجود هنا»؟ فتنحّى عن المكان الذي كان واقفاً فيه، وقال له «قبل قليل كان واقفا هنا»، وأشار إلى ذلك المكان الذي كان واقفاً فيه قبله، ثم أشار على ذلك الضابط بالبحث عنه في داخل المسجد، فبحث عنه، ولم يجده، ورجع خائباً يسُبّ ذلك الجاسوس الذي أخبره بوجوده في المسجد هكذا

---

(١) الأدروي، **الإمام النانوتوي، حياته ومآثره**، ص ٨٩.

نصره الله، ووقاه، [1] «وقد مكروا مكرهم، وعند الله مكرهم، وإن كان مكرهم ، لتزول منه الجبال، فلا تحسبنّ الله مخلف وعده رسله إن الله عزيز ذوانتقام»- [إبراهيم: ٤٧-٤٦]

في قرية «جكوالي»:

ولما أصرّ الشيخ الرئيس «نهال أحمد» على ذهابه إلى قرية «جكوإلى» التي كانت بعيدة عن المدينة ومحفوظة عن الخطرات التي لحقته في «ديوبند» بعدم وصول العين إليها وكان التجسّس هنا أقلّ ما يكون في «ديوبند»وفيما يسكن فيه، واشتدّ إصراره على ذلك، فذهب الشيخ إلى قرية«جكوالي» الواقعة على الشارع الذي يذهب من «ديوبند» إلى «نانوته» ولكن البوليس قد وصل إلى هناك أيضا، وحاصر جميع تلك القرية، ففزع الشيخ «نهال أحمد» فكراً شديدًا وبدأ يعرب عن تشويشه بعد الوصول إلى الشيخ النانوتوي، فقال «حضرة الشيخ»: لاتخف، ولاتذعر وإلا يؤدّيني ذلك إلى القبض عليّ، واذهب أنت إلى داخل البيت، وأنا أفرغ من البوليس وحيدًا وأقي نفسي بنفسي-إن شاء الله- وإذا جاء ضابط عند الباب خرج الشيخ مطمئناً يتوكلّ على الله من البيت، وسأله: لماذا تفضّلت هنا؟ فقال: سمعت أن جانياً من جناة البوليس قد اختفي في هذاالبيت، وجئت

(١) الصديقي، الإمام الأكبر وجهوده في إعلاء كلمة الله، ص ١٣٠.

هنا لإلقاء القبض عليه، فقال الشيخ: «تفضّل في داخل البيت وابحث عنه، واقبض عليه إن وجدتّه»، فسأله الضابط، هل تعرف المولوي محمَّد قاسم النانوتوي؟ قال: «نعم: أعرفه جيدًا»، فقال الضابط: «أريد أن أفتّش عن المكان الذي تسكن فيه النّساء» قال الشيخ: «لاحرج، ولا بأس»، فبحث عنه في كلّ ناحيّة من نواحي البيت، ولم يجده، فرجع خائباً.[1]

ماهوبواعث الخيبة في القبض عليه:

ومن المعلوم أن البوليس بحث عنه بحثًا شديدًا؛ ولكن خاب في كلّ مرّة، فله أسباب مختلفة:

ومنها: أن عنان الحكومة في يد «شركة الهنديّة الشرقيّة» حتى عام ١٨٥٧م، ولم يتولّ في تلك الحكومة أحد من الهنديّين حاكم المديريّة، ونائبه، إلا وقد كان وفيا لها فلذلك لا يأتي لإلقاء القبض عليه إلاّ الإنجليز، وينسون أن يأتوا معهم برجل يعرفه في كلّ مرّة، فإنهم قد فقدوا وثوقهم على الهنديّين، فلذا قد خابوا.

ومنها: أن الإنجليز كانوا رأوا في أنحاء «دهلي» علماء ومشائخ، وهم يتميزون من غيرهم بملابسهم، وعمائمهم، وهيآتهم، ويعْرفون في ازدحام آلاف من الرّجال؛ ولكنّ الإمام النانوتوي لم يكن كمثلهم

---

(١) الأدروي، **الإمام النانوتوي، حياته ومآثره**، ص ٨٩؛ والأدروي، **الشيخ رشيد احمدالجنجوهي، حياته ومآثره**؛ أكاديميّة شيخ الهند ديوبند، ص ٦٠.

لباسًا، وهيئة، وكان أبعد الناس عن زيِّ العلماء ولبس المتفقّهة من العمامة، والطّيلَسان، وغيرها. يلبس لباسًا ساذجًا، ويعيش متواضعًا لله، ومغمومًا في أمّة رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- كعيشة القرويّين، فيتصوّر الإنجليز في تخيّلاتهم بشَمعة النانوتوي الهيئة التي قد تمسّك بها العلماء؛ لأنه كان منهم، فلذا قد خابوا.

ومنها: أن الإمام النانوتوي كان شجاعا، وشَهمًا، ولا يخاف في أيّ وضع، ولايفزع في أيّ ظرفٍ بينما يمثّل لون وجوه المتّهمِين خوفهم، وذعَرهم، ويقبض عليهم بذلك، ولكن لايظهر على وجهه أيّ نوع من الخوف، والفزع، بل يلاقيهم بطلاقة الوجه، ويحادثهم، بكلّ معانٍ من الهدء والسّكون، والوقار، فلذا قد خابوا-[1]

طول أيّام البلايا:

لايزال البوليس في البحث عن الإمام النانوتوي حولي سنتين، ولكن عجز عن إلقاء القبض عليه، وعاش الناس في هذه الأيّام البليّة قلقين، ومضطربين لا يهدألهم بال، ولايقرُّبهم قرار، حتى أصبحت قلوبهم مجروحة، وعيونهم مدموعة، وكذالك كان حال الإمام النانوتوي، وقد زاد قلقه، واضطرابه باعتقال زميله، وصاحبه، الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي (المتوفّى ١٣٢٣ه)؛ لأن كلّ نوع من الأراجيف

(١) المصدر السابق، ص ٩١- ٩٢- ٩٣.

والشائعات بالنسبة له، يطوف حول الشيخ النانوتوي، أحياناً يسمع أن يحكم عليه بالشنق، والإعدام، وأحياناً يسمع أن ينفىٰ إلى المناطق البعيدة التي تعمّ فيه الأوبئة، وأحياناً كان يفكّر في مرشده الشيخ «إمداد الله» المكي (المتوفّى ١٣١٧ه) الذي قدهاجر من وطنه المألوف إلى الحرمين الشريفين متحمّلاً بصعوبات السفر في الصحارىٰ، وبمشاكل السفر في المناطق الرمليّة، وفي هذه الاضطرابات، والنّكبات، مضت سنة كاملة، حتى أعلنت الحكومة البريطانيّة عن العفو العامّ لمن ساهم في هذه الثورة العامّة- [1]

تبدّلت السّلطة:

كانت «شركة الهند الشرقيّة» تحكم البلاد حتى ثورة عام ١٨٥٧م، ففي زمن استيلائها على البلاد، عمّت البلاء على المسلمين، وأصبح الإنجليز كالوحشيّ الكاسر، والحيوانات المفترِسة في مناواةالهند، وخاصّة في مناواة المسلمين منهم، فيسفك دماء أبريائهم، وعلمائهم، ومشائخهم، والأصحاب ذو الفضل والعلم، إلى جزيرة «اندومان» فمات كثير منهم فيها لبيئتها المسمومة العفنة والثقيلة على طبائع الناس، [2] وكان المسلمون يعدُّون أعداءً حقيقيّة لهم في

(١) المصدر السابق، ص ٩٣.

(٢) الصديقي، الإمام الاكبر وجهوده في إعلاء كلمة الله، ص ١٣٣.

أعينهم، فلذا عذَّبوهم عذابًا أليماً، وعاقبوهم عقابا شديدًا، فكم منهم شُنِقوا، وكم منهم أميتوا بإطلاق الرصاصات عليهم، وكم منهم نُفوا إلى مكان آخر، وبقي هذا العذاب الأليم حتى تسعة عشر شهرًا، ثم تحوّلت الحكومة من «شركة الهنديّة الشرقيّة» إلى «الحكومة البريطانيّة»، وكان ذلك زمن الملكة «وكتوريه» وهي أعلنت عن العفو العامّ لجميع المجرمين الثائرين في نوفمبر ١٨٥٧م/ ربيع الآخر ١٢٧٥ه -(١)

رغم إعلان الملكة«وكتوريه» عن العفو العامّ راجت بين الناس شائعة أخري بالنسبة له، وهي أن العفو يشمل فقط أولئك الثائرين الذين كانت جرائهم في نظر الحكومة صغيرة، ومستهانة، ولكن الذين كانوا طلائع هذه الثورة لم يشملهم هذا العفو؛ بل يلقي القبض عليهم في كلّ حين من الأحيان، وكان الإمام النانوتوي من هذه الأحزاب الأخيرة، فلذالك ما اطمأنّ قلبه على ذالك، وعاش أربع سنوات في حالة شبه اختفاء. (٢) وخلال هذه المدّة الطويلة ما سكن في وطنه ولا في «ديوبند»، بل سكن في مدن وقرى مختلفة يكابد العناء والمشقة، ويقضي ليإليه في توتُّرٍ دائم وصراع داخلي شديد، تحسُّراً على ما لقي المسلمون في شبه القارّة الهنديّة من هزيمة نفسيّة ومادّيّة على أيدي الإنجليز الطُّغاة، وانحسار وتقلُّص الوجود الإسلامي في هذه

(١) الأدروي، الإمام النانوتوي، حياته ومآثره، ص ٩٤.

(٢) الصديقي، الإمام الاكبر وجهوده في إعلاء كلمة الله، ص ١٣٣.

المنطقة، واندثار الآثار الإسلاميّة من المدارس والمراكز الإسلاميّة في البلاد، وارتداد الناس عن الإسلام-[1]

عُصارى المقال:

وهذه التضحيّات الجليلة والأدوار الطليعة والجهود المتواصلة التي لعبها في عام ١٨٧٥م؛ ولكن لمّا انجرفت هذه الثورة، ممّا يستحال القيام بالنّضال الدامي والكفاح الحربيّ، فوضع الأسلحة الحربّية، ساعات قليلة، ثمّ اتخذ خططًا جديدة، واستخدم أسالب حديثة استخلاصًا للوطن ومطاردةً للإنجليز، -والحمد لله- والمخطّطات التي اتّخذها بحَيطة بالغة وبعد النظر ودقَّة العين، أجبرت الإفرنجيّة أن يتولَّوا مدبرين ومنهزمين، حتى تحرَّرت الهند.

الفصل الأوّل:

الإمام محمَّد قاسم النانوتوي يؤسّس لجامعة تلافياً لثورة عام ١٨٥٧م

ولما أخفقت ثورة ١٨٥٧م، واحتلّت الحكومة الإنجليزيّة محلّ «شركة الهنديّة الشرقيّة»، فكان الأمر أشدّ، ودخلت الهند في حكم البريطاني المباشر، وكوِّنت الإمبراطوريّة الإنجليزيّة فتَسَرَّب اليأس

(١) المرجع السابق، ص ١٣٣.

إلى نفوس المسلمين، وفقدو الثِّقة بأنفسهم ومستقبلهم. وضعفت روح المقاومة، وكان وقتًا تشيّب لهوله الولدان، وفعل الإنجليز بالثّائرين، بل وبغيرهم مالا يمكن لعقلٍ أن يتصوَّره، ولا لقلبٍ أن يتحملَّه، ولا لأذنٍ أن يسمعَه ولا لكاتبٍ أن يذكره جميعاً، فالإنجليز اعتدوا وأساؤوا، وارتكبوا بالفظاظة والقساء فقتلوا الولدان والنساء، واستحقّوا الخذلانَ والهوانَ من اغتيال النِّسوان، واستوجبوا الخزي من قتل الصبية الصِّغار فهاجر كثير من العلماء ورجال الدّين إلى الحجاز، وأصبحوا يعتقدون أن الحكم الأجنبِي في الهند ضربة لازم، وانبثّ دعاة المسيحيّة والقُوس في القرىٰ والمدن، يدعون إلى المسيحِيّة علناً، ويعلنون أن دولة الإسلام قدزالت، وأن عهده قد انقضى، ودخلت الهند في الحكم المسيحِيّ، فلتهيّأالمسلمون لاستقبال هذا الحكم وليقبَلوا دين الحكومة، وطبَّقتِ الحكومة نظام التعليم المدنِي، وهو يهدف إلى تخريج طِراز من الناشئة، لا يصلُح إلا لإدارة جِهاز الحكومة الإنجليزِيّة وتنفيذ برامجها، وكثيرًا ما كان أفراد الجيل الجديد ينسلخون عن الإسلام انسلاخاً كلّيا، ويثورون على الحضارة الإسلاميّة والدِّيانة الإسلاميّة بتأثير التعليم والتربية في مدارس الحكومة التي كان يديرها الإنجليز أو أشباه الإنجليز، وبسبب «مَرْكب النقص» الذي أصيب به المسلمون في عصر الاحْتلال ودَهشة الفتح الذي أصابتهم، فأصبح المسلمون في عقر دارهم يغزون سياسياً وثقافياً ودينياً، والإمام محمَّد قاسم النانوتوي يري ما كان يجري في

الهند برأى العين، وكان يحمل في صدره قلبًا سليمًا متألّماً للأمَّة المسلِمَة، فكانت أنباء المسلمين ومصائبهم وارتدادهم وإلحادهم وإبعادهم عن الدّين وعن شريعة الإسلام تجعله تملل من لدغته حيّة داهية ولم يكن له أن يشاهد اعتداءات الأعداء هاديَ البال، مطمئنَّ القلب؛ وكانت هذه الأمور وحدها تضمن تأجيج نار البغضاء والكراهيّة في قلبه ضدّ بريطانيا، ولم يكن عنده من قوّة السِّلاح ومن المال الوافر، ولم يكن لديه جيوش، وجيال يفدون الدّين بأنفسهم ويضحُّون أرواحهم وليس يتمكّن من النّضال والكفاح بعد فشل ثورة ١٨٥٧م، فلذا لم يجد هو وأصحابه أمامهم طريقاً لاستخلاص الوطن من براثن المستعمرين ولتحرير بلاد الهند، إلاّ فتح المدارس العربّية والمعاهد الدّينيّة لإنشاء الأجيال والأبطال الذين لم يزالوا يسعون ويبذلون قصارىٰ جهودهم في تحرير الهند، إلى استقلال الهند. [1]

فالإمام محمَّد قاسم النانوتوي يؤسّس الجامعة الإسلاميّة «دار العلوم ديوبند» بتعاون زملائه ومشورتهم، أمثال: المحدّث الفقيه رشيد أحمد الكنكوهي (المتوفّى ١٣٢٣ه/ ١٩٠٥م) والشيخ ذوالفقّار علي الدّيوبندي (المتوفّى ١٣٢٢ه/ ١٩٠٤م) والحاج عابدحسين

(١) الشيخ أبو الحسن علي الندوي، **مركز العلم والثقافة الإسلاميّة في الهند دار العلوم ديوبند،** مكتب الاحتفال المئويّ للجامعة، ص١ـ ٣ـ ٢ـ ٥ـ ٩ـ ١٠؛ الشيخ أبو بكر غازي فوري، **دور دار العلوم في نشر الثقافة الإسلاميّة، «الجامعة ديوبند، رسالتها وإنجازاتها»** مكتب الاحتفال المئويّ للجامعة، ص ٨١– ٨٢؛ العدد الخاص المئويّ، ص ٨٣.

الدّيوبندي (المتوفّى ١٣٣١ه/ ١٩١٢) والشيخ محمَّد يعقوب النانوتوي (المتوفّى ١٣٠٢ه الموافق ١٨٨٤م) والشيخ رفيع الدّين (المتوفّى ١٣٠٨ه/ ١٨٩٠م) والشيخ فضل الرّحمن العثماني الدّيوبندي (المتوفّى ١٣٢٥-١٩٠٧م) مدرسة صغيرة يوم الخميس ١٥/ محرّم الحرام ١٢٨٣ه الموافق ٣٠/ مايو ١٨٦٦م، في مسجد أثري صغير (يقع في الجانب الجنوبيّ الشرقيّ من الحرم الجامعيّ، اليوم ويعرف بـ «مسجد تشته») كانت نواتها مدرّسًا واحدًا اسمه «الملاّ محمود» وتلميذًا واحدًا كان اسمه «محمود حسن» الذي اشتهر فيما بعد بـ «شيخ الهند الذي قاد حركة تحرير الهند بشكل أثمر الاستقلال» (توفيّ عام ١٣٣٩ه الموافق ١٩٢٠م) وذالك بقرية «ديوبند» التي كانت لاتتمتّع بأيّة ميزة آنذاك، ثم صارت قرية جامعة بفضل هذه المد رسه التي سُميت لدي تاسيسها تسمية بسيطة باسم «المدرسة الإسلاميّة العربّية» ثم طبق صيت القرية «ديوبند» خلال أيّام قليلة أرجاء الهند، حتى تجاوز إلى البلاد النائيّة، حتى صارت الآن مدينة نالت من الشهرة مالم تنله كثير من المدن الرئيسة في الهند، وهي تقع على مسافة نحو ٩٢ ميلا (١٥٠ ك- م-) في الجانب الشمالي من دهلي عاصمة الهند.

يقول عن ذلك الأستاذ الفقيه خالد سيف الله الرحماني:

«لما قام الشيخ إمداد الله المهاجر المكـي وتلميـذه الشـيخ محمَّـد قاسم النانوتوي أصحابهما: برسم الخطط للمحافظـة علـى الإسـلام وتعاليمه: رأوا أن الحلّ الوحيد لهذه المأساة الكبري والأزمّة العفيفـة: إقامة المدارس الدّينيّة، والمراكز الإسلاميّة، وبناء علـى هـذا أسّسـت المدرسة الإسلاميّة العربّية بديوبند كمركز للدّين والشريعة في الهند في عصر حكومة الإنجليز، الذي كانوا يريـدون أن يفرنجـو أهـل الهنـد جميعًـا، بـإطماعهم في الوظـائف والأمـوال، وكانـت، أي الحكومـة الإنجليزيّة، تستعين على إنجاح مخطّطاتها بدعوة التنصير وتعمل عليه صباح مساء في كـلّ بلـدة وقريـة، فلـم يخضـع العـوام لهـذه الـدّعوة فحسب، بل أصبح بعض المسلمين المثقّفين، الذين كـانوا طـامعين في حطام الدنيا، ضعاف العقيدة والإيمان عرضـة لهـذه الـدعوة فأصـبح منهم قسِّيسين ورهبان، ومبشّرين ودعاة إلى غـير الله، يتّبعـون أهـواء قوم قدضلّوا من قبل، وأضلّوا كثيراً وضلّوا عن سواء السبيل.

لقد أسّس الإمام محمَّد قاسم النانوتوي هذه الدار التـي وقفـت في وجه هذه الفنة سدًا منيعًا وأصدرت دونها الأبواب، فأسّـس جـيلاً، وربّـى أجيـالاً، عـدا عـن إلقائـه المحـاضرات، وعقـده المنـاظرات والنّدوات، فناقش المنصِّريـن وأحرجهم،وجـادلهم وأفحمهـم، واتجـه لتأليف الكتاب أيضًـا، فكتـب في عقيـدة التثليـث، والأقـانيم الثلاثـة،

ودعوي أن المسيح ابـن الله ، وإيضـاحات العهـدين الجديـد والقـديم، وثبوت تحريف الكتاب المقدّس، وفضلة النّبي -صلّى الله عليه وسـلّم- على سائر الأنبياء وبعثته، وما إلـى ذلـك مسـتدلاً بالكتـاب المقـدّس، والعقل والفطرة الإنسانيّة، وأتي بدقائق علميّة قلما توجد في غيرها».

الأهداف والجذور الفكريّة لدار العلوم بديوبند:

لقد قامت دار العلوم ديوبند على فهم عميق للإسلام، واتزان دقيق في حساب الأشياء وركّزت اهتماماتها على تثقيف الجيل المسـلم ثقافة إسـلاميّة، وتنشـأتهم تنشـئة سـوية مـع ريـادتهم ريـادة روحيّـة وعلميّة، فعرفت بشدّة التمسك بالشريعة، والجمع بين روح الأمانـة، والمحافظة على الشعائر، والذبّ عن حياض الدّين، والذودِ عن حماه، بجميع القدرات والوسائل الميسّرة.

ويمكن لنا تلخيص الأفكار والمبادي الفكريّة والعقديّة للمدرسة الديوبنديّة بما يلي:

(١) المحافظة على التعاليم الإسلاميّة، والإبقـاء علـى شـوكة الإسلام وشعائره.

(٢) نشر الإسلام، ومقاومة المذاهب الهدَّامة والتبشيريّة، وبذل الجهود في تخليص المسلمين من البدع والخرافات الزائفة، والمعتقـدات الضالّة.

(٣) نشر الثقافة الإسلاميّة ومحاربة الثقافة الإنجليزيّة والحضارة الغربّية التي كانت تنتشر وقتئذٍ، وتجرّ على المجتمع الإسلاميّ ويلًا وشقاء.

(٤) الاهتمام بنشر اللغة العربّية؛ لأنها وسيلة الاستفادة من منابع الشريعة الإسلاميّة.

(٥) الجمع بين القلب والعقل، وبين العلم والبرهان، والإحسان والتزكية.

(٦) التمسّك بالكتاب والسنّة، والاعتماد على فهم الصحابة والسلف في العقيدة والأحكام الشرعيّة.

وقد لخّص هدفها الإمام محمَّد قاسم النانوتوي، مؤسّس هذه الدار، في ردّه على اللّورد ميكالي الإنجليزي، بقوله: «إن غرضنا من التعليم: هو إيجاد جيل يكون بلونه وعنصره هنديا، يتنوّر قلبه وعقله بنور الإسلام، وتموج نفسه بالعواطف الإسلاميّة: ثقافة وحضارة وسياسة».

وذلك ردًّا على القول اللورد ميكالي «إن الفرصة من خطّتنا التعليميّة: هو إنشاء جيل من الهند يكون هنديّ النسل واللّون، أوربّي الفكر والذهن».

نشأتها وتطوّرها:

بدأت دار العلوم بمدرسة دينيّة صغيرة بقرية ديوبند، تأسّست

في ١٥ محرّم ١٢٨٣ه الموافق ٣٠ أيار (مايو ١٨٦٦م) ثمّ أصبحت من أكبر المعاهد الدّينيّة العربيّة في شبه القارّة الهنديّة.

وفي عام ١٢٩١ه تمّ إنشاء البناء الخاص للجامعة، بعد بقائها تسع سنوات في ساحة المسجد الصغير الذي يسمىّ بمسجد «تشته» وكانت الدروس تعطى في الهواء الطلق.

ثم توسع نطاقها، وتفجّرت منابعها، حتى أصبحت تُعرف: بأزهر الهند في جميع أنحاء العالم، يقول العلامة أبو الحسن علي الحسن الندوي: «إن جامعة ديوبند: ليست جامعة دينيّة فقط، جاز تسميتها بأزهر الهند من كلّ وجه، بل هي تفوق الجامع الأزهر بمصر من بعض الوجوه والنواحي».

ولاريب أن دار العلوم مدرسة فكريّة، عميقة الجذور، طبعت كلّ خرّيج منها بطابعها العلميّ الخاص، حتى أصبح ينسب إليها «بالديوبنديّ» أو ينسب إلى مؤسّسها «بالقاسمي».

والجامعة معروفة بإسهاماتها الفعالة في حركة تحرير البلاد من براثن الاستعمار الإنجليزي الغاشم، ولهادور بارز ومتميز في إثارة حركة التحرير، وإثارة الحقد والكراهيّة في نفوس الشعب الهنديّ ضدّ الإنجليز.

ولاتزال هذه الجامعة تؤدّي خدمات جليلة لإيجاد جوّ

الإنسجام والوئام فيما بين سكّان البلاد وإصلاح المجتمع الهنديّ بشكل، والمجتمع المسلم بشكل خاص، وتخليته من مظاهر الفساد والدمار، والسعي لتبادل المودّة والألفة فيما بين المواطنين من المسلمين والهندوس سواء بسواء.

كما أن لها فضلًا كبيرًا في نشر العلوم الإسلاميّة، والتوعية الإسلاميّة، وإعداد الدّعاة الصالحين والاحتفاظ بالتراث الإسلاميّ، والعلوم الدّينيّة، والعقائد الإسلاميّة، والشعائر الدّينية السمحة، ومتابعة المسيرة الإصلاحية في أحسن تقويم لتعدّ حقّا بمثابة نهضة حضاريّة عظيمة للمسلمين.

وقد كان أبناء هذه الجامعة يدركون حقّا مسؤليتهم تجاه الأمّة فقاموا بدور مثاليّ في قيادة الحركات الإسلاميّة، وإنقاذ الشعب المسلم من الجاهليّة، والشرك. [1]

وهؤلاء المجاهدون الذين قاموا بإنشاء دار العلوم ديوبند التي صارت أكبر معهد ديني عربّي في الهند والبلاد الأسيويّة الشرقِيّة. وقد واصلوا جهادهم في سبيل حماية المسلمين وأخلاقهم وعقيدتهم من شرورِ المستعمرين، وتشدّدوا في ذلك حتى خاصموا كلّ ثقافة إنجليزيّة، بل كلّ ملبسٍ ومظهرٍ إنجليزيّ، ولازال هذا المبدأ سائدا في

(١) خالد سيف الله الرحماني، **الإمام النانوتوي**، ٣٥-٤٥.

هذه المدرسة وأمثالها للآن، ويعتبر ذلك مثلاً حيا في المحافظة على كيان المسلمين [١]

وكان الإمام محمَّد قاسم النانوتوي لا ينظر إلى هذه الجامعة كمعهدٍ يقوم بتدريس العلوم والمواد الدراسيّة ويخرِّج الفقهاء والمعلّمين فحسب، بل ينظر إليه كمركز و«ثُكنة» تخرِّج المكافحين والدّعاة الذين يفتحون جبهة جديدة لكفاح بعد ما لقي المسلمون الهزيمة المنكرة في الإنجليز المحتلِّين، وانقرضت الدولة الإسلاميّة في الهند. [٢]

يكتب الشيخ «مناظر أحسن» الكيلاني في «سيرة حضرة الشيخ»:

«قد اشتغل عقله الكبير في فتح الجبهات الجديدة وتهيئَة مجالات الكفاح بعد ما أخفقَت ثورة عام ١٨٥٧م، وكان نظام التعليم والتربية السّائد في «دار العلوم ديوبند» عاملاً أساسيا لحقيق هذا المنهج الذي آثره الشيخ النانوتوي.

إن الذين تراجعوا من ساحة «شاملي» لم ينقطعوا عن التفكير، ولم يضعوا أوزارهم وسلاحهم، بل بقي هؤلاء يكافحون لبقاء الدّين والعلم الدّيني.

واشتغلت به عقولهم وقلوبهم، ينتظرون من الله النصر وكان ضمن هذه الجهود هذه المدرسة التي لم تكن غايتها التدريس والتعليم

(١) الدكتور عبد المنعم النمر، **تاريخ الإسلام في الهند**، ص ٤٤٣.

(٢) الشيخ أبو الحسن علي الندوي، **الصّراع بين الفكرة الإسلاميّة والفكرة الغربيّة في الأقطار الإسلاميّة**، المجمع الإسلاميّ العلمي، كاكوري آفسيت بريس، لكناؤ، ص ٦٤.

فحسب، وإنّما كان من غايتها الأساسِيّة تربية رجال يتداركون الهزيمة التي لحقت المسلمين في عام ١٨٥٧م-» [١]

الشهادات لشيخ الهند:

ولما أصبح شيخ الهند محمود حسن الديوبندي مدرِّسًا، بدأ يغرس في قلوب الطلاب هذه الفكره -فكرة الجهاد- التي حملها من الشيخ محمّد قاسم النانوتوي، وقام شيخ الهند بالجمعيّات «ثمرة التربية»، وجمعِيّة الأنصار» وغيرها تهدِف إلى تدريب النَّاس وتربية الرِّجال وتحريضهم للمقاومة ضدّ الإنجليز، ولذا أسَّس أستاذه الشيخ النانوتوي «دار العلوم ديوبند» لتكون تفاديا لثورة عام ١٨٥٧م، كما يقول في جواب سؤال سماحة الشيخ مولانا «حبيب الرحمان» نائب الرئيس للجامعة بالسبق: «هل كان حضرة الشيخ أسّس الجامعة للدرس والتدريس والتعلُّم والتعليم فحسب،؟!! أسّست الجامعة بين يديّ، وإلى ما أعلم؛ أسّست بعد ماأخفقت عام ثورة ١٨٧٥م، تلافيا لها-[٢]

وفي النهاية قال: وممن كان أهدافه وأغراضه الدرس والتدريس لاغير، فلا أكون مزاحما ومخلِّلاً في سبيله، ولكني انتخبت لنفسي ذلك السبيل الذي قام له الأستاذ بالجامعة في اعتقادي» -[٣]

---

(١) الشيخ مناظر أحسن الكيلاني، **سوانح قاسمي**، ج٢، ص ٢٣٢- ٢٣٤- ٢٣٦.

(٢) الشيخ مناظر أحسن الكيلاني، دار العلوم ميں بيتے هوئے دن، **(أيام مما مضت في دار العلوم ديوبند)**، مكتبة طيبة ديوبند، ص ١٧٠.

(٣) المرجع السابق، ص ١٧١.

دارالعلوم ديوبند كسد منيع للحكومة الإنجليزيّة:

ومـن العلـوم أن تأسـيس هـذه المدرسـة في أصـعب ظـروفٍ سياسيّة واجتماعيّة للمسلمين في الهند، إثر سـقوط الحكـم الإسـلامي وغزو الغربي، نتيجة لاستيلاء الإنجليز على الهند، واحتضانهم لحركة التنصير والتغريب ثقافيا وعقائديا، فكان تأسيس مدرسة ديوبند كسْدٌ منيعٌ في وجه هذا السبيل العارم وقاعدة منيعة للصُّمود والمقاومة، ولم تقتصـــر جهـود علـماء ديوبنـد علـى الاحتفـاظ بـالعلوم الإسـلاميّة ونشرها، بل تعَدَّت إلى المقاومة العمليّة عنـد الاسـتعمار الـذي كـان مكبّا على محو الوجود الإسلامي واستعبادهم في الهند- (١)

ومن سمات العلماء والمتخرّجين في هذه الجامعات أنهم كانوا في طليعة المناضلين لتحرير البلاد وإجلاء المستعمرين، وفي مركز القيـادة في هذه الحركة الشعبِيّة القويّـة، ومـنهم انبثقـت فكـرة النّضـال ضـدّ لاحتلال في الحقيقة، وقد قاد كثير مـنهم حركـاتِ المقاومـة الفعَّالـة، والثورات المسلَّحة بمقدرة وشجاعة، فمنهم من قُتل شـهيداً، ومـنهم من شُنِق، ومنهم من نُفي إلى جزائر «إندومان» أو إلى منفـي جزيـرة «مالطة» ومنهم من قضيٰ شطراً من حياته في السُّجون والمعـتقلات في داخل البلاد- (٢)

(١) الجريدة، مائة وسبعة عشر عامًا للجامعة... **نقلاً عما قاله الشيخ واضح رشـيد النـدوي في جريدة «الرائد»** عن «جامعة ديوبند».

(٢) الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي، **المسلمون في الهند**، ص ٢٠٣.

وإن هذه الجامعة قـد لعبـت دورًا فعَّـالاً في تثقيـف المسـلمين، والمحافظة على الدّين، وفي نشر الثقافـة الإسـلاميّة في أرجـاء الهنـد كلّها، كما لعبت دورًا مجيداً في صنع الأفراد للمقاومة ، ضدَّ الاستعمار البريطانيِّ وغرس فكرة الجهاد في قلوب الناس، حتى أصـبحت هـذه الجامعة كقلعه الإسلام ضدّ المستعمرين-[(١)]

الجامعة حركة عالميّة لإحياء الدّين القيّم:

جدير بالاعتنـاء أن كارثـة انقـراض دولـة المسـلمين في الهنـد، وانتهاء آثارهم العلميّة والدّينيّة لم تكن كارثة محليّة ذات أبعاد محـدودة وإنما كانت كارثة دوليّة، حيث تأثّرت بها دول العالم الإسلاميِّ كلهـا، فأصبحت فريسة الاستعمار وحرمت من الحرّيّة، هكذا لم تكن الإمـام النانوتوي في «ديوبند» حركة محلِّيّـة محـدودة، وانـما اتَّسـعت رقعتهـا، حتى انتشرت في جميع أنحاء العالم، وكان أحسَّ بعالميّة هذه الحركـة في بداية الأمر، وأدرك ما يؤدّي مجهوداته إلى الأثمار الناضجة الحلـوة في صورة الرسالة المحمَّديّة المنتشرة في أقصي بـلاد الأرض، فكـما كانـت كارثة الهند عالميّة، كانت هذه النهضة العلميّـة واليقظـة الدّينيّـة أيضًـا ذات صِبغة عالميّة، ونطاقها لم ينحصر في إطارالدّين والشريعة، وإنـما

(١) الشيخ معراج أحمد، شيخ الهند محمود حسن الديوبندي، وكفاحـه في تحريـر الهنـد مـن الاستعمار البرطاني، ص ١٧١ـ ١٧٢.

تجاوز حتى وسع جميع العالم؛ وانتفعت بها الأقوام والشُّعوب والدُّول والحكومات. [١] ولمّا استقلّت الهند، وتحرَّرت بعد مرور مائة عام من مجهودات العلماء وأولاد الإمام النانوتوي معنويًّا.

بدأت تتحطّم أغلال الاستبعاد عن الدول الإسلاميّة الأخري التي كانت تكبَّلت وتقيّدت بها، وزال حجر عثرة عن طريق دين الإسلام ورسالته الخالدة، ثم انتشرت أشعَّة هذه الجامعة العلميّة المستمدَّة من نوره الله -تعالىٰ- في جميع قارّة «آسيا»، بل في «افريقيا»، و«أوربّا»، و«أمريكا»، و«بريطانيا»- [٢]

والحقيقة أن فضل استقلال البلاد المختلفة يرجع إلى الجامعة الإسلاميّة دار العلوم ديوبند،؛ لأن علمائها ومشيختها قد لعبوا طليقاً في مطاردة الاستعمار البريطانِي، وقاموا بخدمات غالية في شتّى مجالات الحياة السياسِيّة والثقافيّة والاجتماعيّة للمسلمين، كما ساهموا في النشاطات العلميّة والدراسيّة والأخلاقيّة والتربويّة، وبدأوا ينفخون في نفوس الشعب المسلم الهنديِّ، روحَ الحرِّيّة منذ عام ١٨٥٧م، ومن سواهم من المواطنين الهندوكيّين، فهم كانوا في سُبات

(١) كلمة الترحيب بالمشاركين في الاحتفال المئويّ للجامعة الإسلاميّة دار العلوم ديوبند لفضيلة الشيخ المقري محمّد طيّب، رئيس الجامعة سابقاً، مكتب الاحتفال المئويّ، ص ١٠-١١.

(٢) المرجع السابق، ص ١١.

عميق أو في خوف وذَعر أو في التجاه والتملق؛ ولكن علماء الجامعة الربّانيين كافحوا ضدّ الإنجليز الغاصب أولاً بالسيوف والأسلحة الحربّية، وقامت معركة «شاملي» المعروفة، وبالأسلحة المعنويّة والعلمّيّة ثانياً، فهذه الأسلحة العلميّة والمعنويّة كانت أشدّ نفاذًا وأكثر تاثيراً قد أقضت مضجع العدوّ المستعمر، فلم يسعه إلاّ أن يهرب من هذه البلاد ومن الدول الأخرى.[1]

الجامعة في نظر حكومة الإنجليز:

كان من العلماء الذين أسَّسوا الجامعة من خالفوا حكومة الإنكليز علانية، وقاموا بدور ثوريٍّ ضدّها، وكافحوا عام ١٨٥٧ جنودها، فكانت تخاف حكومة الإنكليز هذه الجامعة، وتوجس في نفسها خيفتها، بل مازالت تجسَّس على ما يجري فيها، وتراقبها مراقبة سِرِّيّة، ففي عام ١٢٩١ه الموافق ١٨٧٥م أرسل عامل ولاية «أترا براديش» الإنكليز معتمده الخاص «جون ناصر» لاستعراض ظروف الجامعة ونشاطها وإعداد الصحيح نحوها، فاستعرضها وعرض تقريره على العامل الإنكليز، بما كان فيه مدح وثناء بأن يقول:

«إن أهل دار العلوم، علماء صالحون، يتمتعون بطبائع سليمة وقرائع طيبة الخ»[2]

(١) المرجع السابق.

(٢) الجريدة، مائة وسبعة عشر عاما للجامعة، ص ٣٨.

وفي مرة ثانيّة زار الجامعة عامل ولاية «أترابراديش» الإنكليز «سوجيمس» بنفسه عام ١٣٢٢ه، وكان يعلم اللغة الأرديّة جيداً، فأثني على إدارة الجامعة وأشاد بدراستها رغم مخالفته إيّاها، وبذل الجهود لهدم كيانها. (١)

إن الحركة التي قام بها علماء الجامعة الأبطال لتحرير الهند ثمرة توعية الإمام الأكبر محمَّد قاسم النانوتوي، وتوجيهاته فهم بذلوا التضحيّاتِ حسب إمكانيّاتهم والوسائل المتوفّرة لديهم، وتحمّلوا صعوبات عظيمة ومشقّات شديدة، واستمرُّوا في النِّضال والكفاح ضدّ الإنكليز، وقام شيخ الهند محمود حسن الديوبندي بحركة «المنديل الحريريّ» فتجشّم مع أصحابه صعوبة الاعتقال، في جزيرة «مالطة» وما سواهم من تلاميذه من أبناء الجامعة مَن قاوموا الإنجليز مقاومة مغامرة، وأرسِلوا إلى السُّجون فأصيبوا هناك بالمصائب التي تهلع القلوبُ بعد السمع عنها؛ ولكن لم يمتعنوا عن بذل السَّعي لحركة أستاذهم «شيخ الهند» وأستاذ أستاذهم «حجّة الإسلام» ، فعاقبة الأمر، تحرّرت الهند واستقلّت في ١٥ «أغسطس» عام ١٩٤٧- (٢)

فشعر علماء الجامعة بالسرور البالغ والابتهاج الشامل أكثر من

(١) المرجع السابق، ص ٣٩.

(٢) المرجع السابق، ص ٣٩.

غيرهم، وخطب بتلك المناسبة فضيلة الشيخ المقري «محمَّد طيّب» رئيس الجامعة سابقاً ليلة ١٦/ أغسطس أمام جمعٍ من العلماء والطلاّب وسكّان البلدة، فيما يلي كلّمات من خطبته.

«يبقى يومنا هذا في تاريخ الهند ذكرى خالدة، فإن الحكومة العظيمة القويّة تفني اليوم بسهولة، لا يوجد مثالها في تاريخ العالم، نحن نرحّب بجميع سكّان الهنود على هذه الثورة الناجحة.

ويعدّ نُكران الجميل، إذا لم نذكر العلماء الذين قاموا بحركة الحرِّيّة في وقت لم يكن فيه فكر الحرِّيّة والاستقلال، وكان هؤلاء العلماء الأبطال من تلاميذة الإمام الحكيم «ولي اللّٰه بن عبد الرحيم الدهلوي» الذين لم يكافحوا الإنكليز بالأقلام فقط، وإنما قاوموهم بالسيوف والأسلحة أيضًا، ومازالوا في هذا الجهاد الدامي من مائتين سنة، حيت كان يحمل الإمام الأكبر الشيخ محمَّد قاسم النانوتوي، والعلاّمة الشيخ رشيد أحمد الجنجوهي، فكرة الحرِّيّة عام ١٨٥٧م ويتدفّقان بالعواطف الجياشة نحوها.

وبعد فاتها أدار هذه الحركة «شيخ الهند» محمود حسن الديوبندي مع أصحابه.

فلما انتقلت هذه العاطفة بواسطة المسلمين إلى سكّان الهنود، فهم قاوموا ونهضوا، فاجتمعت جهود المسلمين والهنود، وقويت

الحركة، حتى انتجت التي نشهدها اليوم ونتمتّع بها، فاليوم يوم الحريّة، كما نشعر بالسرور الوافر وا ابتهاج البالغ». [١]

خدمات الجامعة الاجتماعيّة والسياسيّة:

ومما يجدر بالذكر أن الجامعة لم تجر نشاطاتها في مجال الدرس والتدريس فحسب، بل ساهمت ولاتزال تساهم في الأمور السياسيّة والاجتماعيّة مساهمة فعَّالة بدون خروج من نطاق الشريعة.

إن مآثر علماء الجامعة في السياسة معالم الطرق للآخرين، فانهم اقتفوا آثار المجاهدين في سبيل الله، السيّد أحمد الشهيد البريلوي والشيخ إسماعيل الشهيد الدهلوي والشيخ الإمام قاسم النانوتوي، والشيخ رشيد أحمد الجنجوهي، ثم قام بهذه الحركة النضالية ضدّ الإنكليز، تلميذ الإمام الأكبر شيخ الهند محمود حسن الديوبندي، وقام بحركة سياسيّة معروفة بخطّة الرسائل الحريريّة عام ١٩١٥ م، وأنشا مركزها في «أفغانستان» ، وفي شتَّي الدُّول، فرافقه الشيخ عبد الله السندي، والشيخ محمَّد مياں المعروف بالشيخ منصور الأنصاري، والبطل المكافح الشيخ حسين أحمد المدني، واستشهد آلاف من الناس في هذا الجهاد الباسل، وبقي كثير منهم غزاة في سبيل الله، وأما قائد

(١) المرجع السابق ،ص٤٠.

هذه الثورة «شيخ الهند»، فهو ذاق بنفسه مرائر الحبس والاعتقال في جزيرة «مالطة» وبعد الإطلاق أقام جمعيّة علماء الهند للتحقيق هذ الهدف السامي، فأشرف عليها مدة، والآن تقوم هذه الجمعيّة بخدمات الإسلام والمسلمين، وتجري أمور إدارتها تحت إشراف علماء الجامعة -اللّٰهم زد فزد-.

وساهم هؤلاء العلماء في حركة الخلافة عام ١٩٢٠م، ثم في حركة تحرير الهند عام ١٩٣٠م، ولما ثارت حركة تحرير «فلسطين» أصدرت الجامعة الفتوىٰ أولاً ضدّ الصهيونيّة والاستعمار البريطانيِّ، واحتجَّت احتجاجاً صارخًا، وجمعت جماعات المسلمين المختلفة على رصيفٍ واحدٍ ووحدة كلمتهم، فجعلتهم متحابِّين، وكلّما ثارت النزاعات والاختلافات في المسائل الفرعيّة لتشتيت شملهم وتمزيق جمعهم، أنشأت لإجراء الشؤن الإداريّة للمسلين باسم المجلس الاستشاريِّ لمسلمي الهند، وتستحقّ الجامعة في ضوء تاريخها الذهبيّ المجيد الحافل با البُطولات والأمجاد، عناية علماء العالم الإسلاميِّ، وقيادة الدول في مجال العلم والدراسة، والمدنيّة والحضارة، والاجتماعيّة، فإن علماء الجامعة قاموا مع علماء البلاد الأخرى ضدّ كلّ حركة مسَّت كرامة الدين الحنيف، وكدرت صفوة حياة المسلمين الاجتماعيّة؛ لا سيّما قام علماء الجامعة في وجه الحركاة الهدامة التي

بدأت في العالم الإسلاميِّ، كما قاموا لمواجهة الفتن والحركات المعادية للإسلام في الهند [(١)]

إن تاريخ هذه الجامعة حافل بمثل هذه المآثر والخدمات الجليلة والإنجازات الرائعة.

يمكننا أن نلخّص رسالة دار العلوم وأهدافها في جملتين:

بأن نقول: «كان هدفها ورسالتها، هوا ستعادة مجد المسلمين الغابر واسترجاع الحكم المغصوب، والمحافظة على التعاليم الإسلاميّة والعلوم النبويّة بكلّ شعبها ونواحيها- [(٢)]

ملخّص الكلام:

وبالجملة فإن هذه حقيقة ساطعة أن خدمات دارالعلوم بعد عام ١٨٥٧م، في نواحي الحياة العلمِيّة، والروحيّة، والفكريّة، والعقلِيّة، والاجتماعيّة، والسياسيّة؛ جديرة بأن تكتب بماء الذهب في تاريخ الهند الإسلامي.

(١) كلمة الترحيب بالمشاركين في الاحتفال المئويّ لفضيلة الشيخ المقري محمّد طيب، ص ٢١-٢٠-١٩.

(٢) فضيلة الأستاذ وحيد الزماں الكيرانوي، **رسالة دار العلوم وأهدافها، (جامعة ديوبند رسالتها وانجازاتها)**، لجنة النشر والطباعة لمكتبة الاحتفال المئوي للجامعة دار العلوم ديوبند، ص ١ الداعي العدد الخاص المئويّ، ص ٧٧.

فإن هذه الجامعة قلبُ المسلمين النابض في شبه القارّة الهنديّة، ومازالت تحافظ على القيم الأخلاقيّة، والثقافة الإسلاميّة، والغيرة الدّينيّة، وتربّي المسلمين تربية دينيّة، وما زالت مركزا عظيمًا للعلوم الشرعيّة والمعارف الإسلاميّة، وقلعة منيعة للذود عن معتقدات أهل السنّة والجماعة، وللمحافظة على كيان الإسلام وشعائر الدّين.

الفصل الثاني: مجهودات تلامذة الإمام النانوتوي في سبيل تحرير الهند من براثن المستعمرين

إن الأوضاع في البلاد وطبيعة الشيخ لم تدع له فرصة، أن يلقي عصاه في مدينة أو يدرّس في مدرسة، وإنما ظل منتقلاً من قرية إلى أخري ومن مدينة إلى أخري خدمة للإسلام وجهادًا في سبيله، إلا أنه كان يدرِّس خلال رَحْلاته وقُدماته ومُكثاته. (١)

وقد تلمّذ عليه عدد كبير من الطلاب الذين كانوا دائمين متواصلين في سبيل تحرير الهند، وعلى رأسهم شيخ الهند «محمود

(١) الشيخ محمّد ساجد القاسمي، حجّة الإسلام، (تعرب حجّة الإسلام للنانوتوي)، أكاديميّة شيخ الهند، ديوبند، ص ٣٨.

حسن الديوبندي» الذي كان خليفة له في الدّين والسياسيّة، وله دور مجيد في السعي لاستعادة مجد الإسلام القديم في الهند، والإخلاص والتفاني في سبيلها والعداء الشديد للإنجليز والحماسة للقضيّة الوطنيّة، إن تأثير الأستاذ محمَّد قاسم النانوتوي قد أدّى دوراً فعّالاً في تكوين شخصيّة شيخ الهند، وتقويم الفكر الجامع على المنهج الصحيح، حتى أصبح خليفة له، وحمل دعوته وكرَّس حياته كلّها للدعوة الإسلاميّة وإصلاح الدّين، وقام بمحاولات كثيرة في مجال الدعوة وإصلاح المجتمع وإيقاظ المسلمين من سُباتهم العميق، وتوحيد صفوف المسلمين والهندوس ضدّ الاستعمار البريطانيّ- [(١)]

المخطّطات لشيخ الهند:

إن شيخ الهند قد وضع خطّة سياسيّة، وكانت تهدف هذه الحركة إلى القضاء على الحكومة الإنجليزيّة الغاشمة في الهند، وبالتالى في سائر المستعمرات البريطانيّة، وذلك باستخدام القوّة المسلَّحة- [(٢)]

لم تظهر هذه الحركة على صفحة الأرض فجأة، بل إنما كانت نتيجة لمحاولة شيخ الهند التي امتدت على حوإلى خمسين عاماً، [(٣)]،

(١) الشيخ حسين أحمد المدني، **نقش حياة**، ج ٢، ص ١٧٢-١٧٣-

(٢) الشيخ أسير الأدروي، *شیخ الهند،حیات اور کارنامے*: (**شيخ الهند: حياته ومآثره**)، ص ١٦٧ .

(٣) المؤرّخ السيّد محمّد مياں، علماء حق اور ان کے مجاهدانہ کارنامے، (**علماء الحق وأدوارهم النضاليّة**)، فيصل ديوبند، ج ١، ص٩٤.

وكما ذكرنا سابقًا أن شيخ الهند كان من أتباع الشيخ محمَّد قاسم النانوتوي الذي شارك في الثورة الكبري عام ١٨٥٧م بكلّ حماس وطني ونشاط ملموس، ولعب دورًا فعالاً في مقاومة العناصر التخريبيّة، وبعد ما أخفقت هذه الثورة، قام بتأسيس « دار العلوم ديوبند» كي يستخدمَ أساليب جديدة أخرى لمطاردة الإنجليز من بلادهم، ويربِّي أجياله تربية إسلاميّة بعيدة عن تيّار الاستعمار الإنجليزي ، كما أراد أن يغرس في نفوس الطلاّب حميّة الدّين، وكراهيّة المستعمر، وروح الجهاد عن طريق تربية خاصّة للمقاومة ضدّهم-[1]

وكان شيخ الهند، هو أوّل متخرِّج فيها، فصاحبه ورافقه مدَّة طويلة، وانتفع به وأخد منه هذه الفكرة- فكرة الجهاد- حتى أصبح تعبيراً صادقًا لأحلامه، إذ أنه اتّخذ طريقه في تشريد الإنجليز، بالقوّة العسكريّة المسلَّحة، فلأجل ذلك أسَّس «ثمرة التربية»، و «جمعيّة الأنصار» ، و«نظارة المعارف» لحشد الأفراد تحت لواء هذِه المنظَّمات للمقاومة ضدَّ الإنجليز الغاصِبين، وظلَّ شيخ الهند ينفخ روحَ حبّ الدّين، وروح الوطنِيّة، وفكرة الجهادفي نفوس الطُّلاّب، من خلال دروسه، ويعدُّ الأفراد للكفاح والنّضال، لأنه كانت أمامه الأهداف التي لأجلها قامت دار العلوم بديوبند، كما يقول الشيخ حسين أحمد

(١) الدكتور عبد المنعم النمر، **كفاح المسلمين في تحرير الهند**، ص ٩٣.

المدني عنه، وهو خليفة له في الدّين والسياسة، «وكان من عادة شيخ الهند أن يلقي الدَّرس في حب الوطن،ويرتكز تركيزًا خاصاً على الآيات القرآنيّة للجهاد، ويحثّ الطُّلاب عليه، وعندما وجد شعلة الجهاد في طالب، يختاره ويربِّيه تربية خاصّة ويبايعه على الجهاد»- [(١)]

ولما وقعت الحرب العالميّة الأولى، واشتغلَّ المستعمرون في شؤونهم الداخليّة، أراد شيخ الهند أن ينتهز هذه الفرصة ضدّهم؛ لأنه رأى أن هذا هو الوقت المناسب أن تُقام الثَّورة ضدَّ الحكومة الْإنجليزيّة، فأعدّ خطّة سِرّيّة بدقَّة تامَّة، وحصل على مساعدة عدد كبيرٍ من كبار الشَّخصيّات في طول البلاد وعرضها، كما حصل على دعمٍ ومساعدة حكومة «أفغانستان»، و«الخلافة العثمانيّة»، «وألمانيا» وهذه الحركة الثوريّة، تهدف إلى قضاء الحكم الإنجليزيِّ من الهند، ولتحقيق هذ الغرض النبيل أرسل تلميذه البارّ «الشيخ عبيد اللهّٰ السندي»، و«الأمير مهندر برتاب سينغ»، «والبرودوفيسر بركت اللهٰ خان» إلى أفغانستان، حيث قاموا بتأسيس حكومة هنديّة مؤقّتة وعقدوا اتفاقيّة مع «روسيا» و «تركيا» و«ألمانيا»، واتفقوا على أن تقام الثورة في داخل الهند، يهاجم عليها من الخارج قاسية لاستخلاص

(١) الشّيخ حسين أحمد المدني، **نقش حياة**، ج ٢، ص ١٧٣- ١٧٤.

الوطن من براثن الاستعمار- [١]

انشكاف المخطّطات:

ومن سوء الحظ انكشف السرّ وعلم الحكّام الإنجليزيّ هذا المخطَّط، واطّلعوا على الخرائط التي كانت مرسومة على منديل حريريٍّ، ولذا اشتهرت هذه الحركة بـ«حركة الرّسائل الحريريّة» (أي) «ريشمي رومال» فألقي القبض على شيخ الهند ورفقائه وسُجنوا في «مالطة» وهكذا فشلت هذه الحركة؛ [٢] ولكنها خلفت آثارها في الحركات التحريريّة الأخري، ومهّدت السبيلَ لحركة أخرى على هذه النمط، على سبيل المثال: (القوات للهند المستقلّة) «آزاد هند فوج» لسباش جندر بوس». فطوبٰى لهؤلاء الأبطال الذين ضحَّوا بأنفسهم وأموالهم وبكلّ ما لديهم من الطاقات والقدرات في سبيل تحرير الهند واستقلالها- [٣]

قامت الجمعيّة لعلماء الهند:

وبعد رجوعه من «مالطة» في عام ١٩٢٠م، إثر نهاية الحرب

---

(١) المؤرّخ السيّد محمّد مياں، **تحريك ريشمي رومال، (حركة المنديل الحريريّ)**، الجمعيّة بكدبو دهلي، صفر ١٣٩٥هـ/ مارس ١٩٧٥، ص ٦٧-٦٨-٦٩.

(٢) المرجع السابق، ص٧٢-٧٣.

(٣) الشيخ معراج أحمد، **شيخ الهند محمود حسن، وكفاحه في تحرير الهند**، ص ١٦٢.

العالميّة الأولي، رأى شيخ الهند أن الهند امتلأت بهتافات استقلال الهند، وأنَّ بعض قادة المسلمين تعاونوا مع قادة حِزب المؤتمر الوطنِيّ لتحرير الهند، وكان المسلمون متحمّسين للحفاظ على الخلافة العثمانيّة، فقرَّر شيخ الهند إقامة جمعيّة علماء الهند لقيادة المسلمين في الشؤن الدّينيّة والاجتماعيّة والتعاون مع حزب المؤتمر الوطني من أجل تحرير الوطن، وقال لزعماء المسلمين في الهند: «إن استخلاص الوطن من سُلطة الإنجليز من واجبات المسلمين فيلزمهم أن يواصلوا جهادهم بالاشتراك والتعاون مع المواطنين الآخرين؛ لأنهم إن حاربوا منفردين لم يتمّ لهم النجاح، بل يعودون خائبين- (١)

أكّد شيخ الهند في مختلف المناسبات بأنه لا بدَّ من الوحدة الطائفيّة من أجل النَّضال ضدّ الإنجليز، ولتحتقيق تحرير الوطن، ولكن لهذه الوحدة الطائفيّة حدود، وهي أن لاتعارض حدود اللهٰ، وأن لا تتدخّل أيّة طائفة في الشؤن الداخلِيّة لطائفة أخري، وكذالك لابدّ من مراعاة عواطف المختلفة في الشؤن السياسيّة- (٢)

يصدر شيخ الهند الفتاوى:

أصدر شيخ الهند الفتوى في تحريم الموالاة والتعاون مع

(١) المرجع السابق، ص ١٨٩

(٢) المرجع السابق، ص١٨٩.

الإنجليز، وقد وقَّع عليها خمس مائة عالِمٍ، ولذا قبضت الحكومة الإنجليزيّة على كبار العلماء وأدخلتهم سجن «كراتشي» ثم بدأ شيخ الهند يجول في مختلف الأماكن في البلاد مع كبر سنّه وضعف بدنه وشدّة مرضه، ويحثّ المسلمين خاصّة والمواطنين الهنود عامّة، على التعاون مع حزب المؤتمر في حركة عدم الموالات ضدَّ الحكم الإنجليزي.

فحاضر وخطب في كلّ أرجاء الهند [١] وكما شارك في جميع النشاطات للجامعة المليّة الإسلاميّة، فأسَّس الجامعة المليّة الإسلاميّة في دهلي إنشاء للفكرة القوميّة والحميّة الوطنيّة- [٢]

شيخ الهند، نفوره من الإنجليز:

وكان شيخ الهند أكثر الناس غيظا على الإنجليز، يقول عن ذلك، الشيخ ابو الحسن علي الندوي: «كان رئيس أساتذه دار العلوم ديوبند مولانا محمود حسن الذي اشتهر بعد، بلقب شيخ الهند، من كبار الحاقدين على الحكومة الإنجليزيّة، ولا نعرف أحدًا بعد «السلطان تيبو» من يبلغ مبلَغه في عداء الإنجليز والاهتمام بأمرهم، ومن كبار أنصار

(١) الأدروي، **شيخ الهند: حياته ومآثره**، ص ٢٨٧ـ ٢٨٨ـ ٢٨٩.

(٢) المؤرّخ السيّد محمّد ميان، *علماء حق اور ان کے مجاهدانه کارنامے*، **(علماء الحق وأدوارهم النضاليّة)**، ص ١٤٨.

الدّولة التي كانت زعيمة العالم الإسلاميِّ، وحاملة لواء الخلافة، وكان من كبار الدُّعاة إلى استقلال الهند وتأسيس الحكومة الوطنيّة الحرّة، وكان من الذين ملكتهم هذه القضيّة وتفاني فيها»- [(١)]

وإنه لم يهدف إلاّ أن يصْنَع الأفراد للكفاح ضدّ الاستعمار البريطانيِّ واستخلاص الوطن من براثن الإنجليز، فبذل كلّ ما في وسعه في صُنع الأشخاص وتربية الرِّجال ضدّهم وهيّأ جماعة من تلاميذه الذين ساهموا في حركة التحرير لُمطاردة الإنجليز في حياة شيخهم وحتى بعد وفاته إلى أن تحرّرت بلاد الهند.

قد لعب شيخ الهند دوراً هاماً في تحرير الهند بمتنوِّع من الطُّرق لاستخلاص الوطن من براثن الإنجليز، وهكذا أدّى الأمانة التي حملها من الشيخ محمَّد قاسم النانوتوي، وبلغ رسالة الجامعة «دار العلوم ديوبند» التي لأجلها قامت، وهي المقاومة ضدّ الإستعمار البريطانيِّ.

---

(١) الشيخ السيّد أبو الحسن الندوي، **المسلمون في الهند**، ص ١٦١-١٦٢

الخاتمة

خلاصة البحث أن حجّة الإسلام مولانا محمَّد قاسم النانوتوي، هو أكبر قائدٍ عرفته الأمّة الهنديّة في تاريخ البلاد، وقد عجِب بعض الناس من أنه كان ينتمي إلى أسرة دينِيّة، وكان عالماً كبيرًا وبارعًا ومتقنًا لعلم الحديث والفقه الإسلاميِّ، لا علاقة له بالسِّيادة والقيادة، وبالرغم عن ذلك لعِب دورًا هامّاً في مصلحة الوطن وفي إيقاظ القوميّة في الهنود وفي سبيل تحرير البلاد، هذا أمر لا يتوقَّع لتحقيقه من مثل هذا الرَّجل، وفي الواقع هذا ليس غريبًا وعجيبًا.

لو ألقينا نظرة عابرة على تاريخ الحكم الإنجليزي في الهند، لوجدنا أن الهنود كانوا ضدَّ حكومة الشركة الهنديّة الشرقيّة الغاشمة وسياستها الفاسدة منذ البداية، وبالتالى لم تكسب الحكومة الإنجليزيّة تاييد الشعب الهنديِّ قط.

إن الظروف في الهند، بدأت تتغيّر عقب دخول القوّة الاستعماريّة؛ لأن النِّظام الاستعماري قد فتح باباً جديدا في تاريخ الهند، وجعل الإنجليز من إحكام السيطرة السياسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة والثقافيّة مع امتداد الإستيلاء على أرجاء الهند المختلفة،

وإن شركة الهند الشرقيّة قد رَسَخت أقدامها في الهند.

وكان الإمام الأكبر محمَّد قاسم النانوتوي ممثّلا لهـذه الأجيـال الناشئة البعيدة عن التيّار الاستعماريِّ، فنشأ وترعرع في العصر الـذي كان مليئا بالأحداث والوقائع، مُثيراً للخواطر، فـلا بـدّ أن يتـأثر هـو بتلك الأوضاع الاجتماعيّة والسياسيّة والاقتصاديّة.

ومما لاينكره أن تلـك اللحظـات القاسـيّة التـي كـان يمُّـر بهـا المسلمون والعلماء كانـت لحظـات خطـرة أوقعـتهم في صِراع المـوتِ والحياة، وأضعفت هممهـم، وخمـدت نـيرانُ شـجاعتهم، وأوشـكت شعائر الإسلام على المحو والدَّثور، وتسرَّبت في المجتمـع البـدعُ والخرافات التي قامت باسم الإسلام، ولم يبـق الـوعي الإسـلامي في نفوس المسلمين وغشيتهم الظلمة والجماعة ، وتسـمَّم الجـوّ بالإلحـاد والوثنيّة وأصيب المسلمون بالقنوط والاضـطراب، وكـان اليـأس أن يستولي علـيهم، وكـادوا أن ينجرفـوا لمخططـات الهدامـة ومؤمراتهـا الخبيثة التي نسجتها بحَيطة بالغة وفي غاية من السِّرِّ والخفاء ، وكانـت الظروف تشير أنها تعاد قصّة «إسبانيا» على أرض الهند، فلم يكن من شانه أن يجلس في غرفة الدِّراسة منعزلاً عن الـدّينا وعـن المسـاهمة في الكفاح، ضدَّ الاستعمار البريطاني لتحريرالبلاد؛ بالرغم مـن أنـه كـان مولعا بالمطالعة والدِّراسة لعلم الحـديث النبـوي والفقـه الإسـلاميِّ؛

هذه هي العوامل والأسباب التي جعلته قائدا سياسياً وبطلاً حراً في سبيل تحرير الوطن، وأخرجته من عُزلة الحياة إلى مجال السياسيّة.

ولما رأى حضرة الشيخ أن «الشركة الهندِيّة والشرقيّة» مسيطرة على الهند كلها، فلم يطق صبراً على أن يبقى وطنه وأبناء هذه البلاد تحت العبوديّة الإنجليزيّة، وبدأ يفكّر في إخراج الناس من براثن الاستعمار، كما يفكّر عن الطريق لإخراج الإنجليز الغاصبين من الهند، فسبق إلى الميدان، ولم يزل يكافح ضدّ الْإنجليز في ميدان «شاملي» و «تهانه بهون» وماعدا إلى ذلك بكلّ حماسة وشجاعة، ويحقّ الحقّ بسيفه وقلمه ولسانه، ولكن بعد عام ١٨٥٧م ليس يتمكّن من السبيل إلى الجهاد بالسّيف والبنادق، ولم يكن على رأسه قوّة عاضدة،كما لم يكن لديه من قُوّة السِّلاح ومن المال الوافر، إلاّ أنه كان يملك قوّة ايمانيّة راسخة وقوّة الثقة بذات اللهّ، وغيرة دينيّة تنفخ في قلوبه الحرارة والحماسَ، فرأى أن واجبه الدّينيّ يفرض عليه أن ينهض للعمل وصيانة للدِّين وأبناء المسلمين وأمجاد الأسلاف في الهند، فلم يقعد عن العمل؛ بل قام باستخلاص الوطن من براثن الاستعمار، وبحفظ كيان الأمّة المسلمة المضطهدة، وإنقاذِ المجتمع الإسلاميّ من التبشير والتنصير، وإنشاء الوعي الدّيني والفكرة السياسيّة الصحيحة في نفوس المسلمين، فاهتدى، وسار في نور اللهّ القويِّ الذي سايره

ورافقه في هذه اليقظة الدّينيّة الجديدة والشعور بالمسؤوليّة، فرأى أنه لا يمكن الكفاح ضدّ الإنجليز وإبطالُ نشاطاتهم إلاّ بإقامة المدارس الدّينيّة والمراكز الشرعيّة والمعاهد الإسلاميّة، فقام بإعداد حصْنٍ مشيد للحفاظ على أنفس المسلمين ودينهم في صورة إدارة تعليميّة بمقام «ديوبند» لإخراج جيلٍ قوي وبطلٍ عظيمٍ مجاهدٍ جريئي وفدائيٍّ باسلٍ، يدافع عن الإسلام والمسلمين ويستمرّ في النِّضال والكفاح ضدّ الإنجليز الغاصب إلى استقلال الهند، فقبل الله -عزّ وجلّ- أمانيه تمنّياته ومطالبه؛ لأن تلامذته وأصحابه وأولاده روحِيًّا لم يزالوا يساهمون في حركة التحرير لمطاردة الإنجليز وأجبروا أعداء الإسلام على أن يتولّوا مدبرين من الهند، حتى تحرَّرت البلاد.

وأدّوا الأمانة التي حملها من شيخهم «محمود الحسن» وشيخ شيخهم «الإمام محمَّد قاسم النانوتوي» وقاموا بالتعبير الصادق للأحلام التي رآها حجّة الإسلام محمَّد قاسم النانوتوي.

فمن له أدنى إلمام بتاريخ الهند الحديث لايخفى عليه أن شخصيّة «حجّة الإسلام» كانت متنوِّعة النواحي، لا نظير لها في تاريخ الهند الحديث، فكانه أحد القادة السياسيّين والمصلحين والأبطال في معركة تحرير الوطن العزيز.

فخلاصة القول أن حياته كلّها مملوءة بالجهد والكفاح في سبيل

تحرير البلاد من براثن الإنجليز وفي إصلاح المجتمع وفي إيقاظ المسلمين وفي توحيد الناس.

وإن الخطّة التي أعدها «حضرة الشيخ» في صورة مدرسة تعليمية، لتحرير البلاد تمثَّل فصلًا

ذهبياً في تاريخ حركات التحرير الوطنيِّ، والأبطالَ من العلماء الذين أعدَّهم الشيخ للجهاد ضدَّ الاستعمار الغاصبين، والدورَ الذي لعب هو وأصحابُه في تحرير الوطن من براثن الأجانب؛ كلّ ذلك يستحقّ أن يكتب بماء من ذهب، وإن حضرة الشيخ هو سراج منير يضيئُ الطريق للجيل الحالى وللأجيال القادمة، وحياته كلّها دروسٌ للرُّوّاد في ميدان الكفاح والنِّضال.

نتائج البحث

النتائج التي حصلت من هذه المقالة هي:

١ - عرفنا من خلال هذه المقالـة، أن لا ينبغـي لنـا أن نُطـرق رؤوسنا أمام الباطـل، كـما أن إمامنـا النـانوتوي لم يـزل يكـافح ضـدّ الإستعمار.

٢- إذا غلب الباطل على طريق، فتسـتعمل الطـرُق الأخـرى للدِّفاع عن الإسلام، كما فعل بعد الثورة بتأسيس دار العلـوم ديوبنـد بعد وضع الحروب الأسلحيّة.

٣- أن نلاحظ مفاد الدّين في كلّ حين مـن الأحيـان، لانقـوم بأيّ عمل إلا لإفادة الدّين واستحكام الإسلام والمسلمين.

٤- أن نغـرس في قلوبنـا جـذوة العمـل لسـنة - سـنة- مـن الرّسول ﷺ، حتى لاتفوتنـا أيـة سـنة في السـنن، كـما يعمـل شـيخنا النانوتوي إلى أن لم يختف أكثر مـن ثلاثـة أيّـام عمـلا بـه في ظـروف حالكة.

٥- المحافظة على التعـاليم الإسـلاميَّة والإبْقـاء علـى شـوكة الإسلام وشعائره.

٦-إيقاظ الوعي الإسلامي في قلوب المسلمين.

٧- المشاركة في آلام الأمّة الإسلاميَّة وأحلامها.

٨- نشر الدعوة والثقافة الإسلاميّة، ومحاربة الثقافة الإنجليزيَّة والحضارة الغربِيّة التي كانت تنتشر بسرعة وقتئذ، وتجرُّ على المجتمـع الإسلاميِّ ويلاً وشقاء.

٩- العمـل علـى تأهيـل الشَّـباب المسـلم لمواجهـة التحـدّي الحضاري الحديث بجميع شؤونه وسمومه، وفنونه ومكـره، ونفاقـه، وجنونه.

١٠- العمل على تصحيح صلة المسلمين بـالله والعـودة بهـم إلى الكتاب والسنّة وبـذل الجهـود في تخلـيص المسـلمين مـن البـدع والخرافات الزائفة والمعتقدات الضالَّة.

١١- إثبات أنّ الإسلام رسالة الله الخالدة الباقية التـي تصـلح لكلِّ زمانٍ ومكـانٍ بـما يحملـه مـن مقوِّمـات الحيـاة المتجـدِّدة، ومـن الشّمول والمرونة والنُّعومة.

والواجب على جميع المنتسبين إلى القاسمية وأولاد الإمام روحيًّا أن ينهضوا لخدمة الدّين والإسلام، وخيبة مؤامرة القوَّات الطاغوتيّة ودحض دسائسهم وللحفاظ على كيان المسلمين كلّما شنَّو الغارة على الدّين والإسلام؛ إذا فعلنا هذا، فأدَّينا ما علينا من فرائض وحقوق واجبة تجاهه؛ وإلا فليس لنا أن ننتسب أنفسنا إلى هذا المكتب الفكريّ المبارك، اللّهم وفِّقنا لأن نؤدِّي حقّ من يجب أداء حقّه، آمين يا رب العالمين.

******

قائمة المصادر والمراجع

(أ)

١- القرآن الكريم.

٢- *آئينۂ حقيقت نما* [الأمراء المسلمون في الهند في المرآة للحقيقة] المؤرِّخ أكبر شاه خان نجيب آبادي، الديوبند: أكاديميّة شيخ الهند، ط محرّم ١٤١٨ه يوليو ١٩٩٧م.

٣- *آب كوثر*[ماء الكوثر]، الشيخ محمَّد إكرام، تاج برنترس، دهلي، ١٩٩١م.

٤- «الإمام محمَّد قاسم النانوتوي» للأستاذ الفقيه خالد سيف الله الرحماني بالأرديّة، عرَّبه وعلّق عليه الأخ محمَّد أعظم الندوي، المجمع العلمي الإسلامي، حيدر آباد الهند، ط ١٤٣١هـ ٢٠١٠م.

٥- الإمام محمَّد قاسم النانوتوي كما رأيته، [ترجمة الإمام النانوتوي للسيّد يعقوب النانوتوي]، عرّبها وعلّق عليه الأستاذ عارف جميل القاسمي، أكاديميّة شيخ الهند دار العلوم ديوبند: محرّم ١٤٣٣ه ديسمبر ٢٠١١م.

٦- الإمام محمَّد قاسم النانوتوي، وجهوده في إعلاء كلّمة الله، الدكتور أويس أحمد الصديقي، أكاديميّة الإمام محمَّد قاسم

النانوتوي، نانوته، سهارنفور، ط: رمضـان المبـارك ١٤٣٢ه أغطـس ٢٠١١م.
٧- «الإعـلام بمـن في تـاريخ الهنـد مـن الـأعلام» المسـمّي بنزهـة النظر للعلامة الدكتور عبد الحيّ الحسني الندوي، دار عرفـات ، رائے بریلی، ط .١٩٩٣.
٨- أسباب بغاوة الهند [عوامل ثورة الهنـد)، الأسـتاذ سر سـيّد أحمـد خان، يونيور ستي، ببلشنز، مسلم يونيور ستي،لم توجد طباعة السنة.
٩- الجهاد في الإسلام، أبو الأعلى المودودي، مركزي مكتبه، اسلامي ببلشنز، نيو دلهي، ط: اكتوبر ٢٠١٢م.
١٠- الصِّراع بـين الفكـرة الإسـلاميّة والفكـرة الغربّيـة للأسـتاذ أبي الحسن على الندوي، المجمع العلمي الإسـلامي، كـاكوري آفسـيت لكناؤ، ط: ١٤٠١ه/ ١٩٨١م.
١١- المسـلمون في الهنـد، الشـيخ أبوالحسـن علـى النـدوي، الجمـع العلمي الإسلامي كاكوري آفسيت لكناؤ، ١٤٣٣ه/ ٢٠١١م.
١٢-المفسّر عبد الماجد الدريابادي، وتفسيره للأخ عبد المحيط الندوي مؤسّسة الصّدق، لكناؤ، الهند، ط: ١٤٣٠ه/ ٢١٠٠٩م.

(ت)

١٣- تاريخ الإسلام في الهند، الدكتور عبد المنعم االنمـر، دار الجديـد مصر، ط: ١٣٧٨ه.

١٤- تاريخ دار العلوم ديوبند، رتَّبه السيّد محبوب رضوي، مكتبة دار العلوم ديوبند ط: ١٤٣٠/ ٢٠١٣م.

١٥- *تاريخ دعوت وعزيمت* [رجال الفكر والدعوة] الشيخ أبو الحسن على الندوي، مجلس تحقيقات ونشريات،كاكوري آفسيت، لكناؤ، ط: ١٤٣٣ه/ ٢٠١٢م.

١٦- *تاريخ فرشته*، محمَّد قاسم فرشته، مكتبة ملّت ديوبند، ط: ١٩٨٣م.

١٧- تاريخ هند، المفتي محمَّد البالن بوري، الأمين كتابستان، ط: ٢٠٠٦م.

١٨- *تحريك آزادي* [حركة التحرير]، أبو الكلام آزاد،زم زم بريس دهلي،ط: يوليو ١٩٨٨م.

١٩- *تحريك آزادي اور مسلمان*[حركة الحر وأدوار المسلمين]، أسير الأدروي،دار المؤلِّفين ديوبند، ط: ابريل، ٢٠١٤ م.

٢٠- *تحريك آزاي ميں علماء كا كردار*، [أدوار العلماء في حركة الحريّة]، فيصل أحمد الندوي، مجلس تحقيقات ونشريات اسلام،كاكوري آفسيت، لكناؤ، ط: رمضان المبارك ١٤٢٧ه/ اكتوبر ٢٠٠٦م.

٢١- *تحريك ريشمي رومال* [خطّة المنديل الحريريّ] السيّد محمَّد ميان، مكتبه فيصل ببليكشنز ديوبندط: رمضان ١٤١٧ه.

٢٢- تذكرة الرشيد، الشيخ عاشق إلهي الميروتي، دار الكتاب ديوبند، ط: ٢٠٠٢م.

(ث)

٢٣- الثورة الهنديّة، (مولانا) فضل حقّ خير آبادي، نشره، المولوي محمَّد مجيد حسن، «رئيس صحف مدينه بجنور»، ط: ١٩٤٧م.

(ح)

٢٣- «حجّة الإسلام»، للأستاذ ساجد القاسمي (تعريب حجّة الإسلام للإمام النانوتوي)، أكاديميّة شيخ الهند دار العلوم ديوبند، ط: ربيع الأول ١٤٢٨ه/ ابريل ٢٠٠٧م.

٢٥- *حضرت شیخ الهند حیات اور کارنامے* [شيخ الهند، حياته ومآثره]، الشيخ أسير الأدروي، أكاديميّة شيخ الهند دار العلوم ديوبند، لم توجد طبع السنة.

٢٦- حكايات أولياء، [أرواح الثلاثة]، الشيخ أشرف على التهانوي، الهند: المكتبه نعيميّة د، ط: ٢٠١٣م.

(د)

٢٧- *دار العلوم میں بیتے ہوئے دن* [أيّام مما مضت في دار العلوم ديوبند]، الشيح مناظر أحسن الغيلاني، مكتبة طيّبة ديوبند.

٢٨- دار العلوم ديوبند، مدرسة فكريّة توجيهيّة، حركة اصلاحيّة، دعويّة مؤسّسة تعليميّة تربويّة، للشيخ عبيد الله الأسعدي القاسمي، مكتبه دار العلوم ديوبند، ط: ذي الحجّة ١٤٢٠ه/ مارس ٢٠٠٠م.

(س)

٢٩- سوانح عمري [ترجمة الإمام النانوتوي] للسيِّد يعقوب النانوتوي، صادق الأنوار بهادر فور، ط: شوال ، ١٣٩٧ه.

٣٠- سوانح قاسمي [سيرة الإمام النانوتوي] الشيخ مناظر أحسن الغيلاني، مكتبة دار العلوم ديوبند.

٣١- سيرت سيَّد أحمد الشهيد أبو الحسن على الندوي، مجلس تحقيقات ونشريات إسلام، آفسيت لكناؤ.

٣٢- شيخ الهند محمود حسن الديوبندي وكفاحه في تحرير الهند من الاستعمار البريطانيّ، الأخ معراج أحمد، دار المعارف ديوبند، ١٤٢٩ه/ ٢٠٠٨.

(ع)

٣٣- *عرب وهند كے تعلقات* [العلاقات بين العرب والهند]، الشيخ السيّد سليمان الندوي، مجلس تحقيقات ونشريات، كاكوري آفسيت، لكناؤ.

٣٤- علماء ديوبند اتجاهم الدّينيّ، ومزاجهم المذهبيّ، الأستاذ نور عالم خليل الأميني، مكتبه دار العلوم ديوبند، ١٤٣٣ه ٢٠١٢م.

٣٥- علماء ديوبند وخدماتهم في علم الحديث، الدكتور، عبد الرحمن البرني، أكاديميّة شيخ الهند ديوبند، ط: شوّال، ١٤٣٢/ ه سبتمبر ٢٠١١م.

٣٦- *علماء هند كا شاندار ماضي* [الماضي المجيد للعلماء في الهند] السيّد محمَّد مياں، مكتبه فيصل ديوبند، ط: رمضان ١٤١٧ه.

٣٧- *علماء حقّ اور ان كے مجاهدانه كارنامے* [علماء الحقّ، وجهودهم النضالية]، السيّد محمَّد مياں، مكتبه فيصل ديوبند.

(ق)

٣٨- قاسم العلوم حضرت مولانا قاسم نانوتوي، أحوال ، آثار وباقيات ومتعلّقات (الإمام النانوتوي، أحواله، وآثاره وباقياته ومتعلّقاته) الشيخ نور الحسن راشد الكاندهلوي، مكتبه نور، كاندهله، رمضان المبارك ١٤٢١ه ديسمبر ٢٠٠٠م.

(ك)

٣٩- كفاح الملسمين في تحرير الهند، الدكتور عبد المنعم النمر، دار الجديد مصر، ط: أغسطس ١٩٧٥م.

(م)

٤٠- «محاورات في الدّين» للشيخ ساجد القاسمي، [تعريب گفتگوئے مذهبي، ومباحثۂ شاه جهاں فور]، أكاديميّة شيخ الهند دار العلوم ديوبند، ط: شعبان ١٤٣٢ه/ يوليو ٢٠١١م.

٤١- مذهب منصور، الطبيب منصور على خان، ط: مكتبه محمود حيدر آباد الهند.

٤٢- مركز العلم والثقافة الإسلاميّة في الهند، دار العلوم ديوبند، الشيخ أبو الحسن على الندوي، مكتب الاحتفال المئويّ دار العلوم ديوبند ١٤٠٠ه/ ١٩٨٠م.

٤٣- مسلمانوں کاروشن مستقبل [المستقبل الزاهر للمسلمين]، السيّد طفيل أحمد ، مكتبة الحقّ مادرن ديري، جوكيشوري، ممبئي، ط: رمضان المبارك ١٤٢٢ه/ نوفمبر ٢٠٠١م.

٤٤- موج کوثر [موجة الكوثر]، الشيخ محمَّد إكرام، تاج برنترس، دهلي، ط: ١٩٩١م.

٤٥- مولانانانوتوي کي فکري بصيرت اور دور حاضر ميں اس کي معنويت، [البصيرة الفكريّة للإمام النانوتوي، ومعنويَّته في العصر الراهن]، الأستاذ نديم الواجدي، مولانا قاسم نانوتوي: حيات، افكار، خدمات، [الإمام النانوتوي، حياته، أفكاره وخدماته]، دار الكتاب ديوبند.

٤٦- *مولانا قاسم نانوتوي، حيات اور كارنامے* [الإمام النانوتوي: حياته ومآثره]، الشيخ أسير الأدروي، أكاديميّة شيخ الهند دار العلوم ديوبند شعبان ١٤١٧ﻫ يناير ١٩٩٧.

٤٧- *مولانا رشيد أحمد الجنجوهي، حيات اور كارنامے* (الإمام رشيد: حياته ومآثره] الشيخ أسير الأدروي، أكاديميّة شيخ الهند دار العلوم ديوبند.

(ن)

٤٨- نقش حياة، شيخ الإسلام حسين أحمد المدني، مكتبه شيخ الإسلام ديوبند، ط: ٢٠٠٧م.

(و)

٤٩- *وه جو بيچتے تهے دوائے دل*، [هذا الكتاب يشمل شتّى المقالات للشيخ خالد سيف الله الرحماني بالأرديّة، حول سير العلماء المختلفين] إيفاء ببليكشنز، دهلي ط: ١٤٣٤ﻫ/ ٢٠١٣م.

٥٠- *همارے هندوستاني مسلمان* [مسلموا الهند لنا]، الدكتور، هنتر، ايل، ايل، دي، آئي، ايس، سي، (بنجال) ترجمة الدكتور حسين، أكاديميّة دفتر اقبال، لاهور، ط: ١٠ ابريل ١٩٤٤م.

الرسائل والجرائد

٥١- ثقافة الهند، المجلد رقم ٤١، العدد، ٢، عام. ١٩٩م.
٥٢- الجريدة، جامعة ديوبند، رسالتها وانجازاتها، ط: مكتب الاحتفال المئوي، ١٤٠٠ه/ ١٩٨٠م.
٥٣- الجريدة، كلمة الترحيب بالمشاركين في الاحتفال المئوي للجامعة الإسلاميّة دار العلوم ديوبند، لفضيلة الشيخ المقري محمَّد طيب الرئيس السابق لدار العلوم ديوبند، ط: مكتب الاحتفال المئوي لدار العلوم ١٤٠٠ه.
٥٤- الجريدة، مائة وسبعة عشر عامًا للجامعة الإسلاميّة دار العلوم ديوبند في ضوء خدماتها العلميّة والدعويّة والاجتماعيّة، مكتب الاحتفال لدار العلوم ديوبند ١٤٠٠ه.
٥٥- الداعي، العدد الخاص، السنة: ٤، العدد ١، ٢، ٣، ٤، جمادي الأولي- جمادي الثانيّة ١٤٠٠ه مارس، ابريل ١٩٨٠م.
٥٦- الداعي، السنة ٣١، العدد ٥- ٦جمادي الأولي- جمادي الثانيّة ١٤٢٨ه/ مايو- يوليو ٢٠٠٧م.
٥٧- الداعي، السنة ٣٧، العدد ١- ٢، محرّم- صفر ١٤٣٤ه/ نوفمبر- دسمبر ٢٠١٢- يناير ٢٠١٣.
٥٨- «خدمات دار العلوم ديوبند» نمبر الصادرة عن مركز «رسالة محمود» عند «مسجد تشته».